عمران بن محمد العمران

شئون وآراء

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

هـذه الكلمـات . .

هذه كلمات مختلفة الأغراض، كتبتها في فترات متباعدة وظروف متباينة، ونشرت معظمها - في حينها - في عدد من صحفنا السعودية.

ولا أزعم لهذه الكلمات أنها بلغت الغاية أو الكمال، وإنما هي «أنموذج» متواضع من نماذج أخرى لكُتّاب جيلنا تحكي مايدور في ذهن صاحبها، وأحياناً مايدور في أذهان الآخرين، وتمثل أيضاً «أنموذجاً» لمسيرة التفكير وتطوره في حياتنا على مدى ثلث قرن من الزمان.

ولئن كان نشرها - اليوم - لا يعني أبداً رضاي عنها؛ نظرًا لما يمثله بعضها من طفولة صحفية أو فكرية - فإن منها أيضاً ما أعتز به حقاً لأنه كان ينشد هدفاً نبيلاً في نفسي، وقد تحقق هذا الهدف بعد حين من النشر، وما أسعد الكاتب عندما يجد مقترحه قد أخذ طريقه للتنفيذ وأنه قد أصبح حقيقة ماثلة للعيان!.

وعلى أية حال، فإنها جميعاً كلمات صادرة من الأعماق، لم تشبها شائبة هوى، ولم يدنسها غرض ذاتي، ولم يكن وراءها سوى التنبيه إلى الأفضل - في نظري على الأقل - وسوى الرغبة في تقويم المعوج ونشدان المنفعة العامة وجلاء الغشاوة التي قد تكون عالقة ببعض الأذهان.

وها هي كلماتي بين يديك ـ أيها القاريء ـ فإن حظيتْ منك ببعض الرضا فذلك ما أتمناه وأتوق إليه، وإن لم تكن كذلك فحسبها أنها صورة لبعض مايدور في أوساط الحياة الاجتماعية يوماً ما. . وحسب صاحبها أيضاً أنها تمثل منحاه في مرحلة أو مراحل من تطور الحياة الذهنية والصحفية في بلادنا وأنها كلمات عابرة وخواطر سانحة يجوز عليها الصواب والخطأ والقبول والرفض.

وحسب صاحبها ـ أيضاً ـ أنه قد قالها. . . ومشى!.

عمران بن محمد العمران
الرياض: ١٤/ ٥/ ١٤١٣هـ
٨/ ١١/ ١٩٩٢م

الاهـــــــــداء

* إلى شباب الصحافة العربية السعودية . .
* رمـــز مودة متواصـــلـــة . .
* وشـــارة رســـــالة مشـــتركـــة . .
* وتطلـــــع إلى غـــــدٍ أمثـــل . .

بـإذن الله

مفهـــوم النقـــد

مما يبشر بمستقبل أفضل لهذه البلاد، أن الوعي العام فيها يزداد تفتحه يوماً بعد آخر، وأن القافلة تسير باستمرار وبدون توقف سيراً محموداً، وأننا عندما ينصرم عام من تاريخنا ونأخذ في الحساب معه، نجد أنفسنا أمام حقيقة ملموسة، هي أننا قد قفزنا إلى الأمام خطوات واسعة متئدة عن ذي قبل.

وعسى ألا يكون في هذا مدعاة للتواكل، فندع سير القافلة ملقى على كاهل الزمن وحده، فإننا ـ ولا شك ـ نطمع في الكثير، ولنا من الآمال العراض ما لا يُحَد!.

ومن لزام الأمر ـ إذن ـ أن نكون، على مختلف طبقاتنا، ايجابيين بكل مايحمله هذا اللفظ من مدلول..

ولعـل أوسع أبواب هذه الايجابية أن يفسح المسؤولون صدورهم للنقد البنّاء المـوجّـه، وأن يتلقـوه بصـدر رحب وقلب كبـير، ولا يضيقـوا ذرعـا بهذا الأسلوب الاصلاحي الفذ، فيرون فيه تحدياً لهم أو حطا من شأنهم.

ذلك أن مثل هذا النقد الهادف، إنما يكون رائده الاخلاص وغايته الاصلاح والتوجيه، ليس غير، ولولا أمل الناقد في أن كلامه سيجد آذانا صاغية ما أجاز لبراعته أن تخط ولو حرفاً واحداً.

ومن الخير أن يتجاوب كل مسؤول ـ وزيراً كان أو مديراً أو حتى موظفاً صغيراً ـ من الخـير أن يتجاوب مع الناقدين في آرائهم، وأن يبحث البواعث ويدقق نظره في الواقع، فيتحسس عن كثب، خواطر الآخرين، ويتلمس ما يخالج شعور بني جلدته ومـايساور نفوسهم، ويعمل بعد هذا على تلافي الأخطاء والعيوب التي أخذها عليه المجتمع، وبهذا يرضى ضميره وينال تقدير مواطنيه.

ولا مرية أن الذين يأنفون من قولة الحق ويسؤوهم النطق بالحقيقة؛ فيرغون

ويزبـدون، ويقـومون ويقعدون، ظناً منهم أن سياجاً متينا من العصمة يحوطهم في أقوالهم وأفعالهم ـ هؤلاء هم أحق عباد الله بالرثاء، وهؤلاء هم أبعد الناس حقا عن مفهوم «العقل» الواسع، وهم احرى بأن يخسروا ما وهبهم الله من سمو مكانة، وأن يفقدوا كل مقومات المسؤولية.

ألم يدر هؤلاء أنهم بشر ـ والبشر خطّاء ـ؟ وأن كل واحد من بني الإنسان عرضة للنقص والخطل ولكل عيب، وأن تصرفاته ـ مهما أُوتي من الحنكة والدهاء وأصالة الرأي ـ لا تخلو من الشوائب والعيوب؟!.

كل بشر يخطيء. وواجب الأخ على أخيه إذا أخطأ أن يدله على جادة الصواب، ويشرح له ما وقع فيه من مآخذ، ويعرفه بالسبل المثلى التي يجب انتهاجها تجاه واجبه، والتي تكفل له ثقة الناس وتقديرهم.

ومن هنا ولدت فكرة النقد: اصلاح، وتوجيه، وبناء.
فلماذا يفر بعضهم من هذا النقد البناء، الموجِّه، المصلح!؟.
هذا ما حارت الأفهام حقاً في تفسيره..!.

بيد أن الكلمة الأولى والأخيرة، والتي يجب ابلاغها إلى كل ذي مسؤولية هي أن من الخير والأحسن أن يتجاوب مع الناقدين، وألا يحسب النقد تحدياً وغلظة في القول، بل تنبيهـاً وحثاً واستنهاضاً.. وحسبه أن وجد من يقوِّم اعوجاجه ويرشده إلى المهيع السويّ!!. وسوف لا يقول عنه التاريخ ـ فيما بعد ـ إنه اعترض مجرى الحياة الطبعي، فعاق تقدم الوعي في بلده.

أجل.. ليصحح هؤلاء رأيهم من جديد، في مفهوم النقد!.

---

* اليمامة. العدد ١١٩ في ٩ شوال ١٣٧٧هـ.

كانت هذه الربوع . .

هذه الجزيرة الطيبة السموح التي نفترش ثراها ونلتحف بسمائها، والتي طالما تغنى الشعراء والقصّادون بروابيها الخضر، ونجادها الفيح، وشدا الشادون بعليل هوائها ونسيم صباها . . أين هي ـ اليوم ـ وقد باتت قفراً يبابًا تندب أيامها الغر السوالف ونعيمها الخصب الغابر . . ؟ .

كانت ـ بالأمس ـ تفيض خيراً ويُسرا . . كانت صفحتها كالبساط الأخضر . . متصلة الرياض، متشابكة الدوح، عامرة بالغدران، ملأى بأوابد الطير والحيوان . . كانت في ربيع دائم، فإذا بها اليوم صحراء جرداء . . لا نبت بها . . ولا ماء . . ولا كائن حيا . . إلا قليلاً . ! .

كانت «نجدها» ـ بالأمس ـ مضرب المثل في الخضرة والنماء، ونقاء الهواء، وعفة الهوى، وحرقان الحشاء . . كانت مصدر إلهام ووحي . . كانت معيناً ثراً مستطاباً ينهل منه امرؤ القيس والنابغة وجرير وقيس بن الملوح وعشرات من أندادهم الفطاحل الخالدين . . تأخذ بديوان أحدهم لتقرأه فإذا «بنجدياته» أمتع ماقال، حتى لترى صورها تعلق بوجدانك وتحلق بك في دنيا بهيجة حالمة، وحتى لتحس بعبير الشيح وشذا الاقاحي وأرج العرار وطيب الخزامى، يملأ أنفك عطراً، ويزيد قلبك بهجة وطربا، وحتى لتتصور أن هذه الهضاب كانت جنانًا وارفة ـ والأمر كذلك ـ فإن أنت تجاوزتها ألفيت الجدب واليبس والجفاف . . الم تسمع قول أحدهم :

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار؟

أو قول آخر:

النجاء! النجاء! من أرض نجد ... قبل أن يعلق الفؤاد بوجد
إن هذا الثرى لينبت شوقاً ... في حشا ميتْ النباتات صلد
كم خليٍّ غدا إليه، فأمسى ... وهو يهذي «بعلوة» أو «بهند»!

وكانت الزعامة الأدبية هنا . . لا تكاد تروم بديلاً عن هذه المرابع . . وأحسب القاريء في غنى عن ترديد آلاف الشواهد والأدلة على ذلك . . ماضٍ باسم حافل

بالرخاء واليسر. . ماضٍ طالما أغرقت عيالم الهوى فيه أفئدةً والهة وطالما احترقت فيه الجوانح بلظى الشوق ولوعة الحرمان.

لقد كانت نجد تغمر سهولها النباتات الزكية، وكانت أوديتها تملأ ضفافها الأشجار الباسقة، وجبالها كانت مفلاة للطير ومسرحاً للضبا والغزلان وشتى أكارم الوحش. . فغدت ـ أيامنا هذه ـ وقد خلت تماماً ـ أو تكاد ـ من كل هذا. .

وكان شمال الحجاز ـ بشكل خاص ـ مليئاً بالواحات الزراعية الزاهرة. وآثار السدود العديدة تشهد بالعناية والجهد اللذين كانا يبذلان في الري.

لقد توالت سنون من الجفاف وتتابعت أحقاب من القحط، فغار الماء، ويبس الأخضر، ثم جاءت أيدي العبث لتأتي على البقية. . جاء الحطّابون بفؤوسهم ليقتلعوا جذور ماتبقى من شجر، وأظن كثيراً من القراء يعرف كيف كانت منطقة «الحيسية» قبل أربعين عاما وكيف أصبحت اليوم. . كانت ـ كما وصفها الرحالة العربي أمين الريحاني ـ أشبه بغابة. . فأين تلكم الغابة اليوم؟.

وتوالت حملات القنص والصيد، فأبادت ـ أو كادت تبيد ـ تلك السلالات العظيمة من أوابد الصحراء. . ثروة لا تقدر ذهبت هباء ونحن لا نحس. . !.

وكانت بلادنا تحتضن ثروة هائلة كبرى من الأغنام والاباعر. . بل كانت إلى عهد قريب جدًّا ـ تصدر قطعانا منها وبكميات ضخمة للغاية إلى سوريا وفلسطين ومصر، فكان هذا مُعَجِّلاً بنقصان هذه الثروة القومية نقصاناً فاحشا مشينا، حتى أصبحنا ـ وفي خلال أعوام قليلة من عمر الزمن ـ نستورد من السودان وسواحل أفريقية ماكنا نصدره بالأمس القريب!!.

وكان الأجدر بالمسؤولين، أن ينتبهوا للأمر في بدايته، فيحذوا ـ مثلاً ـ حذو حكومة العراق حينما أصدرت ـ منذ أكثر من عشرين عاما ـ أمرًا بمنع الصيد والقنص بالسيارات. . وذلك حفظاً لتلك السلالات العربية من الانقراض والتلاشي.

إن البلاد موشكة أن تفقد ـ بل هي قد فقدت بالفعل ـ الأوابد من الطير والحيوان . . فقد اختفت المهاة من الشمال منذ بضع سنين، وانقرض النعام الجميل المهيب من جزيرة العرب قاطبة، دون أن يثير الأمر أية اهتمام لدى أحد . . ونخشى ألا تمر سنوات قلائل أخرى نرى بعدها الأوابد قد اختفت تماما من أرض الجزيرة . . وهو أمر محقق إن لم نتداركه .

وكان الأجدر بالمسؤولين أيضاً ـ بل كان يجب عليهم، أن يفطنوا للحقيقة في ابانها، ويتبصروا بعواقب الأمور، فيحولوا بين التجارة الجشعة وبين تصدير ثروتنا الحيوانية إلى الخارج .

وسبب آخر في تلاشي ثروتنا الحيوانية ـ والشيء بالشيء يذكر ـ وهو تحول عدد كبير من أبناء البادية إلى حياة الحضر، والعيش في المدن وحول مراكز التجمع الكبرى، مما نجم عنه تركهم لرعي ابلهم وأغنامهم ومواشيهم وبالتالي انهيار ركن اقتصادي هام في حياة هذه البلاد . وتحضير البادية شيء جميل ومفرح لو كان على غير هذه الصورة . . شيء يسر لو تدخلت الدولة في أمره، فانشأت القرى بالقرب من مكامن المياه والأراضي الصالحة للزراعة ليقطنها البدو فيزرعون البقاع البور وينتجون ويفيدون أنفسهم وبلادهم، مع احتفاظهم بمهنتهم التقليدية، وهي الرعي والقيام على تربية الإبل والغنم . . وأحسب أن الاعانات والعوائد السنوية التي تمنحها لهم الدولة كفيلة بتحقيق جانب كبير من هذه الفكرة .

وكما فقدت هذه الصحراء ألواناً شتى من مظاهر الرخاء وكرم الطبيعة، وكما فقدت أيضاً جانباً كبيراً من ثروتها الحيوانية الضخمة، أفلتت من أيدينا «الزعامة الأدبية» التي كانت بلادنا تتسنم هامتها في دنيا العرب، بل لم يعد لدينا ـ طيلة القرون الاثني عشرة الماضية ـ أدب يستحق الخلود أو حتى مجرد التسجيل، فعشنا أجيالا في متاهات من الفراغ .

شيء واحد نحمد الله عليه ـ والله محمود علي أي حال ـ وهو أن هذه الربوع ـ عبر عصور التاريخ المختلفة ـ وقفت شامخة تتحدى الغزاة والطامعين، فلم تخضع لحكم

أجنبي، ولم تحنِ رقبتها يوماً لطامع خارجي، بل ظلت طوال تاريخها الطويل العريض سيدة نفسها، محكومة من أبنائها، تحمي صرح العروبة وتذب عن بيضة الإسلام.. ويوم عسف الزمان بأهلها في منتصف القرن الهجري الماضي ووصلت حشود الاتراك العثمانيين إلى عاصمتها (الدرعية) لم يمهل القدر هؤلاء كثيراً فأدركوا أنه لا مكان لهم هنا وشدوا رحيلهم عنها مرغمين ـ بعد أعوام قلة لا تحسب شيئا في مسار الزمن ـ وعاد قلب الجزيرة حراً يمسك ابناؤه بزمامه دون رعاية دخيل أو وصي.

---

* اليمامة ـ العدد ٢١٠ ـ ١٣٧٩/٨/٢٤هـ.

كلمة اليمامة:

ماذا يثيره العيد . . ؟

. . ومع اشراقة فجر غدٍ . . يطل علينا العيد . . بعد شهر من العبادة، والصوم، والتطهر من أدران الدنيا وأرجاسها . . يطل علينا . . وكلنا يتساءل مع من قال:

عيدٌ بأية حالٍ عدتَ ياعيد؟ بما مضى؟ . . أم لأمر فيك تجديد؟

هو عيد . . أو على الأقل في نظر من أسعدتهم حاله . . أما الذين قست عليهم الحياة، وهاجمتهم بأرزائها، فهم يمضغون هذه «الكلمة» مضغاً عنيفا قاسياً دونما قدرة على قضمها أو استساغتها . . وكم نحن نخدع أنفسنا بما يخفي واقعنا . . يبتسم اكثرنا ـ في هذا اليوم ـ وهو على ثقة، في قرارة نفسه، أن هذه الابتسامة تنقصها «الصراحة» ولا تعني سوى مرارة في النفس وحسرة في القلب وحرمان من رغد الحياة . . ونحن قد نلبس الثياب القشيبة ونتعطر بأطايب «الروائح» وأغلاها، مع ادراكنا التام للحقيقة القاسية، وأن هذا لا يعني ـ أيضاً ـ سوى النفاق مع الحياة وسوى مخادعة الواقع .

إنها «مظاهر» تصور دنيا الناس في صور عكسية . . تحيات متبادلة وكلام معسول وملبس فاخر . . ووجاهة .

وليس هذا إلا هرباً من الواقع . . واقع كل منا المليء بالأحزان والمآسي والمهازل والعيوب .

أما هذه «الابتسامة» فلن تكون حقاً إلا عندما يكون كل منا قد اكتمل سعادته، فَنَعِمَ بكرامة الحياة، وبلهنية العيش واطمأن إلى غده .

لن نشعر بالبهجة في العيد حقاً . . ونحن نرى جموعا حاشدة من بني جلدتنا يشكون الفاقة، فيدفعهم العوز إلى التسكع على أرصفة الشوارع ونواصيها، يسألونك

مايقيم أودهم، ويسكت عويل صغارهم.. نراهم والأمراض تفتك بكثير منهم، والجهل يمسك منهم بالتلابيب.

لن نشعر ببهجة العيد.. ونحن نرى «البادية» ـ وهي مادة هذا الشعب وعنصر نمائه ـ تهوي إلى الحضيض.. بعد أن فقدت أموالها ومواشيها نتيجة تحدي القحط والإجداب، واحاطة الفقربها من كل جانب.

ولن نشعر بهذه البهجة، والفلاح المسكين يخر أمامنا صريعاً، يعاني من قسوة الزمن وجفوة الحياة صنوفَ الويل وألوانه.

ولن نشعر ببهجة العيد ولا بسعادته ـ من بعد ـ وإخوان لنا ـ في العروبة والإسلام لا يزالون في قبضة العسف والطغيان والاحتلال الأجنبي.. لا يكاد يمر يوم لا يفقد فيه الواحد منهم أباه أو عمه أو ابنه أوابنته أو قريبه.. كما فقد من قبل حريته واستقلاله وخيرات بلده.

إن العيد.. وإن شعورنا به حقاً.. أن يعود لأمتنا العربية حقها السليب.. وأن نرى مواطنينا وقد شملتهم السعادة، وانتظمتهم الحياة الكريمة وملأ نفوسهم الاطمئنان.

ويوم أن تعود لبلادنا العربية والإسلامية مكانتها المرموقة وصوتها المدوي البعيد في أنحاء الدنيا.. ويوم أن نراها وقد قامت فيها المشروعات الاصلاحية في شتى مجالات الصناعة والزراعة والطرق.. يومئذ نشعر ببهجة العيد ولذته، وتكون «الابتسامة» نابعة من القلوب، تعبر ـ في صدق وحرارة ـ عن الخواطر، وتجلو الواقع على أتم صورة.

---

* اليمامة، العدد ٢١٦ ـ في ١٣٧٩/٩/٣٠هـ.

فلنجابه الحياة بمرونة!

لعل من معاد الحديث ـ وما أكثر معاده في هذه الأيام! ـ أن يقال إن الحياة مدرسة عملية جامعة يتلقى فيها الإنسان دروسًا مفيدة في مجالات شتى، إذ لو لم تكن كذلك لما أصبح هناك من فارق بين هذا الإنسان وبين الكائنات الأخرى.

وإن نحن اتعظنا بتجارب هذه الحياة، كان لنا من وراء ذلك الخير، كل الخير، وإن نحن ركبنا الرؤوس كان لنا من ذلك الويل، كل الويل!.

ومن البديهي أن نقول أن تجارب الفرد منا ليست ملكه وحده.. فإن من الأنانية أن يشح بها على سواه.. والفرد مطالب ـ دائما ـ بالعمل على إشاعة نتائج تجاربه في ميادين الحياة بين الآخرين.

ولكن قد يحدث أحياناً ـ بل كثيراً ماحدث ـ عندما يبدي أحدنا شيئاً من ملاحظاته، المستوحاة من تجاربه، على أمر من الأمور، أن يُقابل باستياء، وربما بثورة، ممن وجهت إليهم الملاحظة أو النقد.

والنقد لا يعني أبداً طمس الواقع أو التشهير بأحد، ومتى صار كذلك فهو شيء آخر.. بل النقد، في ماهيته، ميزان عادل للجميل والقبيح، والسمين والغث، والجيد والرديء، والحق والباطل. والناقد يضع في اعتباره ـ عندما ينقد ـ جميع الاحتمالات، ويقيم لاحترام رأي غيره وزناً كبيرا... ولكن أنَّى لبعض المنقودين أن يفهموا ذلك!.

قلناها في صراحة: ما أقل القانعين بالحقيقة، وما أكثر من يضيقون بالنقد..!.

هنا، في بلادنا، ومن مواطنينا وشبابنا، من يحسب في النقد غُولا مرعبا يهدد مصيره!.

وهنا، في بلادنا، ومن مواطنينا وشبابنا، من يعز عليه التسليم بالواقع ومن

يرفض الاعتراف بالخطأ. فلماذا نرهب النقد؟.

لماذا يرى بعض المسئولين ـ مثلا ـ فيما تنشره صحافتنا من ملاحظات حول أعمال وزارته أو دائرته تحديا لمشاعره، وتدخلا فيما لا يعني، وتجنياً لا مبرر له، مع أن ماينشر ماهو إلا بقصد التعاون المشترك بين المواطنين والمسؤولين بغية الوصول إلى الأفضل في بناء مستقبل متين؟.

ولماذا يأنف الطبيب ـ في المستشفى ـ مثلاً أن ينتقد أحد معاملته لمراجعيه من المرضى حتى ولو كان يدرك هو نفسه أنه شرس ومتغطرس وحاكم بأمره؟.

ولماذا يتطاير الأديب حنقا عندما يتناول ناقد عمله الأدبي بالنقاش لتمييز زيفه من خالصه؟.. وكان الأحرى بالأديب ـ وهو حامل مشعل وفكر ـ أن ينأى بنفسه عن هذا الأفق الضيق المحدود فلا يعتقد أن النقد يعني الحط من شأنه أو الطعن في مواهبه؟.

لماذا يخرج الناس بمفهوم النقد إلى الغاية الذاتية؟ أليس النقد بناءًا لمستقبل، وتوجيها لخير، وتطويرا نحو الأفضل؟.

حتى المؤمنين بمباديء ومذاهب معينة يعز عليهم أن يسمعوا شيئًا غير حسن بالنسبة لما يدعون إليه، كما يعز عليهم أن يرعوا حرمةً لمذهب غير مذهبهم أو مبدأ غير مبدئهم.. وكان خليقا بنا أن نحترم مباديء غيرنا لأن في احترامها احتراماً لمبادئنا وقيمنا، ولأن المذهب ـ أي مذهب ـ نشأ بأصول وقواعد ونظريات ارتضاها أصحابه كما نشأ مذهبنا في الحياة بأصول وقواعد ونظريات ارتضيناها لأنفسنا نهجا ومهيعا.. وهذا كله يجب ألا يكون على حساب مانعتقده.

وكان حرياً بنا أيضاً أن نتقبل نقد الآخرين لنا بعقلية مرنة؛ تأخذ وتعطي، وتسمع وتناقش، وأن نضع في اعتبارنا أن نقد الآخرين لنا هو بمثابة عملية دفع لنا لكي نستمر في معراج النجاح، فلا نأخذ هذا النقد على أنه طعن موجه لكرامتنا أو

لقداسة مثلنا، بل على العكس!.

لي أصحاب وأصدقاء اختلف معهم، في الرأي، اختلافاً بَيِّناً حول كثير من شئون الحياة والاتجاهات الفكرية وتحسس أفضل الوسائل لتحقيق الأماني الوطنية.. وبعض هؤلاء يصبون جام غضبهم عليّ في إسراف وسخاء لأني لا ألتقي معهم في أفكارهم.. أحاول أحياناً اقناعهم بوجهة نظري فيأبون.. وقد كنت أسأل أحدهم - منذ يومين - دليلاً واحداً يقنعني، عن طريقه، بسلامة رأيه، فلا أكاد أجد لديه سوى ترديد لعبارات وجمل جوفاء مجّتها الأسماع، فأعود يائسا، وأحاول أنا أن أقنعه بما أذهب إليه فلا يعيرني أذنا صاغية.. ومع هذا فأنا أكن له صادق الود والاخاء حفاظا على العهد، وليقيني - من بعد - أن اختلافي معه راجع إلى طيبة في نفسه أولاً، وإلى عدم استعداده لسماع مايوجه إلى منحاه الفكري من مآخذ وعيوب ثانياً، فكأنّ على عقله غلافاً يحجب عنه ما لا يروقه من آراء أخرى لا تتفق وميوله التي نمتها الدعايات بعد أن صادفت قلباً خالياً!.

والطريق العلمية في المناقشة تكاد تكون مفقودة لدينا تماما.. ونحن نعاني من هذا النقص بلا شك.. وأحسب أن عدم ادراكنا لمفهوم النقد - سواء كان النقد اجتماعيًّا أو أدبيًّا أو سياسيًّا - بأنه توجيه وبناء وتطوير، ناشيء عن هذا النقص الخطير في نهضتنا.

وبعد.. فإن الحياة - في مجموعها - تكوّن سلسلة من المشكلات المعقدة والغايات المتباينة والأفكار المتضاربة.. ومن ثم فمن الطبيعي أن يرى أحدنا في مسلك غيره خطأ مشينا - ولو في نظره هو على الأقل - فيعمل جاهداً لكشف معالمه، وبالتالي لتصحيحه، فيكون نصيبه - عندئذ - الاتهام من المنقود والسائرين في فلكه بأنه صاحب هوى، دون أن يتذكروا - مجرد تذكر - بأن الخطأ جائز عليهم وأن عوامل الجهل قد تكتنفهم.

ألم يكن الأجدر بنا أن نشرع صدورنا لنقاش مثل هذا النقد، والخروج منه بفائدة أو بعبرة؟.

ليتنا ـ وأقولها ثانية ـ نتقبل كلام الناقدين بسعة بال، وبسمو فهم، وبحيوية فكر، وليتنا نجابه الحياة بعقل مرن، وروح رياضي، شأن من يلتمس مظان الحقيقة وينشد أمثل السبل.

(*) اليمامة، العدد ٣١١ ـ في ١٣٨١/٨/٢٩هـ.

نجاح أي مشروع يتوقف بكليته
على جـودة التخطيـط لـه

تمر بلادنا بظروف خطيرة من التطور في شتى مجالات الحياة . .

والتطور الصحيح المجدي هو الذي يسير وفق مخططات منظمة تُرسم له مسبقا، وإلا فإنه يفقد أهم مقوماته، وقد يأتي بنتائج عكسية لا تجني منها الأمة سوى الارتباك والضياع .

ويبـدو أن العـواطف الـوقتية توجه تفكيرنا وتسيطر على تصرفاتنا في كثير من الحالات . . ومن هنا فنحن لا نستطيع الامساك بزمام المستقبل الأفضل . . فالارتجال يكاد يكون هو السمة البارزة في معظم أعمالنا .

والارتجال والعاطفة توأما الجهل . . ولئن صاحبت هذه الظاهرة حياتنا في الماضى لأسباب جذرية، فلا يجوز بحال أن تصحبها حاضرا أو مستقبلا بعد أن اضمحلت تلك الأسباب .

إننا نجد أنفسنا اليوم، نعبر دنيا تختلف تمام الاختلاف عنها قبل سنوات . . كما نجد أنفسنا أمام امكانيات ضخمة لايجدر بنا أن نضيعها هباءًا .

الحياة اليوم تتطلب عملاً وانشاءًا وتعميرًا في كل الميادين . . وهذا يتطلب معالم بارزة على قارعة الدرب ليسير العاملون على هدى منها ويقين وقد أصبحت مجالات الاصلاح وسبله كثيرة ومتشعبة . . اصلاح في أساليب التربية والتعليم . . واصلاح في شق الـطرق وتعبيدها . . واصلاح في مضامير الصحة والزراعة، وفي تنمية المجتمع وتطويره، وتحضير البادية والأخذ بيدها إلى حياة أفضل من العمل والاستقرار وكرامة العيش! .

كل هذه وغـيرهـا هي مجالات حيوية صميمة للإصلاح الحق المثمر . . وهي مجالات قد بدأنـا فعلاً في اقتحامها، بيد أن تساؤلات تخطر للمرء وهو يرى طلائع

الاصلاح تشق السبيل. . هذه التساؤلات تعني السياسة المنهجية التي سوف تسلكها قافلة الاصلاح. . هل هناك سياسة مدروسة سوف تحدد خط السير؟. هل سبق هذا العمل تخطيط علمي وافٍ من جميع الجوانب؟ هل استفدنا من تجارب غيرنا ممن سبقونا في هذا الشأن؟.

الذي يبدو أن الحماسة لفكرة الاصلاح في مجال ماهي التي تدفعنا بسرعة نحو تنفيذ الفكرة، والحماسة لا تبعد كثيرا عن الحماقة!.

إن نجاح أي مشروع يتوقف بكليته على جودة التخطيط له.وتنفيذ المشروع هو اللبنة الثانية في بنائه بعد الدراسة.

لقد فشل بعض شركاتنا ومؤسساتنا فشلا ذريعا مزرياً، وكان هذا نتيجة حتمية مرتقبة لسوء التخطيط الإداري والتجاري والاقتصادي إن لم يكن انعدامه.

وفشلت بعض المشروعات الحيوية الهامة بسبب من الارتجال المحض الذي سيطر على نشأتها وصحب العمل بها بعد ذلك.

ولنتصور الخسارة في مشروع ضخم كبير تنفق عليه الأموال الطائلة ويستغرق من حياتنا زمنا غير قصير ويستنفذ من جهودنا الشيء الكثير، ثم بعد هذا لا يعود بأي أثر يذكر على البلد والناس.

يجب أن نبني للمستقبل البعيد. . وللأجيال القادمة. . ومن ثم فإن أي عمل عام يجب أن يسري عليه هذا الاعتبار. . والفرص المتاحة لنا اليوم قد لا تتاح لنا غدًا.

إذا قررنا انتهاج سياسة تعليمية معينة ـ مثلا ـ فيجب أن نأخذ في اعتبارنا ظروف البلاد واحتياجاتها حاضرا ومستقبلا بالنسبة لشتى فروع المعرفة. إن كل من خرجتهم مدارسنا وجامعاتنا وبعثاتنا إلى الخارج لم يخرجوا عن كونهم موظفين إداريين ينعمون بالراحة والفراغ. . إن الطاقات المكتسبة في نفوس هؤلاء طاقات معطلة. . أليس كذلك؟!.

هذا مثل بسيط نضربه على رداءة التخطيط في الماضي. . ويقاس عليه أي عمل في أي مجال لا يصحبه تخطيط حكيم سليم تراعى فيه الحاجة وإمكانية الاستفادة الصحيحة كما تراعى فيه الظروف الاجتماعية والمادية التي تعيشها البلاد. . إلى غير ذلك من عناصر التخطيط.

وإننا لنرجو أن يكون المستقبل حافلا بأسباب الجودة في التخطيط خاصة بعد أن بدأت الدولة تولي هذه الناحية أهمية كبيرة. . كما نأمل ألا تقتصر الدولة في مجهوداتها هذه على المجالات الحكومية بل تساعد المؤسسات الأهلية الجماعية في تنظيم سيرها ورسم سياستها.

(*) اليمامة، العدد (٦) - في ١٩/١٢/١٣٨٣هـ.

صـــــورة . .

يسـألني صديق عزيز بعد أن طلبت منه الكتابة بشيء من قريحته «لليمامة» في عهدها الجديد، فيقول:

اكتب ماذا . . ؟! .

وهو سؤال محير حقا .

قلت معلقاً على تساؤله . . الواقع أن الكتابة ليست من السهولة كما يتصورها بعضنـا . . إنها مجهـود كبـير وعمل خطير . . وهي تحتاج لمزيد من الاجهاد الفكري والذهني وإلى مزيد من الحكمة ومزيد من الاخلاص . والذي يجازف بقلمه في كلام خاوٍ، بمعنى أنه لا مفهوم له ولا نتائج مثمرة من ورائه، هو إنسان فارغ الفكر والروح .

الكتابة الحقة تتطلب عنصرين أساسيين . . موضوعا حيويًّا يعود بأثر عميق بعيد في المجتمع وفي عقول الناس وطريقة أسلوبية جيدة ومحكمة ينتهجها الكاتب في إيصال المفهوم الصحيح لهذا الموضوع إلى مدارك قارئه .

ومتى افتقدت الكتابة أحد هذين العنصرين، فهي عبث في عبث . .

وضحـك صديقي، وقـال: عذراً فإن الكتـابـة الصحيحـة السليمة تنقصني أسبابها . . ! اعذرني من الكتابة لليمامة . . ! .

ولمعرفتي الوطيدة بمدى قوة ثقافة هذا الصديق وبسمو تفكيره، فقد أكبرت فيه هذه الروح المتواضع السمح . . إلا أني لم أشأ أن أدعه يفلت من قبضتي بمثل هذا الكـلام، وتشبثت به فأسلمني مقالاً للنشر فيما بعد . . وقد ذكرتني هذه الأقصوصة بصـورة عكسية تتمثل في بعض كتابنا، والأمور باضدادها تذكر، فإن هذا البعض يتخيل نفسه فوق مستواها الحقيقي ويحاول جاهداً أن يفرض على الآخرين تخيله، بأنه كبير في رأيه عظيم في قلمه . .

قلت لنفسي عندئذ: رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه .

(*) اليمامة، العدد (٦) - في ١٣٨٣/١٢/١٩هـ .

التوقيت العربي الصحيح هو توقيت الزوال . . .
فكـــرة . . مهداة إلى وزارة الاعلام

تنفرد المملكة بتوقيت خاص لا يُعمل به في سواها، وهو التوقيت الذي يبدأ عند طلوع الشمس وينتهي بغروبها.

وقد اعتاد الناس هنا أن يضفوا على هذا التوقيت اسم (التوقيت العربي) مع أنه ليس كذلك، ولم يثبت بصورة ما أن العرب كانوا يستعملون هذا التوقيت.

كذلك اعتاد الناس هنا أن يطلقوا على التوقيت المعمول به خارج المملكة اسم (التوقيت الأفرنجي) وهو التوقيت الذي يبدأ من منتصف الليل وينتهي في منتصف النهـار، أو بعبارة أخرى: التوقيت الذي يستند إلى زوال الشمس في الظهيرة لا إلى طلوعها أو غروبها.

والحقيقـة أن التوقيت الزوالي أو مايسميه الناس هنا بالتوقيت الأفرنجي، هو التوقيت العربي الصحيح الذي كان يأخذ به العرب والمسلمون في الماضـي . . فهم مثلا ـ يهتدون إلى مواعيد صلوات النهار بمقدار أقدام ظل الزوال، أو بشواخص معينة لا يزال معمولا بها في بعض القرى النجدية إلى عهد قريب، والظواهر التاريخية لم تشر ـ اطلاقا ـ إلى أنهم كانوا يوقتون بطلوع الشمس أو غروبها حتى جاء الاحتلال العثماني للعـالم الإسـلامي، ومنه البلاد العربية، فجعل التوقيت يبدأ عند طلوع الشمس، وعنـدمـا تغرب تكون الساعة قد أتمت اثنتي عشرة دورة ثم تبدأ دورات جديدة من السـاعات تنتهي عند طلوع الشمس تقريبا. وقد بقي هذا التوقيت ملازماً للبلدان الخـاضعـة لسيطرة العثمانيين، ثم أخذ يتلاشى شيئا فشيئا مع تلاشي الامبراطورية العثمانية، حتى لم يعد أخيراً معمولا به في غير هذه المملكة. بل أن الدولة العثمانية في أواخر أيامها عدلت عنه.

أما التوقيت العربي الصحيح أو التوقيت الزوالي، فقد أخذته أوروبا عن العرب عن طريق الأندلسيين، في الأغلب، وبقي معمولاً به هنالك حتى وفد علينا ضمن

وافدات أوروبا وكأنه توقيت أفرنجي. وقد بات التوقيت الزوالي هو التوقيت المعمول به في جميع أنحاء الدنيا ماعدا بلادنا كما قلت.

ومادام أن العرف العالمي يعتمد التوقيت الزوالي في شئون حياته وأعماله، ومادام أن هذا التوقيت هو عربي صميم، ومادام إنه هو أقرب إلى الدقة والضبط من التوقيت المعمول به حاليًّا لدينا، أعني مايسمى لدى الناس عندنا بالتوقيت العربي، فلماذا نظل منفردين ـ دون سائر الدنيا ـ بتوقيت خاص، وما الذي نجنيه من هذا الشذوذ، وما الذي يسؤونا لو اعتمدنا التوقيت الزوالي في شئوننا وأعمالنا؟!.

أذكر ـ بهذه المناسبة ـ أن الإذاعة العربية السعودية قد حاولت، بل قامت فعلا، بتنفيذ هذه الفكرة قبل سنوات قليلة، فجعلت برامجها تسير وفق هذا التوقيت، ولكنها فجأة عدلت عن ذلك وعادت إلى هذا التوقيت الذي نسميه ـ خطأ ـ توقيتا عربيًّا.

ليتنا نكون واقعيين مع أنفسنا فنعتمد التوقيت الزوالي ـ وهو التوقيت العربي الصحيح ـ وليت وزارة الإعلام تقوم بضبط التوقيت المحلي للمملكة، متمشية في ذلك على خطوط الطول العرض، وتعمل على جعله توقيتا رسميًّا للبلاد.

ونعتقد أن أحداً لن يمانع في ذلك، كما نعتقد أن في الأخذ به وتنفيذه فائدة عملية كبرى.

(*) اليمامة، العدد (٧) في ١٣٨٤/١/٢٦هـ.

العاطفة تحكم علاقتنا ببعض

من سماتنا الظاهرة، أننا قوم إنسياقيون، نندفع وراء عواطفنا ـ في أكثر الأحيان ـ اندفاعا جارفا مشينا . . ويكاد هذا الاندفاع «اللاشعوري» ينسينا جميع الاعتبارات. والمؤسف، في الأمر، أن عواطف الفرد منا منبعثة عن مصالحه الذاتية . . ومن هنا فنحن ننظر للناس والحياة نظرات غير حقيقية وغير بعيدة المدى . . وإنما هي نظرات محدودة الأبعاد، مجافية للواقع المتبصر.

يحب، أو يكره، أحدنا الآخر بمقدار ماناله منه من نفع أو ضرر، أو بمقدار ما يؤمل فيه من ذلك، أما أن نحب ونكره تبعا للمثل الإنسانية من رجولية وعصامية واخلاص وصدق وجد ومثابرة وغيرة واحساس بالواجب والمسؤولية وبُعْدٍ عن مواطن الدناءة وسفاسف الأمور ـ أما أن نحب ونكره تبعاً لتوافر هذه المعاني من عدمه، فهذا شيء لا وجود له إلا في القليل النادر.

والحب والكره متى توفرت أسبابهما ـ على هذا النحو ـ لدينا فإنهما يخرجان عن الطور الطبيعي لهما . . فنحن إن أحببنا أسرفنا في حبنا إسرافا مكشوفا، وإنْ نحن كرهنا أسرفنا أيضًا في كرهنا إسرافا مكشوفا . . وتزداد درجة هذا الحب أو الكره كلما عظمت المصلحة الذاتية أو أخذت في التلاشي.

من هذا نرى أن العاطفة هي التي تحكم تصرفاتنا الخاصة والعامة، كما تحكم علاقاتنا بالآخرين في شئون الحياة.

(*) اليمامة/ عدد (٢٠) في ١٣٨٤/٣/٢٩هـ.

كلمة اليمامة:

لمن يكتب الكاتب . . ؟

أجِلْ طرفك، في أي عدد من أية جريدة أو مجلة محلية، تلقه غاصًا بشتى الشكاوى والمطالب والمقترحات؛ يبعث بها المواطنون في المدن والقرى والبادية، ويتوجهون بها إلى كبار المسئولين في مرافق الدولة، لعل شيئا من الحظ يحالف هذه المطالب والمقترحات، فتنال القبول والتنفيذ.

ما من شك أن الدوافع التي تدفع هؤلاء إلى كتابة ذلك، دوافع طيبة وحميدة، غايتها الخير والمصلحة للوطن والمواطنين.

وما من شك أيضًا أن عددا من المسئولين المعنيين يولون هذه المطالب أهمية بالغة ويرعون تحقيقها وانفاذها.

غير أن الأكثر، في هذه المقترحات والمطالب، أنها تذهب ادراج الرياح، فلا أحد يُعنى بها أو حتى يكلف نفسه عناء قراءتها، فهي صيحات في واد . . !.

من الجائز جدًّا اهمال بعض المطالب وعدم الالتفات إليها، نظرا لعدم جدواها أو لتفاهتها . . ولكن مابال مقترحات في الصميم من حياتنا، وذات جدوى مؤكدة، وتنفيذها ممكن ولن يكلف كثيراً ـ مابال هذه المقترحات يكون نصيبها ـ هي الأخرى ـ التناسي وعدم الاهتمام؟!.

إن في كتابة بعض الكاتبين معالم حية يمكن لبعض المسؤولين أن يستنيروا ببعضها في أعمالهم، وما نحسب الصحافة إلا منبراً من منابر التوجيه للمستقبل الأفضل وللحياة الكريمة.

ولهذا، فإن ما يكتب فيها يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، وأن يكون له نصيب من الدرس والتمحيص، فإن كان مفيداً فيجب اتخاذ الخطوات الإيجابية لتنفيذه، وإن كان

غير مفيد، أو متعذر التنفيذ، فيجب ايضاح ذلك للكاتب وللقراء.

أما التزام الصمت، فلا نعتقد أنه يؤدي إلى أية غاية، بل ربما كان باعثا للبلبلة والقيل والقال، وهذا مايجب تحاشيه.

وإذا كان الصمت جائزا عند أحد، فما هي إذن جدوى الكتابة.. ؟ ولمن يكتب الكاتب؟.

إن الكتابة ليست غاية في ذاتها.. ولكنها وسيلة إلى غاية.. وسيلة إلى تحقيق المصلحة العامة للوطن والمواطنين. ومتى فهم كل واحد منا هذا الأمر، فإنه سيجد في الكتابة عونا له في تأدية عمله على نحو أفضل.

(*) اليمامة، العدد ٢٦ ـ في ١٢/٥/١٣٨٤هـ.

كلمة اليمامة:

نحن . . والمسؤولية . .

مسؤولية الفرد جزء من مسؤولية الجماعة، ومتى تخلى الأفراد عن مسئولياتهم تبع ذلك تخلي الجماعة عن المسؤولية أيضًا . . وحين تُفقد المسؤولية أو حين ينعدم الاحساس بها تسود الفوضى ويعم الدمار.

وكثير من الناس يذهب به الاعتقاد ـ في دنيا المسؤولية ـ إلى أن الدولة وحدها هي التي يجب أن تأخذ على عاتقها المسؤولية في كل شيء، ومع تسليمنا بما على الدولة من مسؤوليات جسيمة وخطيرة، إلا أن الجمهور يتحمل جزءاً كبيراً من المسئولية العامة، بل هو ـ في كثير من الأمور ـ يعتبر المسؤول الأول.

أمثلة كثيرة يمر بها الإنسان في حياته اليومية، يلمح منها مدى عدم الاهتمام من الأفراد والجماعات لما يجري حولهم، كل منهم ينفض يديه ويقول ليس هذا من شأني.

في الأسبوع الماضي، مر بي مثلان، ومع أنهما قد يبدوان بسيطين إلا أن دلالتهما تنم عن ظواهر سيئة نعيشها.

شاهدت أحد الرعاة وقد أطلق لأغنامه العنان ـ إن صح التعبير ـ تسرح وتمرح في إحدى الحدائق التي تتوسط أحد الشوارع الأنيقة، والناس يفدون من حولها جيئة وذهابا، لم يحرك أحدهم ساكنا لتنبيه الراعي إلى خطئه . . كانت مجموعة من هذه الأغنام تحيط بنخلة صغيرة حديثة الغرس جدًّا وتتجاذبها يمنة ويسرة فإذا بالشجرة المسكينة التي لم تمكنها الأيام بعد من الصمود أمام تلك الهزات، إذا بها تهوى ساقطة على وجه الأرض . !.

وبعد ذلك بيوم واحد، شاهدت مجموعة من الصبية الصغار يتسابقون إلى رشق أحد مصابيح اضاءة الشوارع بالحجارة، كل منهم يريد أن يصيب الهدف قبل صاحبه، والناس من حواليهم يمرون بذلكم الشارع زرافات ووحدانا، لم يكلف أحدهم نفسه

عناء زجر هؤلاء الصبية وإبعادهم . . ! .

من هذين المثلين ـ على بساطتهما ـ نستبين مدى شعور الأفراد والجماعات بمسؤوليتهم . . إن كل واحد من هؤلاء يعتقد في قرارة نفسه أن ذلك شيء لا يعنيه وكأنه بهذا يعني أن مسؤولية الرقابة من شأن الدولة ـ ممثلة في البلدية مثلاً ـ وحدها! .

لا . . . إن الجمهور مسؤول . . ومسؤوليته ترقى أحيانًا إلى مسؤولية الحكومة . وهو إذا لم يُعِن الحكومة على رعاية المصالح العامة وصيانة المنجزات الحيوية، فإن هذه المصالح والمنجزات تصبح معطلة وغير ذات جدوى .

فهل تُرانا في حاجة إلى تربية تعلمنا مفاهيم الواجب والمسؤولية؟ وهل ترانا في حاجة إلى أدنى مراحل الوعي والادراك؟ .

(*) اليمامة، العدد ٢٩ ـ في ٣/٦/١٣٨٤هـ.

كلمة اليمامة :

طريق الغد . . .

قرأت ، كما قرأ غيري ، الإعلان الصادر من وزارة التجارة والصناعة بمع استيراد بعض أنواع (السُّبَح) التي تشبه الأنواع المصنوعة محليًّا، وذلك ضمانا لاستمرار هذه الصناعة وعدم القضاء عليها.

والواقع أن هذا المنع شيء جميل . . وقد كان بودنا لو جاء المنع شاملا لكثير من الأشياء التي يمكن صناعتها محليًّا والتي تفوق (السبح) أهمية وجدوى. ذلك أن فتح باب الاستيراد على مصراعيه قد نشأ عنه القضاء على كثير من الصناعات التي كانت قائمة في هذا البلد . . وقد كان المفروض، عند التصريح بالاستيراد أن يجرى التأكد من أن المادة المراد استيرادها لا تنتج محليا . . فإنها إن كانت تنتج محليا وبكميات وافية يجب العمل على حمايتها من المنافسة الخارجية، وإن كان انتاجها المحلي غير كاف لاحتياجات البلد فيجب مد يد العون لها بالتشجيع والمساندة لتستطيع النهوض وسد الحاجة الذاتية.

إننا في عصر ليس يكفي فيه أن نحمي صناعاتنا المحلية المتوارثة، وإنما علينا أن نعمل أيضًا لإيجاد صناعات وطنية كثيرة تفي بمطاليب البلاد في حاضرها وفي مستقبلها . . فهذا ونحوه سبيل من سبل البناء الوطني.

وكما قال مفكر شرقي عظيم : ويل لأمة تأكل ما لا تزرع وتلبس ما لا تنسج .

إن الظروف الحالية قد هيأت لنا الكثير من الامكانيات التي من شأنها أن تطور صناعاتنا المحلية وأن تساعد على خلق صناعات وطنية جديدة . . وهذه الظروف الميسرة قد لا تتاح لنا غدا . . وقد نبكي غداً ـ نادمين ـ ولات ساعة مندم ـ لأننا قد فرطنا في هذه الامكانيات التي وهبنا الله إياها.

فلنجرد من هذه الامكانيات، سلاحا جبارا نبني به غدنا ونشيد عليه صرحنا الصناعي.

وأحسب أننا بمثل هذا، نكون قد سلكنا السبيل السوي وانتهجنا المهيع القويم إلى حياة مكينة راسية.

فعسى أن توافينا الأيام القريبة بما يثلج الأفئدة ويطمئن النفوس.. وعسى أن نصحو على غدٍ صناعي، اكتفائي، يحقق لهذا البلد الخير والرخاء. وتسير على سبيله الأجيال.. وماذلك على المخلصين بعزيز.

(*) اليمامة، العدد ٣٥ - في ١٦/٧/١٣٨٤هـ.

كلمة اليمامة:

لنكن عند هذه الدعوة..

«.. وعلى الشعب أن يساعد الدولة في أمانة واخلاص، وأن يقول للمحسن أحسنت في وجهه، وأن يقول للمسيء أسأت في وجهه، وأن يكون عونا للمصلحين حربا على المفسدين والمخربين».

هذه العبارة التي وردت في الخطاب الملكي الذي ألقاه الفيصل العظيم في حفل أهالي الرياض يوم الإثنين الماضى، تعني مفهوما جذريًا جديدا في علاقة الحاكم بالمحكوم، فإن الصراحة التي انطوت عليها تجعل المواطن العادي ـ بَلْه المسئولين الرسميين ـ أمام المسئولية وجها لوجه.. ذلك أن سكوته على أخطاء الآخرين، وعدم مناهضته للمفسدين والعابثين يعني أنه شريك في ارتكاب الخطأ وفي اشاعة الفساد والعبث.

لهذا. فإن علينا ـ كمواطنين ـ أفراداً وجماعات، أن نكون عند دعوة الفيصل، فنُكْبر ـ سراً وعلانية ـ في المخلصين والمصلحين اخلاصهم وعملهم وإصلاحهم، ونشد على أيديهم ونكون لهم درعا وسندا، ونكون ـ في السر والعلن أيضاً ـ خصوما ألداء لكل مستهتر بواجبه وعابث بمسئوليته وممعن في غيه.

أما إذا لذنا بالصمت، ولم نقف بالمرصاد لذوي الفوضى والفساد، فإننا بهذا نكون قد ارتكبنا جناية في حق أنفسنا وفي حق بلادنا.

علينا أن نسير على هدى قول الفيصل، فنعلنها ـ دون هوادة ـ حربا على ذوي النفوس الضعيفة والدخائل الميتة والضمائر المنتنة.. أولئك الذين لا يرعون في تصرفاتهم إلاً ولا ذمة ولا يصدرون في أعمالهم عن مصلحة وطنية عامة، وإنما يرعون ـ في الدرجة الأولى ـ مصالحهم الذاتية وتحقيق الكسب الشخصي لأنفسهم، ولم بطرق معتمة غير مشروعة.

إن هذه الصراحة المتناهية التي فاه بها الفيصل العظيم، أمام أفراد شعبه، خليقة بأن تجد الصدى الحسن في نفوس هذا الشعب. وماذلكم الصدى الحسن سوى أن نكون ـ قولا وعملا ـ عونا للمصلح في اصلاحه وحربا على المفسد في افساده، يجب أن نمد الأيدي ـ في طلاقة ـ إلى الفيصل العظيم، فنكون عند أمله فينا عندما دعانا إلى ذلك المنحى الاصلاحي الفذ.

على أننا ـ عندما نناهض مفسدًا أو مستهتراً ـ يجب أن تكون لدينا الأدلة المادية التي تثبت قولنا والتي تلجم الخصم بالحجة، أما إلقاء القول على عواهنه دون برهان فذلك لا يعدو كونه منفذاً إلى غرض كيدي.. وهذا مايجب تحاشيه بحال.

وبعد.. فلنكن مع الفيصل في دعوته الصريحة.. لنكن متجاوبين مع هذه الدعوة.. وهي دعوة نحسبها من أقوى اللبنات في بناء صرح الوطن وفي تشييد دعائمه.. وستكون ـ بإذن الله ـ سبيلا إلى غدٍ مشرق زاخر بالرخاء والاستقرار.

(*) اليمامة، العدد ٣٦، في ١٣٨٤/٧/٢٣هـ.

لماذا كل هذا الصمت؟ ..

نعم . . لماذا كل هذا الصمت المطبق؟! .

إقرأ أي عدد يقع أمام عينيك من أي صحيفة محلية، فسوف تجده مليئاً بشتى المقترحات وبشتى الشكاوى والمطاليب .

أصوات متصاعدة وافدة من مختلف قرى البلاد ومدنها تنادي وتطالب هذا المسؤول وتلك الجهة الحكومية بعمل شيء ما . . ولكن الجواب يأتي في صورة صمت مطبق .

إن الصحافة مرآة الرأي كما يقولون . . وماتنشره هو تعبير طبيعي عما يكنه المواطنون في أنفسهم من آمال وآلام . . ومن هنا نجد أن الصمت في الجواب هو تهرب لا مبرر له . . فلقد كان يجب أن يأتي الجواب صريحا في صورة ايجاب كريم أو على الأقل في صورة اعتذار معلل مقنع .

قد يكون من بين تلكم المقترحات أو المطالب أمور لا ترتفع إلى مستوى المقترح أو المطلب . . ولكن ألا يصح فتح الصدور حتى لأقل الأمور شأنا؟ .

إن أشد ما أخشاه أن يكون من بين المسؤولين من لا يكلف نفسه عناء قراءة الصحف ليطلع على مايعنيه، ومثل هذا خطأ فاحش . . فإن قراءة المسئولين للصحف وماينشر بها هو جزء من واجباتهم ومن مسؤولياتهم .

وفريق آخر يكتفي بالصمت . . ولكنه ينهج سبيلا أخرى، فتراه يضيق بالمقترحات ويثور لأجلها ويرى في الكاتب خصماً له . . ولو أنه تأمل ما قيل بكل تجرد وبروح مرنة سليمة لكان له رأي آخر.

وليثق كل أحد ـ من بعدُ ـ أن مثل هذه المقترحات والمطاليب ليست سوى لبنات متينة قوية في صرح مستقبلنا الأغر المنشود .

(*) اليمامة، العدد ٣٧ ـ في ١٣٨٤/٧/٣٠هـ .

كلمة اليمامة:

تطوير السياحة في بلادنا . .

لعل الرحلة التي قام بها بعض أفراد من أعضاء نادي البحر الأحمر بجدة، في الأسبوع الماضي، إلى «مدائن صالح» بشمالي الحجاز لمشاهدة الآثار هنالك ـ لعل هذه الرحلة مناسبة طيبة للحديث عن أهمية العناية بالآثار في بلادنا ووجوب تطوير السياحة فيها. ذلك أن هذه البلاد تعج بكثير من الآثار القديمة التي تمثل حضارات شتى، سادت ثم بادت، وفي طليعة هذه الآثار آثار «الحِجْر» أو مدائن صالح وآثار مدينة الأخدود في نجران وما حولها وآثار أخرى كثيرة ومتفرقة في أنحاء شتى من البلاد.

ولقد سبق لبعض الرحالة الأجانب، ومنهم الحاج عبدالله فلبي، أن زاروا هذه الآثار وجابوا مختلف الارجاء بحثا عنها، ودونوا مشاهدتهم فأعطونا صورة حية لهذه الثروة الأثرية التي من الممكن جدًّا استغلالها في خلق حركة سياحية تعود على البلاد بالفائدة. . وليس يخلق بنا أن نتمادى في اهمال هذه الثروة وفي عدم الافادة منها على أوسع نطاق ممكن.

وهذه الثروة الأثرية في بلادنا كفيلة جدًّا بجلب أعداد كبيرة من السواح الذين يتوقون إلى مشاهدة هذه الآثار وينفقون في سبيل ذلك المبالغ الطائلة.

وتطوير السياحة المنشود يستلزم تهيئة الوسائل السياحية المريحة، وفي مقدمة ذلك إنشاء الفنادق السياحية وتأمين وسائل المواصلات ووسائل الراحة الأخرى التي لا تتعارض مع تقاليدنا وعقيدتنا.

وإذا كانت وزارة المعارف قد قامت مؤخراً بإنشاء مصلحة خاصة للعناية بالآثار والمحافظة عليها، فإننا نأمل أن تتمكن هذه المصلحة من أداء واجباتها ـ وهي كثيرة ـ على أتم وجه. . كما أننا نأمل أن تهيأ لها الامكانيات اللازمة لكي تعمل على كشف الآثار الأخرى المحتمل وجودها في بعض الأماكن. . وهذا يتطلب جهوداً علمية ومادية نرجو ألا تضن بها الحكومة الجليلة على هذا العمل الجليل.

ونحسب أن قيام جهة أخرى ـ بعد ذلك ـ تُعنى بالسياحة هو أمر حتمي سيأتي به المستقبل القريب. ولهذا فإن هناك أملاً وطيدا يراود أذهاننا بأن المسئولين سيولون هذا الأمر ماهو جدير به من اهتمامهم.. فقد أصبحت طبيعة العصر تتطلب سرعة ذلك وابرازه إلى حيز الوجود.

(*) اليمامة، العدد ٤٠ ـ في ٢١/٨/١٣٨٤هـ.

كلمة اليمامة:

لماذا نضيق بالنقد..؟

سؤال يجول بالخاطر كثيرا.. لماذا نضيق بالنقد؟.. ولماذا يتبرم الكثيرون منا بالكلمة الحرة الصريحة يلقي بها المرء هادفًا وجه الحقيقة وقاصدًا إلى مستوى أفضل.

إن رسالة النقد في الحياة رسالة جليلة عظيمة.. وعلى هذا يجب أن يجري التفاهم بين الناقد والمنقود.. فإن كان فيما يقال شيء يجافي الواقع فلماذا لا يشرحه المتبرمون به لغيرهم.. وإن كان ما قيل حقاً فلماذا لا يعمل هؤلاء على تلافي الخطأ وعلى انتهاج السبيل المثلى؟ ولماذا لا يُسرون لوجود أفراد من أمتهم يكاشفونهم الحقيقة ويضعون أيديهم على مكامن الفشل.

ويبدو أن الذين يضيقون بالنقد ولا يكادون يطيقون أضواءه، يفتقرون كثيراً إلى المرونة الفكرية.. فإن ذا الفكر المرن هو وحده الذي يستطيع تقبل النقد بسعة بال ورحابة صدر، فيطيل فيه النظر ويقلبه على شتى الأوجه، ويحاسب نفسه، فيما بينه وبينها، ويحاول ـ من بعد ـ أن يضع الخطأ على جانب والصواب على جانب آخر، فيقوم المعوج ويشد على المستقيم.

والنقد ـ ونعني به في كلمتنا هذه النقد الهادف والصادر عن اقتناع وإيمان وسلامة نية ـ يعتبر من أجل متطلبات الحياة، كما يعتبر من أقوى الوسائل الايجابية لدفع عجلة البناء والتطور والاستقرار.. ولهذا فإن تقبله والترحيب به هو جزء من مسئولية الرجل العظيم.. نعم الرجل العظيم.. أما ذلكم الذي لا يحب أن يُنال منه ولو بكلمة حق ـ وما أقسى كلمة الحق! ـ وإنما يود دائما أن يسمع الاطراء والتمجيد، فنحسب إنه يغش نفسه من قبل، ويغش بلاده وأمته من بعد.

وأمر آخر.. فالنقد، إذا حسبه المنقود غير هادف، هو أيضاً لا يستوجب التبرم أو الغضب.. فإن كان هذا الشخص يثق من نفسه ومن أدائه لواجبه على الصورة المرضية، فلِمَ لا يقابل ذلك ـ على الأقل ـ بمرونة فكرية ليمكن له بواسطتها شرح وجهة

نظره للناقد وللآخرين وبالتالي اقناعهم بها. . والواثق من نفسه لا يمكن بحال أن تهزه الأعاصير أو أن تثير أعصابه عبارات النقد.

والوقوف في وجه النقد ـ وخاصة إذا كان هادفاً إلى خير وإلى مصلحة عامة ـ يدل، أقل مايدل، على ضيق في الأفق وعلى عدم القدرة على هضم مفاهيم الحياة والحقيقة.

على أن للنقد ـ أخيراً ـ حدوداً رسمتها الأنظمة العامة، فإن هو خرج عن هذه الحدود أصبح صاحبه ملوماً وواقعاً تحت طائلة الجزاء. . وأحسب أن احترام مثل هذه الحدود هو مما يساعد على تحقيق رسالة النقد في الحياة.

(*) اليمامة، العدد ٤١ ـ في ١٣٨٤/٨/٢٨هـ.

كلمة اليمامة:

مسئولية القلم . . .

تعتبر مسئولية القلم ـ في الدنيا جميعها ـ مسئولية خطيرة ودقيقة . . . ومزدوجة .

وهي تستدعي ـ أولاً ـ أعمال الحكمة عند النظر في الأمور، والحذر دائما مما قد تبيته العواقب . . وتستدعي ـ ثانيا ـ مراعاة المشاعر العامة وأخذها في الاعتبار . . وهي تستدعي، من بعد، احترام التشريعات وعدم تجاوز مقتضيات الأنظمة .

وعلى ذلك، فمسئولية القلم ذات جانبين، أو هي ـ على الأصح ـ مسئوليتان تنتظم كلا منهما حدود خاصة : مسئولية أمام القانون ومسئولية أمام الجمهور.

أما المسئولية أمام القانون، فإن الوفاء بها قد يكون سهلا وميسورا . . فمواد القانون تأتي محددة المعالم . . وإذا كان من حق الفرد أن ينتقد النظام ويقول رأيه فيه فليس من حقه أن يخالف مقتضياته . . ومن هنا تبدو هذه المسئولية واضحة صريحة . . والقلم المُقْدم على تخطي بنود النظام ـ إذن ـ يكون مقدما ـ عن عمد واصرار ـ على تمزيق هذه المسئولية ويكون معرضا نفسه لطائلة الجزاء بصرف النظر عن ايجابية ذلك النظام وجدواه أو سلبيته وقصوره .

فالمسئولية، من هذه الناحية، يحوطها اطار محكم .

وأما المسئولية أمام الجمهور، فهي المسئولية الكبرى بالنسبة لعمل القلم . . وهي في عمومها مسئولية اجتهادية أو غير منظمة . . ومع ذلك يتحدد عليها نجاح الكاتب من عدمه في معظم الأحيان .

واكتساب ثقة الناس، ورضاهم، ليس من الأمور السهلة الميسرة . فقد يتطلب ذلك مصارعة وجرأة وتخطيا لبعض الحدود . . كما أنه ـ بكلمة عابرة ـ قد يفقد القلم جمهوره، وقد يجلب على نفسه اشمئزازهم ونفورهم منه .

ومما يزيد في خطورة هذه المسئولية، تباين عواطف الناس وتباين نظراتهم للحياة واحكامهم على الواقع . . والكاتب قد لا يلتقي مع بعضهم، على الأقل، في عاطفة أو نظرة أو حكم . . ومن هنا قد يقع، أيضا، في المحذور.

ولعل خطورة مسئولية القلم أمام الجمهور وصعوبة التوفيق بينها وبين مسئوليته أمام النظام أحيانا، أو التوافق فيما بين صورها هي، في أحيان كثيرة، لعل ذلك منشأ الرأي القائل بأن (الصحافة مهنة البحث عن المتاعب).

على أن هناك، في جميع الأحوال، سمات يجب توافرها في القلم مهما وقف في وجهها من عوامل، من ذلك نزاهة الضمير، وخلوص الغاية وسموها، والبعد عن الهوى، واعتبار التوجيه إلى حياة أفضل واكمل، أولى رسالات الحياة التي يجب أن تُكرس من أجلها الجهود، ومحاولة الرفع من الرؤوس والمعنويات والتقريب ـ بقدر الامكان ـ بين وجهات النظر. . فبمثل هذه المعاني يكون القلم قد سدد وقارب ويكون قد أعطى المسئولية بعض حقها.

ومهما يكن . . فإننا نخلص من قولنا هذا إلى أن مسئولية القلم هي مسئولية خطيرة ودقيقة . . ومزدوجة . . حقا . . ومن الصعب أداؤها كاملة، وما على الكاتب إلا أن يحاول فقد ينجح.

(*) اليمامة، العدد ٤٢ ـ في ١٣٨٤/٩/٦هـ.

كلمة اليمامة:

كيف السبيل لتطوير البادية؟

تشكل البادية ـ في بلادنا ـ جزءاً كبيرا من السكان. . والبادية كما قال عمر بن الخطاب لخليفته: هي أصل العرب، ومادة الإسلام. . فهم ـ لهذا ـ يجب أن يحظوا منا بالاهتمام والرعاية والتوجيه، ويجب أن نهيء لهم أسباب الحياة والعيش الكريم ليقوموا بدورهم الايجابي في بناء هذا البلد والسير به إلى الأمام.

والواقع: أن الشعور بأهمية هذا القطاع الكبير من هذا الشعب بدأ يملؤ النفوس، ويستولي على خواطر الكثيرين منا، مسؤولين وغير مسؤولين.

وهناك محاولات جادة في سبيل تطوير البادية أخذ بعضها طريقه للتنفيذ، وذلك أمر يبشر بالخير، ويبعث على التفاؤل والأمل.

كما وأن كثير من أصحاب الفكر والرأي يطالعوننا، بين الفينة والأخرى، في صحيفة وأخرى، ببعض الآراء والخواطر والمقترحات نحو تطوير البادية، وانعاشها وجعلها تلعب دورها الايجابي الحق، كما يجب أن يكون. . الأمر الذي يدلنا، هو الآخر، على أن احساسنا بالواجب نحو هذا القطاع الهام من الأمة بدأ يدفعنا إلى تلمس أنجع الطرق، وأجداها، وأسرعها كيما ننتشل هذا القطاع من وهدة الاهمال، وحلكة الظلام.

وتعددت الاقتراحات نحو تطوير البادية. . ولكنها ـ في جملتها ـ تنشد الخير، والرغد، والاستقرار، والنور لهؤلاء.

وقد استرعى انتباهي، ضمن تلك الاقتراحات، اقتراح كتب عنه كثير من المواطنين، من الحاضرة ومن أبناء البادية أنفسهم، ويدور هذا الاقتراح حول وجوب إنشاء وزارة خاصة للبادية ترعى شئونها، وتنظم أعمالها ومشروعاتها ووسائل تحضيرها، وتوطينها وتنميتها ورعايتها، اجتماعيا وصحيا وثقافيًا. . إلى غير ذلك.

ومع أن هذا الاقتراح ينبع ـ ولا شك ـ عن إخلاص صادق وعن اجتهاد مكين في نفوس أولئك الكاتبين ـ فإنه في نظري ـ لا يعني كل شيء بالنسبة لإصلاح البادية، وليس هو أفضل الحلول لتلمس مشكلات البادية.

إن أبناء البادية ليسوا جزءاً منفصلا عنا، لنعمل لهم وزارة خاصة، إنهم الأعمام والأخوال، وكل واحد منا ينتمي إليهم بأزكى الروابط، وأمتن العلائق.

ومحاولة تطوير البادية لا يأتي في صورة جهاز خاص بهم، بقدر ما يأتي في وجود النية الصادقة والرغبة العملية بأية صورة كانت.

فلتنهض كل وزارة وكل مصلحة حكومية، بما يجب عليها، في حدود اختصاصها، نحو تطوير البادية وتحسين وضعها من واقع الحاجة في الحاضر والمستقبل.

ثم ليكن هناك هيئة عليا مؤقتة لشئون البادية، مكونة من أهل الرأي والكفاءة والخبرة والاختصاص، ولتكن هذه الهيئة مربوطة بمجلس الوزراء مثلا، ولتكن مهمتها فقط مهمة تخطيطية ترسم السبل وتضع البرامج لتطوير البادية، وتخطط لمشروعاتها، وتقوم هذه الهيئة بتقديمها جاهزة مدروسة مستوفاة إلى الوزارات المعنية، لتقوم كل وزارة بتنفيذ مايخصها ضمن أعمالها في حقول التطوير العام.

وأحسب. أننا بهذا نكون قد سلكنا الطريق المثلى لتطوير هذا القطاع الضخم من سكان بلادنا، والذي نتمنى له ـ من قلوبنا ـ كل تقدم وازدهار وسعادة.

(*) اليمامة، العدد ٤٥ ـ في ١٣٨٤/٩/٢٧هـ.

هؤلاء . . ما مكانهم من المجتمع؟

هؤلاء الذين ينتقدون كل شيء ولا يعملون أي شيء . . ما مكانهم من هذا المجتمع؟! .

هؤلاء الذين لا يعجبهم العجب ولا الصيام في رجب ـ كما يقول المثل السائر ـ كيف يجب أن يكون موقف المجتمع منهم؟! . . ما أشبه هؤلاء ـ في نظري ـ بالعجائز اللواتي يكتفين بمصمصة الشفاه وليس غير!! .

كثير هم أولئك الشباب الذين تغص بهم مجتمعاتنا، ممن أوتوا بسطة في العلم والمعرفة وممن لديهم القدرة على التفكير السليم وعلى الابتكار والتوجيه والسير بالمفاهيم وبالحياة إلى حال أحسن من الواقع . . ومع هذا فهم لا يريدون أبدا أن يعملوا . . بل يكتفون بالسخرية توجه إلى هذا وذاك، وبالنقد المرير لأوضاع معينة بإمكانهم هم أنفسهم أن يعملوا شيئا لإصلاحها وتطويرها . والمضحك المبكي في الأمر أن بعضا من هؤلاء قد ينتقد ـ من حيث لا يشعر ـ أوضاعا قد تكون هي من صنيعه أو قد يكون هو سببا مباشرا أو غير مباشر في تدهورها وبلوغها حد اللوم والانتقاد .

إن النقد الصادر ممن يملك ازالة أسباب النقد لا يعني سوى العجز التام والفشل الذريع، ولا يعني غير الانهزامية والسلبية تجاه أمور في الصميم من حياتنا .

وشبابنا بما أوتي من حيوية وثقافة وعلم وسعة ادراك واخلاص في الوطنية، لا يحسن به اطلاقا أن يبقى هكذا مكتفيا بمصمصة الشفاه وبالشكوى من واقع نفسه وواقع مجتمعه . إن عليه أن يعمل وأن يسلك في عمله طريق الايجابية الحقة وأن لا يدع للملل سبيلا إلى روحه وإلى طموحه . . وعليه أن يتسلح بالأمل والتفاؤل وبالنظر إلى المستقبل بعين باسمة ونفس متطلعة .

ولعمري أن نكبة البلاد والأمة بشبابها لهي أعظم خطراً وأشد وطأة من أي شيء آخر . . خاصة متى كان هؤلاء يمثلون الطليعة الواعية في بلدهم وينظر إليهم الآخرون على أنهم رسل حياة وبعث مرتقبين . إن العصر لم يعد عصر كلام ولم يعد للنقد السلبي فيه أي مكان! .

(*) اليمامة، العدد ٤٩ ـ في ٣/١١/١٣٨٤هـ .

هل نجحت صحافة المؤسسات؟

أسائل نفسي، وقد مضى عام كامل، على تحويل الصحف إلى مؤسسات مساهمة: هل نجت صحافة المؤسسات..؟.

والذي أُقدره أن نجاح أية صحيفة ليس له أية علاقة بكون هذه الصحيفة صحيفة مؤسسة أو صحيفة فرد.. وإنما نجاحها يترتب - إلى حد كبير جدًّا - على مدى «الامكانيات» المهيأة للصحيفة في كلا الحالين على حد سواء.. ونعنى بالامكانيات الاستعداد المادي والأدبي والإداري والفني.. كما أن وجود الفئة المخلصة لعملها والمتحمسة له على رأس الصحيفة سواء كانت مؤسسة أو فردية، هو من ألزم الضروريات لانجاحها. وشيء ثالث لابد منه لنجاح الصحيفة وهو وجود الجو الصحفي المتكامل.

ولهذا فلا يمكننا القطع بنجاح صحافة المؤسسات وفشل صحافة الفرد أو العكس، لأن النجاح يرتبط بعوامل أخرى بعيدة تماما عن كون الصحيفة ملكا لجماعة أو خاصة بفرد.

ومع هذا، فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر أن معظم الصحف التي قامت في عهد المؤسسات قد فاقت ماقبلها في جودة التبويب وحسن الاخراج وأهتمت بالشكل والمظهر اهتماما بالغا.. أما عن المادة الصحفية فلا جديد في الموضوع.

وصحف المؤسسات لم تفِ - بعد - بكثير من مقتضيات نظام المؤسسات الصحفية والتي أوجبت عليها بعض الاستعدادات وأوجبت تهيئة مزيد من الامكانيات الصحفية والإعلامية.

ومهما يكن، فإن صحيفة يمتلكها أكبر عدد ممكن من الناس قد تكون أقرب إلى قلوب الناس من صحيفة يمتلكها فرد واحد.. ولا أنكر بهذا أن صحفا - قبل عهد المؤسسات - كانت تتمتع برواج شعبي.. ولكنها بعض الصحف.. وكان لأصحابها تقدير خاص في نفوس الناس.

وأكرر ـ هنا ـ أن نجاح الصحيفة ليس مرهونا بكونها مؤسسة أو فردية . . وإنما بمدى مايمنح لها من امكانيات ومن انطلاق.

(*) اليمامة ـ العدد ٤٩ في ٣/١١/١٣٨٤هـ.

نقـاش لا يحسـن

قال صاحبي: أرأيت كيف أن الصحيفـة الفـلانية قد سلطت الأضـواء على المشكلة الفلانية دونما سبب موجب؟!.

قلت مقاطعا: إسمح لي.. فهي ليست مشكلة.. إنها قضية نظرية.. ولست أشك في أن بحث مثل هذه القضية غير لائق ولا هو بحسن.. إذ يجب أن نسمو في أفكارنا وأهدافنا..

قال الصاحب: ولكن ذلك النقاش جاء بحسن نية..

قلت: هذا صحيح.. ولهذا فلا لوم ولا عتب..

إن طَرْق هذه الموضوعات ليست نتائجه إيجابية على أية حال.. بل هي تأتي بنتائج عكسية.. فهي قد تثير دفائن وقد تخلق مشكلات لم يكن لها وجود.. فهذه القضية التي أضفي عليها بعض الكاتبين صفة الخطورة وأنها قد عاقت نمونا الفكري والاجتماعي.. هي من الأمور الوهمية ولا وجود لها إلا في مخيلة الكاتبين عنها.

إن الناس في هذا البلد ـ بحمد الله ـ سواسية أخوة متحابون تجمعهم روابط متينة مكينة.. ولم يقل أحد أن هذه القضية قد وقفت في وجه مصلحة أي مواطن.

وتلاشي هذه الظاهرة ـ إن كان لها وجود مؤذٍ ـ لا يكون إلا بالعلم والمعرفة وانتشار الـوعي الثقـافي والاجتـماعي مع الأخـذ بعـين الاعتبـار عامل الزمن، أما مناقشتها بهذهالصورة الساذجة فذلك مما يلهب ضرامها ويزيدها شدة.

(*) اليمامة ـ العدد ٤٩ في ٣/١١/١٣٨٤هـ.

عـرس الريـاض

ومع فجر هذا اليوم، وهو أول أيام العام الهجري الجديد ١٣٨٥هـ، يستقبل المواطنون في مدينة الرياض، بل وفي المملكة جميعها، أول عدد من أول صحيفة يومية تصدر في هذه المدينة.

وصدور هذه الصحيفة يأتي دليلا جديدا يضاف إلى أدلة كثيرة سابقة على تطور نهضتنا وعلى تفتح الوعي لدينا.. فالصحافة هي آية هذا الزمان كما يقول أحمد شوقي رحمه الله، وهي أداة خطيرة من أدوات الإعلام.. ومتى أُسيء استعمالها عادت على الوطن والأمة بالويل والدمار.

ولقد كان مما يحز في النفس ويقلقها أن تظل الرياض - وهي قلب الجزيرة النابض - طيلة الأيام والسنوات المنصرمة خلواً من صحيفة يومية تحكي وثبة هذه الجزيرة وأخبارها وتكون همزة وصل بينها وبين خارجها.

قبل أشهر، زار جريدة اليمامة، الجريدة الأم، واسمحوا في هذه التسمية فقد كانت اليمامة لنا نحن الشباب نِعم الرائد ونِعم المدرسة وستظل كذلك بإذن الله - أقول زار اليمامة وفد صحفي أجنبي كان يزور البلاد يومئذ بدعوة من وزارة الإعلام، وتطرق الحديث إلى عدم وجود صحيفة يومية بالرياض، واستغرب الوفد هذا الوضع النشاز، ووجدت نفسي في حرج شديد عندما تساءل أحدهم عن سبب عدم وجود مثل هذه الصحيفة، وكنت أحاول عبثاً أن أجد مبرراً معقولا يعفي شبابنا وقادة الرأي لدينا من تبعة ذلك متعللا بضعف الامكانيات والخبرات الفنية. ولكن أحدهم قال: ولماذا لا تعملون على تحقيق الامكانيات وجلب الخبرات؟ إن كل شيء متوفر لديكم؟.. وقد أوقعني كلامه هذا في حرج أشد، فسكت على مضض.

وبعـد.. فها قد تحققت الأمنية.. وهاهي (الرياض) بين يدي القاريء.. وهي تُمثـل جواباً لتسـاؤلات ظلت تتردد في المـاضي.. فعسى أن تسلك الـرياض ورصيفاتها الغراوات في شتى أنحاء المملكة مهيع الحق والصواب، - وأن تكون مع

رصيفاتها ـ مثلا أعلى في الصحافة . . وعسى ألا تكون كتلك التي عناها حافظ إبراهيم بقوله :

صحافة ما خُطَّ فيها حرفُ   إلا لتوهيم وتضليل
يحلو بها الكِذْب لأربابها   كأنها أول (أبريل)!

والعصمة ـ أولاً وآخراً ـ بيد الله .

(*) الرياض ـ العدد الأول في ١/١/١٣٨٥هـ .

عن الصحافة . . أيضًا

قلت، في كلمة الأمس، إن الصحافة أداة خطيرة من أدوات الإعلام، ومتى ما أُسيء استعمالها عادت على البلد وأهله بالويل والثبور.

وذلك أن مسئولية الصحافة . . أو مسئولية القلم عموما . . هي من أشد المسئوليات خطورةً وبُعْدَ أثر . . والذي يلعب بالكلمة كمن يلعب بالنار تماما، بل ربما فاق خطر الكلمة خطر النار في معظم الأحيان.

مسئولية الصحافة تتمثل في التوجيه السليم، والدلالة على سبل الخير والحق واليقين.

مسئولية الصحافة تتمثل في تحرير العقول والأفكار والأذهان من شوائب العفن والاتكالية والأنانية، وفي بث روح العزة والكرامة والشمم ومجابهة الحياة بإيجابية ومرونة.

مسئولية الصحافة تتمثل في الصدق، وفي الصراحة المعقولة، وفي الابتعاد عن مضان الشبهة والنفاق، وفي عدم إلباس الباطل لباس الحق.

مسئولية الصحافة تتمثل في البناء الخلقي.

ومادام أن مسؤولية الصحافة بهذه الخطورة . . ومادام أنها ذات تأثير كبير في الإعلام والتوجيه، فإنها متى ماحادت عن هذا النهج ـ نهج الحقيقة ـ فقل عليها، بل وعلى البلد وذويه ـ ألف سلام وسلام.

لذا، فإن أملاً يحدونا بأن تسير صحافتنا على خط مستقيم، لا عوج فيه ولا أمتاً، وما أجدر صحافة بلادنا بسلوك هذه السبيل . . فإن أهل هذه البلاد قد جُبلوا على الحق والصدع به . . وهم ـ من بعد ـ لم يتأثروا بفوضوية النداءات الفارغة والأهواء الخادعة التي يعج بها عالم اليوم. والعقل (الخام) القابل للتوجيه السليم مازال لدينا ـ بحمد

الله ـ بعيدًا عن مجريات التيارات الخاسرة. والفطرة العربية مازالت تحكم معظم تصرفاتنا.

ومن هنا، أيضًا، تبدو مسؤولية الصحافة السعودية بالذات ـ مسئولية مزدوجة، بل وأبعد في الأثر والخطورة والعمق من سواها.

(*) الرياض، العدد ٢ ـ في ٢/١/١٣٨٥هـ.

ديوان للتفتيش . . .

لا تكـاد تخلو وزارة أو دائـرة حكومية من وجود قسم بها للتفتيش. والتفتيش ضرورة إدارية تتطلبها المصلحة العامة لمراقبة سير الأمور في الوزارة أو الدائرة ولضمان تمشيها في حدود مقتضيات الواجب والنظام.

ولكن المشـاهـد أن هذه الأقسـام، تكـاد تكـون معـطلة من أداء واجبـاتهـا المفـروضـة. . والذين يعملون بها قد لا يجدون أمامهم من التعليمات والصلاحيات والتشجيع مايمكنهم من أداء مهمة التفتيش كما يجب أن تكون.

هذا علاوة على كون جهاز التفتيش في الدائرة جزءا من جهاز الدائرة نفسها، وهذا قد لا يجعله متمكنا من التفتيش المطلق على شئونها ومراقبة سير العمل المناط بها.

لذا، ولكي يكون التفتيش ذا فعالية تامة وأثر كبير في تقييم الإدارات، ومواجهة الأخطاء وتصحيحها، وردع كل عابث، والسير بالأمور كما يجب أن تسير ـ لكي يكون التفتيش كذلـك، فإن الأمـر يقتضي إنشـاء ديوان مركـزي عام للدولة يتولى شئون التفتيش، يأخذ على عاتقه مهام التفتيش لجميع القطاعات العامة، ويكون مشتملا على جميع فروع التفتيش المختصة، ويُزود بعدد كافٍ من الكفاءات المخلصة المختصة، ويرتبط هذا الديوان مباشرة برئيس مجلس الوزراء. . على أن يسبق مباشرته لأعماله ـ طبعـا ـ تقنـين نظام متكامل يحدد صلاحياته واختصاصاته ويرسم طريق العمل له وعلاقته بالمصالح الحكومية الأخرى.

وأحسب أن في ذلك تحقيقا جماً لمصلحة الدولة وانتظاما لسير الأعمال على الوجه الأمثل.

(*) الرياض، العدد ٣ ـ في ٣/١/١٣٨٥هـ.

تقسيماتنا الادارية

تقسيماتنا الإدارية للمناطق تقسيمات عجيبة غريبة . . وكل وزارة تختط لنفسها تقسيما إداريًا خاصًا بها . .

والمفروض أن يكون التقسيم الإداري للمناطق موحدا بالنسبة لجميع الوزارات والمصالح . .

ومن ناحية أخرى، فالتقسيم الإداري المتبع حاليًا بالنسبة لوزارة دون أخرى تقسيم ليس له سند من واقع أو منطق .

ولنضرب لذلك مثلا بإحدى الوزارات . . ولتكن وزارة المعارف، إنها تقسم المملكة إلى مناطق تعليمية . . ولكن هذا التقسيم يبدو غير قائم ـ كما قلت ـ على أساس من الواقع . . فبينما نجدها قد جعلت من المنطقة الشرقية بأكملها (من حدود قطر جنوبا حتى حدود الكويت والعراق شمالا . . ولربما إلى حدود الأردن) منطقة تعليمية واحدة نجدها تقيم في منطقة أخرى من مناطق المملكة نحواً من خمس مديريات للتعليم . . وتقسيم هذه المنطقة إلى مناطق تعليمية خمس يبدو شيئا معقولا إلى حد . . ولكن الذي يبدو غير معقول أن تبقى منطقة واسعة، مترامية الأطراف كثيرة المدارس والمعاهد، كالمنطقة الشرقية تنتظمها مديرية تعليمية واحدة فقط . . ومايقال عن المنطقة الشرقية يقال أيضاً عن مناطق أخرى من المملكة . . ومايقال عن وزارة المعارف يقال أيضًا عن بعض وزارات أخرى .

ومهما يكن، فإن لنا أملا بتدارك هذا الوضع وبتقسيم المناطق تقسيما إداريًا ملائمة ومتناسبا، وخاصة عند تطبيق نظام المقاطعات، المزمع قريبا .

(*) الرياض، العدد ٥ ـ في ١٣٨٥/١/٥هـ .

فكرة جميلة . . ولكن

قيل لي ـ والعهدة على الراوي ـ إن أمانة مدينة الرياض تفكر في اخراج تاريخ لهذه المدينة، وقيل لي أنها طلبت من بعض الكُتّاب موافاتها بمقالات تتعلق كل منها بجانب من جوانب الحياة الحاضرة أو الماضية في هذه المدينة.

وفكرة اخراج هذا التاريخ فكرة جميلة، تشكر عليها الأمانة بلا شك، ولعلها بهذا تريد أن تحذو حذو بلدية جدة التي احتضنت اخراج تاريخ لتلك المدينة قام بتأليفه أحد الكُتّاب المعروفين وهو الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري.

ولكن الشيء غير الجميل وغير المستساغ، هو تلك الطريقة التي أرادت بها أمانة مدينة الرياض تأليف هذا الكتاب. . فهي ـ على مايظهر ـ تريد أن تضطلع بدور المؤلف أو الجامع لمادة الكتاب لتخرجه بالصورة التي تراها. . وكان المنطق والمعقول أن تترك الأمر لأهله فتعهد إلى أحد كُتابنا المتضلعين في التاريخ ليتولى بنفسه تأليف الكتاب، وتتولى هي فقط نفقات طبع الكتاب، ودفع المكافأة المناسبة للكاتب. . هذا هو الوضع الطبيعي عندما تريد (الأمانة) اخراج تاريخ متكامل وافٍ.

أما إذا كان الغرض من هذا الكتاب، هو التعريف بنهضة هذه المدينة وبتطورها في شتى الميادين، مع الالماح ـ في اقتضاب ـ إلى شيء من تاريخها. . فقد لايكون ذلك من اختصاص الأمانة. . قد يكون ـ مثلا ـ من اختصاص وزارة الإعلام.

لنا رجاء أخير، نوجهه للأمانة الموقرة، وهو أن تعهد بكتابة هذا التاريخ إلى مؤرخ قدير من أبناء هذه البلاد، ليأتي هذا الكتاب تاريخا حقا.

(*) الرياض، العدد ٦ ـ في ٦/١/١٣٨٥هـ.

عـود على بـدء . .

فكرة التوقيت الزوالي، واحلاله محل التوقيت الغروبي المعمول به لدينا، فكرت كتبتُ عنها، وكتب معي عنها آخرون. قبل أكثر من عام، في صحيفة اليمامة.

وقد لاقت الفكرة استحسانا كبيرا عند كثير من الناس، وتمنوا لو أصبحت الفكرة حقيقة ماثلة، لأن هذا التوقيت ـ أعني التوقيت الزوالي ـ هو التوقيت العملي الذي يلائم الحياة اليوم ويحقق فائدة أكبر.

وبعد ذلك بأشهر، سمعت أن مؤسسة (فورد) التي استقدمتها الدولة لتنظيم الأجهـزة الإدارية بها، قد تقـدمت باقتراح عملي إلى لجنة الإصلاح الإداري العليا باستخدام التوقيت الزوالي بدلا من التوقيت الغروبي الذي نسميه ـ خطأ ـ التوقيت العربي، مع أن التوقيت العربي الصميم هو توقيت الزوال.

وإن الباعث لإعادة الكلام عن فكرة التوقيت الزوالي هنا، هو الخشية أن يكون ذلك الاقتراح قد أخذ منه النوم مأخذه، أو أن يكون قد اعتراه شيء من الكسل أو التراخي.

إننا نستعجل المسئولين في سرعة البت في مثل هذا الاقتراح، ونعتقد أن استعمال ذلك التوقيت لا يتعارض اطلاقا مع أية مصلحة كانت، دينية أو اجتماعية أو غيرهما، بل فيه تحقيق لهذه المصلحة.

وأعتقـد أن الأمـر في غاية البساطة، وهو لا يتحمل كل هذا التأخير، كما لا يتحمل مزيدا من الدرس أو النقاش والتفكير، ولن يقف في وجهه ـ كما قد يُظن ـ معارض.

وأحسب أن أمراً في غاية البساطة، وله نتائج عملية مثمرة، قمين به أن يحظى بالاهتمام وبسرعة التنفيذ، وقمين به ألا يكون مدعاة للتردد.

(*) الرياض، العدد ٧ ـ في ١٣٨٥/١/٨هـ.

مهلا . . ياهؤلاء!

كل شيء منشؤه من ضعف. هذه حقيقة لا يماري فيها أحد. والذين انتقدوا صحيفة (الرياض) في يومها الأول أو أسبوعها الأول، لم يكونوا يجهلون هذه الحقيقة ساعة النقد، ولم يكونوا ينكرونها.

وإذن، فما هو الدافع لهم على النقد. . ؟.

أغلب الظن أن الدافع كان انتظارهم صدور هذه الصحيفة منذ مدة، بفارغ الصبر.

كانوا يتصورون شكلها ومادتها على نحو معين لم يتحقق عند صدورها. . ثم إن الحماسة للصحيفة، إن لم نقل الحب والتطلع إلى ميعاد خروجها كانا مسيطرين على أذهان هؤلاء الناقدين، فلما جاءت الصحيفة على نحوٍ ماكانوا ليرغبونه نوعًا اعتراهم نوع من الصدمة.

ربما كان ذلك. . ولكني أؤكد أن (الرياض) قد نجحت منذ صدورها قبل أسبوع، بل إنني اعتبر مجرد صدورها نجاحا كبيرا جدًّا، لأن صدورها قد تخطى عقبات كثيرة مضنية لا يعلمها إلا القليلون. ولو تأجل صدورها انتظارا لزوال تلك العقبات لتخرج بالصورة التي كان يتوقعها أولئك الناقدون لاحتاج الأمر إلى وقت كبير، وهذا مايجب تحاشيه بالنسبة لمدينة كبيرة كالرياض تفتقر افتقارا كاملا إلى صحيفة يومية.

لتخرج الرياض ـ الجريدة ـ بأية صورة فذلك ـ قطعاً ـ خير من عدم صدورها. ولتكن أيام (الرياض) أو حتى أشهرها، الأولى فترات تجريبية. . فالتجربة طريق البناء الصحيح.

أما بعد أن تمضي فترة على صدورها فلنحاسبها حساباً عسيراً، ثم لنصدر حكمنا عليها، وذلك أيضاً بعد أن نلم بظروفها العامة.

ولقد استرعى انتباهي، في عدد الأمس، مقال للأستاذ حسن قزاز ـ وهو الذي

قد عاش التجربة من قبل في جريدة البلاد ـ فقد تضمن هذا المقال كثيرا من الاقتراحات وتوخي مدارج التقدم . . لقد جاءت مقالة الأستاذ القزاز هي الوحيدة من بين تلك المقالات الناقدة، جاءت الوحيدة لأنها سلكت طريق الايجاب فاعترفت بالأخطاء التي تتعرض لها الصحيفة ـ أي صحيفة ـ في مستهل صدورها. ولهذا فكم كانت (الرياض) مشوقة إلى مقالة كهذه وليس إلى مقالات تنتقد في سلبية متعالية.

(*) الرياض، العدد ٨ ـ في ١٣٨٥/١/٩هـ.

معاضدة الفلاح . .

جاء موسم الصيف، وبدأ انتاج الفلاحين من الخضار والفاكهة يغمر الأسواق بكميات وافرة كبيرة، وتبع ذلك انخفاض مذهل في أسعار هذا الانتاج، وأصبح السعر الذي يبيع به الفلاح بضاعته لا يعادل الا بعض تكاليف انتاجها.

تلك مشكلة تتكرر كل عام، ويكتوي بنارها الفلاح وحده، وهي قطعا عامل كبير في زعزعة ثقته بنفسه وفي جعله يفكر في الانصراف عن مهنته، أو على الأقل في عدم زراعة المحاصيل الكاسدة.

ونظراً لأن هذه المشكلة تتكرر عاما بعد آخر، ومع كثرة الشكاوى من هذا الوضع وكثرة المقترحات الرامية إلى علاج المشكلة، فإن وزارة الزراعة مدعوة مجددا لوضع خطوة من شأنها شد أزر الفلاح في هذا الأمر.

ولكون هذه الوزارة يتولى قيادتها ويمسك بزمامها شباب أكفاء قديرون عاشوا في بيئة زراعية ويدركون أكثر قضايا الفلاحة ويعرفون عن كثب مايعاني منه الزُّراع؛ فإنني لا أزال كبير التفاؤل، وإنني ـ مع آلاف المواطنين ـ نتطلع إلى القائمين على شئون الزراعة ـ في ثقة تامة بأن يعيروا هذا الموضوع ماهو أهله وماهو جدير به من رعاية وعناية.

وإني أعيد هنا اقتراحا سابقا، قلته قبل مدة، وهو أن تضع الوزارة خطة تسويقية محكمة للمنتوجات الزراعية، فتتولى ـ ولو عن طريق مؤسسة عامة تنشأ لهذا الغرض ـ شراء انتاج الفلاح بسعر مربح له، وتتولى حفظه في مستودعات للتبريد، ثم تبدأ في تسويقه وبيعه ـ ولو بسعر منخفض قليلا عن سعر الشراء ـ فتكون بذلك قد ضمنت للفلاح ربحا واستمرارا في الانتاج، كما ضمنت تواجد هذه المنتوجات مدة أطول من المدة التي توجد بها الآن في الأسواق والتي لا تتجاوز الثلاثة شهور.

وإن هذه الخسارة التي قد تتحملها الدولة، في الفرق بين السعرين يمكن

اعتبارها بمثابة اعانة للزراع على نمط الاعانة التي تُعطي لمستوردي المواد الغذائية من التجار. . أليست المنتوجات الزراعية ـ من خضار وفواكه وحبوب وغير ذلك ـ من أهم المواد الغذائية. . علاوة على كونها مواد محلية لا مستوردة؟!.

إن لنا من اخلاص المسئولين في حكومتنا المظفرة لوطيد الأمل وأقواه.

(*) الرياض، في العدد ٩ في ١٠/١/١٣٨٥هـ.

السعـــادة

السعـادة . . هذه الكلمة الحلوة الجميلة . . والتي يتوق إلى تحقيق معناها كل واحد منا وتحلم بالعيش في ظلها كل نفس . . ماذا تعني؟ . . وما حقيقتها؟ .

إنها تعني ـ طبعا ـ شعور المرء بأنه يعيش عيشة متكاملة ، وأن شيئا من منغصات الحياة لا يعتور هذه المعيشة ، بل هو يجد نفسه في حالة نفسية تقوم على الاقتناع التام بالواقع وعلى راحة البال والضمير.

ولا يعني الاقتناع التام بالواقع قتل عامل الطموح في النفس . . وإنما يعني ـ هنا ـ عدم التذمر وعدم الاضطراب النفسي أو اضطراب الغايات .

والسعـادة تتفـاوت ، في مظهرها ، من شخص لآخر ، فقد يتصورها واحد في جانب معـين من جوانب الحياة ، بينما يتصورها آخر في جانب ثانٍ ، وقد يكون هذا الجانب الثاني معاكساً للجانب الأول . .

ليس المال ـ مثلا ـ مظهرا للسعادة ولا معبرا عن حقيقتها في كل الأحوال ، فكثيرا ما نجد فقيراً معدما بائسا يعيش حالة سعيدة تفوق ألف مرة حالة رجل يمتلك الملايين .

وليست السعادة في مركز مرموق ، مغمور بالأضواء ، ينظر صاحبه إلى الناس من عل ، فإن شخصا عاديا يزاول عملا يسيرا قد يكون أسعد بمراحل من ذلكم الكبير . صاحب المركز المرموق .

إذن فالسعادة من الأمور الاعتبارية . . وهي تختلف ـ في شكلها وفي واقعها وفي مدعاتها ـ من مفهوم إلى آخر ومن شخص إلى غيره .

هذه السوانح التي أقولها عن السعادة ، كانت وحي تأمل في حياة شخص لا

أجهله، لا يملك من الدنيا شروى نقير، ومكانته الاجتماعية دون المتوسط بكثير. ولكنه غني بنفسه، سعيد بواقعه، لا يكاد يشعر بملل أو قلق أو تعس.

(*) الرياض، في العدد ١٢ بتاريخ ١٣/١/١٣٨٥هـ.

مرارة الحقيقة

«الحقيقة وقحة، وأصحابها وقحون..».

هكـذا قال فيلسـوف لا أتذكر اسمه الآن.. قالها فأصاب كبد الحقيقة، ولم تنتظمه مع ذلك، قائمة الثقلاء..

الحقيقـة وقحـة.. ولكن في نظر ضعاف النفوس ومرضى القلوب.. أولئك الذين حكى هذا الفيلسوف بلسان حالهم وواقعهم.

هناك فئات كبيرة من الناس لا تروق لهم الكلمة الصريحة، ويؤلمهم جدًّا ذكر الحقيقة.. يودون دائما العيش على أجنحة من الرياء والخيال والوهم المجسم..

ولا تبتعد كثيراً.. فقد يسوء صديقك أن تصارحه بأخطائه وعيوبه كيما يتلافاها ويطرحها جانبا في المرات القادمة.. بل قد يعتبر ذلك منك اهانة له وخدشا لشعوره وقلة أدب مقصوده معه، وهو إن لم يبادهك بهذا فسوف يحفظها في نفسه، ولن يقابل صراحتك بروح مرنة.

والصداقة إذا قامت على المجاملة والتغاضي عن العيوب وعدم النصح والتوجيه نحو الأحسن، فليست صداقة، وقد تكون صداقة منفعة.

وقد يغضب رئيسك إذا أنت ألمحت له ببعض مايجب اتباعه، على ضوء المصلحة أو النظام، نحو موضوعٍ ما.. بل قد يعتبرك مشاغبا في عملك، ومُعَرِّضًا بقدراته، وخصما لدوداً له.

والعلاقة في العمل إذا لم تبن على أساس من الصراحة فإنها تصبح أوْهىَ من بيت العنكبوت.

ما أحوجنا ـ صغاراً وكباراً ـ إلى تربية جديدة تقوم على الصراحة والصدق والمرونة واحترام الواجب بمعناه الواسع الكبير.

(*) الرياض، العدد ١٤ بتاريخ ١٣٨٥/١/١٦هـ.

بين الكاتب والقاريء . .

من السهل جدًّا على الكاتب، أي كاتب، أن يجرد قلمه وأن يستجمع مافي ذهنه من أفكـار، وأن يختار واحدة من هذه الأفكار لتكون موضوعا يستعرض فيه مجهوده العقلي، ويعرضه على الناس.

ومن السهل جدًّا أن يجد هذا الكاتب صحيفة تنشر له ماكتب، وأن تبرز كتابته بالشكل وبالصورة التي يريد.

كل هذا ممكن جدًّا. . ولكن شيئًا واحداً، غير ذلك، لا يمكن أن يكون سهلا. .

هذا الشيء هو أن يجد الكاتب، كل كاتب، قراء يتابعون كتابته وتحوز منهم الرضا والاعجاب ويشاركونه فيها الفكرة والرأي.

فالكاتب الحق يضع يده على قلبه عندما يقدم على كتابة موضوع ما وعندما يدفع بهذا الموضوع إلى الصحيفة لتنشره. . إنه يضع يده على قلبه خشية ألا يكون لكلمته مكانها من قلب القاريء.

إن القـاريء ـ بالنسبة للكاتب الحق ـ هو كل شيء. . ورضا القاريء يمثل الـذروة في أمـاني الكاتب. . وإذا شعر الكاتب أن مقاله قد حظي بالقبول وبتقدير القارئين فإنه ـ في هذه الحالة ـ يجد نفسه في وضع يغبط عليه أيما غبطة!.

وإن علاقة الكاتب بالقاريء، لهي من أدق الأمور حساسية وخطورة. . ولذا تجد الكاتب ـ عندما يعرض فكرة ما ـ في حالة هلع وترقب حتى تمر فترة الحكم على فكـرته، ويعرف بعدها ماكان للفكرة من وقع في النفوس. . ولا أكاد أتصور حالته النفسية وهو يجد فكرته تقابل بالرفض والاستنكار والاستهجان.

(*) الرياض، العدد ١٧ في ١٩/١/١٣٨٥هـ.

الاسراف في المشاعر

هل نحن عاطفيون حقا؟.

لنسأل أنفسنا مرة هذا السؤال.. ولنكن صريحين في اجابتنا..

فماذا سنقول..؟

إن الصراحة تستوجب منا أن نقول: نعم.. نعم، بملء أفواهنا.. نحن عاطفيون، ينتابنا التأثر لأول وهلة، فيستولي على مشاعرنا وعلى مفاهيمنا ويكيف تصرفاتنا وأعمالنا إلى حد كبير مزعج..!.

نحن نحب ونكره.. ونرضى ونغضب.. ولكننا نوغل في هذه المعاني إلى نهايتها في كثير من الأحيان.. إن أحببنا أحببنا كثيرا، وإن كرهنا كرهنا كثيرا. الحب، عندنا، غطاء كثيف يحول دون ادراك المعايب والنقائض.. والكره باب واسع نستقبل من خلاله كل عيب وكل نقيصة، بالحق أو بالباطل!.

فنحن نسرف في عواطفنا، ونعاني من تفاعل شعوري في أعماقنا لا نجد له من نهاية غير الانطلاق بشدة.. ليعلن حبا جارفا أو سخطا ثائرا.

ليتنا نقصد في مشاعرنا وليتنا نحد من سورة عواطفنا.. وليتنا نرتدي برد الاعتدال، عندما نفكر وعندما نتمعن وعندما نحاول اصدار حكم ما.

إن النظر للأمور بعين العاطفة، يعني ضمن مايعني أن جهودنا ومحاولاتنا ستظل قاصرة عن تحقيق أهداف الحياة في البناء والتطور والخلق والابداع.

فلنسْمُ في أفكارنا، ولنتجرد من عوامل العاطفة، ولنطرح مؤثرات النفس جانبا.. فهذا أحد سبل البناء.

(*) الرياض، العدد ٢٤ في ١٣٨٥/١/٢٧هـ.

المـادح والقـادح

كثير من الناس تنفتح أساريره عندما يمدحه الآخرون بما ليس فيه . . وقليل منهم من يسؤوه مديح الآخرين له حتى ولو كان مديحا بما هو فيه من جميل الخلال والصفات .

وليس لذلك من تعليل سوى عامل النفس ، فهي قد تكون مريضة ، وفي هذه الحالة تتقبل عفن القول وصديد الكلام بابتهاج وانشراح ، وقد تكون صحيحة ، وثمة فهي تنبذ كل قول لا يسنده واقع أو حقيقة .

والمدح إذا زاد عن حده يصبح قدحا وشتيمة . . فما بالك به اذا لم يكن ـ في أساسه ـ صادرا عن حقيقة؟ .

والمـادح لك بما ليس فيك ، لا يعـدو أن يكون ـ في حقيقته ـ ساخرا منك ، ضاحكا على (ذقنك) وبلاهتك ، مستغفلا لك . . كيما يحقق من وراء مديحه غرضا ما .

وخطر المادح يفوق خطر القادح في أحيان كثيرة . . فالقادح يجعلك دائما على حذر منه ، فتحسب حسابه وتتقي أذاه . . أما المادح فإن أماديحه تسدل ستارا ، قد يكون كثيفا ، على دخيلة نفسه .

ما أعظمنا لو قابلنا مادحينا بحثو التراب في وجوهم ، تطبيقا لقول نبينا الكريم .

وما أعظمنا لو قابلناهم باللطمات الحسية والمعنوية! . إن ذلك أقل مايجب علينا تجاههم .

(*) الرياض ، العدد ٢٣ في ١٣٨٥/١/٢٦هـ .

حيـاة جـامـدة

حياتنا الاجتماعية حياة رتيبة لا تجديد فيها، ولا تغيير، ولا ترويح، ولهذا فهي تبعث على السأم والملل وضيق النفس.

إن هذه الحياة هي عبارة عن حياة يوم واحد.. تتكرر أحداثها كل أربع وعشرين ساعة.. وليس فيها مايوحي بالحيوية أو الجدة أو المرونة ولا ما يدفع عن النفس السأم والكآبة والملل.

الموظف ـ مثلا ـ يستيقظ من نومه صباحا، فيتناول إفطاره. ويذهب ـ في بطء وتثاقل ـ إلى مقر عمله، ليمضي هناك فترة من الوقت يخرج بعدها إلى بيته ليتغدى وينام ثم يصحو ليستقبل الليل، وفي الليل يلتقي بأصحابه فيمضي معهم وقتا كبيرا يستوعبه في الكلام الفارغ أو في لعب (البلوت) ثم ينام ليصحو من الغد.

وهكذا ينتهي يوم ليبدأ بعده يوم ثان وثالث ورابع.. وأيام أخرى متتالية.. تبدأ وتنتهي بنفس الصفة والطريقة وعلى نفس النمط والأسلوب.

إنه ليس يوما جديداً.. ولكنه تكرار ليوم سابق.. فلا جديد فيه.. بل ولا طعم له ولا لذة.. وإنها لمجرد أيام تحسب على المرء من عمره وماهي منه.

ومثل الموظف، فئات أخرى وكثيرة من الناس..

أما الشباب ـ وخاصة في أيام العطل الدراسية ـ فكان الله في عونهم! إنها يجابهون حياة ملؤها الجدب الذهني والفراغ.. وربما نجم عن مجابهتهم لهذه الحياة تولد كثير من العقد النفسية التي يصعب حلها ونشوء بعض المشكلات الخلقية المشينة.

حبذا لو جرى تطعيم هذه الحياة بشيء من أسباب التسلية والترفيه البريء. وحبذا لو سُمح فيها ببعض الوسائل المجددة للروح والباعثة على النشاط.. مما لا

يتعارض مع عقيدتنا ومع تقاليدنا.

إن جمود الحياة ورتابتها وعدم تجدد مظاهرها، أمور تقتل في النفس روح العمل، وتجعل المرء يعاني من قضايا نفسه أكثر من معاناته لأي شيء آخر.

(*) الرياض، العدد ٣٠ في ١٣٨٥/٢/٤هـ.

الاخـــلاص

الاخلاص . . كلمة حلوة وعذبة وجميلة . . ولها معنى في النفس كبير . والذين يتصفون بها هم الخلاصة أو الصفوة المنتقاة بين قومهم . . خلقاً وضميراً وسمو نفس .

وأدعياء الاخلاص كثيرون . . في كل زمن وفي كل مكان ، ولكن هيهات هيهات ألا تكشفهم الأيام على حقيقتهم ! وهيهات ألا يفضحهم مجهر الحياة الأمين ! .

على أن لإخلاص المخلصين مظهرين ، وإن شئت فقل : إن دوافع الاخلاص ينتظمها مظهران : مظهر تكون دوافعه خشية (المخلص) من الآخرين ، خشيته منهم من أن يكتشفوا خيانته وعبثه ، فيكون هذا دافعا له ليعمل بجد وأمانة وبهذا فإخلاصه إنما هو نتيجة لرهبته من الآخرين وطمعه في أن ينال ثناء الناس وتقديرهم . . ليس غير .

ومظهر تكون دوافعه نوازع النفس والضمير . فالمخلص يتفانى في سبيل واجبه بوحي من ضميره الحي وبوحي من نفسه العالية .

والمظهر الأول . . أي الاخلاص المدفوع بعوامل الرهبة أو الطمع في الثناء ، ليس إلا اخلاصا مصطنعا أملته - في الواقع - المنفعة الذاتية ، فهو - على هذا الاعتبار - لا يختلف عن الخيانة والعبث بالواجب الملقى على عاتق صاحبه .

وأما المظهر الثاني . . أو الوجه الآخر للاخلاص . . فهو يمثل الطبع والحقيقة ، وهو الذي يعلو بصاحبه إلى مصاف العمالقة والافذاذ ويكتب له المجد والخلود .
وأحسب أن التمييز بين الاخلاص المصطنع والاخلاص الطبعي في نفوس ذويها ، ليس بالأمر العسير على ذوي الاذهان النيرة .

وأما (الاخلاص) الكاذب الذي لا جود له - أصلا - إلا في نفوس أدعيائه . . فهو شأن لا يلتبس حتى على الاغبياء من الناس .

تلك خواطر وأحاسيس لاحت لي - أمس - وأنا استعرض صورا حية لواقع بعض الناس . . ولم أجد مندوحة من أن أكتبها .

(*) الرياض ، العدد ٣٤ في ١٣٨٥/٢/٩هـ .

وأنا ويش دخلني . . ؟!

ما أكثر مايجب أن يكون موضوعا للكتابة والاقتراح، وما أكثر من يدفعهم حب الخير والاصلاح إلى تحسس مكامن الرأي والاقتراح.

ولا غرور، فهذه رسالة القلم . . رسالة تسهم ـ على قدر الطاقة ـ في نشر الوعي بمفاهيم الحياة وفي تطوير أسبابها ودعم وثباتها.

ولكن ما الذي يجنيه كاتب مخلص؟ أو ما الذي يُقابل به هذا الكاتب؟.

سؤال ـ أو سؤالان ـ أشعر بهما يترددان في صدري . . فلا أجد إلا جوابا سلبيا يعني ـ في نهايته ـ الدعة والاخلاد إلى الراحة والسكينة.

فكثيراً ما يتحمس المرء لناحية من نواحي الاصلاح فيحرق أنفاسه وأعصابه ودمه في غمرة حماسته . . ولكنه عندما يفرغ لنفسه ويتلفت يمنة ويسرة لن يجد إلا سلبية منهزمة تحيط بكل من حواليه . . ومع أن من حوله قد يشاركونه الإيمان بالفكرة . . إلا أن كل واحد لا يبرح يردد بينه وبين نفسه: (وأنا ويش دخلني)؟!. وحينئذ يجد المرء نفسه في حالة سخط وتشاؤم ويأس حتى ليكاد يقول مع القائلين (وأنا ويش دخلني)؟!.

لعمري . . أن التقدم والرقي لا يأتيان من هذا الفكر السلبي المقفل . . ولكنه يأتي من طريق شعور كل فرد في المجتمع بأن رأيه وبأن صوته بمثابة لبنة تضاف إلى لبنات أخرى ـ هي أصوات غيره وآراؤهم ـ وأن من الجميع تتكون الوجهة الإيجابية الصائبة.

بل إن صاحب الرأي قد يكون محدودا في فكرته وفي مقترحه ونظرته، فتأتي آراء الآخرين لتقوي من بناء الفكرة ولتسد منافذ الخلل فيها ولتجعلها حية مشبوبة العزم تتطلب التنفيذ العاجل.

ومع ماقلت، فإن على الكاتب أن يكون متفائلا. . وألا يدع لليأس والهزيمة سبيلا إلى فكره وقلمه. .

ليقل كلمته ويمشي، كما يعبر فيلسوف الفريكة الريحاني، وليدع الدنيا تسير، فإنه قد أدى ضريبة قلمه.

(*) الرياض، العدد ٣٦ في ١١/٢/١٣٨٥هـ.

اتقـاء المذمـة

يقول شاعر قديم، وأظنه بشار بن برد:

مقـالـة السـوء إلي أهـلهـا — أسرع من منـحـدر سائـل

ومـن دعـا الـنـاس إلى ذمـه — ذمـوه بالحـق وبـالـبـاطـل

حقا.. إن مقالة السوء سريعة الوصول والانتشار.. والناس يحتفون بها أكثر من احتفائهم بكلمة الخير.. ولكن كيف يدعو المرء غيره إلى ذمه؟. وهل يتصور الذهن أن أحدا سيقوم بهذه الدعوة لنفسه؟.

إن ذلك مما لايمكن تصوره إلا مع المجاذيب أو المصابين بنوبات الهوس والجنون.

ولكنه حقيقة مسلم بها.. ومجتمعنا ينتظم عدداً من الأفراد يدعون الناس - في كل لحظة وفي كل ساعة - إلى مذمتهم والقدح فيهم.

إن الشخص الذي يتخلى عن معاني الواجب والخلق مثلا، إنما هو شخص يدعو الناس - من طريق غير مباشر - إلى ذمه وشتمه وذكر سيرته بكل عمل سيء.

وهو - قطعا - يستحق الذم والشتم.. بل ويستحق النكال والعقاب.

وإن الموظف الذي أُؤتمن على عمل ما، ولكنه لم يرع حق الأمانة، ولم يرع حق الاخلاص، بل استغل نفوذه لمصالحه الشخصية، وعبث بواجبه الملقى عليه، وفرط في الحق العام، وأجاز لنفسه التصرف فيما هو تحت سلطته تصرفا مطلقا، كما لو كان ماله الخـاص وأساء علاقاته في العمل مع زملائه ومرؤوسيه - إن مثل هذا الموظف يدعو الناس - علانية - إلى ذمه وذكره بالسوء والشر، بمناسبة وبدونها - وهم - أي هؤلاء النـاس - لن يكتفـوا بذمه بالحق.. بل سيذمونه أيضاً ولو بالباطل.. وإذا تواترت الروايات وكثر القيل فيه، واتضحت حقيقته فإن يومه سيكون أسود.

وما على من يريد السمعة الحسنة لنفسه، وكسب الآخرين إلى جانبه، واحتلال المكـان المنـاسب من قلوب النـاس ـ ماعليه إلا أن يلتـزم دروب الحق والـواجب، والفضيلة، والأمانة والاخلاص، وحسن العشرة والمعاملة.

(*) اليمامة، العدد ٣٨ في ١٤/٢/١٣٨٥هـ.

التجرد من الهوى

لو تعارضت المصلحة العامة مع مصلحتك الشخصية في موضوع ما. . وكنت في وضع يمكنك تماما من البت في الأمر بتا حاسما دون أن تلحقك مسؤولية أو تحوم حولك بعض الشبهات، بمعنى أن يكون رقيبك هو ضميرك ـ لو حدث هذا التعارض فبماذا سوف تحكم؟.

من الناحية المفروضة. . أو الناحية النظرية. . سوف تدع المصلحة الذاتية جانبا. . وسوف تنفذ ما فيه المصلحة العامة.

ولكن من الناحية الواقعية. . أو الناحية العملية. . سوف تبقى مترددًا بعض الوقت. . ولكنَّ نوازع الجشع وعدم الشعور بالرقابة ربما دفعاك دفعا شديدا إلى نبذ مافيه المصلحة العامة وتنفيذ مافيه المصلحة الخاصة.

ليس هذا الحكم الذي أقوله الآن ساريا على كل الناس، فالناس فيهم الأخيار وفيهم الأشرار، ولكنه حكم ينطبق على مجموعة كبيرة منهم.

ولو رحنا نتقصى الأسباب، لما خرجت عن كونها أسبابا تربوية بحتة، فالتربية الأساسية لا تُعنى بتنشئة المرء فينا على أنه عضو حيوي في مجتمعه وأن محاولته إلحاق الأذى والضرر بهذا المجتمع إنما تعود ـ في الحقيقة ـ عليه هو نفسه، ولو بطريق غير مباشر.

ولهذا النقص في التربية الأساسية لدينا، رأينا المجتمعات الغربية المعاصرة تفوق المجتمعات الشرقية، من هذه الناحية، وتبزها كثيراً، ورأينا أنفسنا في تخلف فكري شنيع يجعلنا عاجزين عن الأخذ بأسباب الحياة الصحيحة.

فما أحوجنا إلى تربية وطنية نفسية سليمة، عمادها الضمير، وسندها الخلق القويم.

وما أحوجنا إلى العقول المجردة من ضعف النفس والهوى والغاية.

الرياض. العدد ٤٠ في ١٦/٢/١٣٨٥هـ.

بين التسرع والتروي

أيهما أكثر جدوى وأضمن للنتيجة المنشودة. . التسرع والاندفاع. . أم التريث والتروي؟.

الذي لا مراء فيه أن التسرع والاندفاع ضربان من ضروب النزق أو الهوس، وليس لهما من نتائج سوى الانزلاق بصاحبهما إلى الهاوية.

والشخص الذي يريد عبور الحياة وشق سبيله فيها على أتم وجه وبأرجى نتيجة، مستعملا التسرع والاندفاع في أفكاره وفي أعماله، هو شخص مكتوب عليه الفشل الذريع من المرحلة الأولى.

إن الهدف لا يُبنى على التسرع والاندفاع مع جمحات النفس. . ولكنه يبنى على التفكير ومقايسة أمور الحياة مع بعضها وتقليب أوجهها والمفاضلة بينها. . وكل هذا يستوجب الريث والأناة.

وإن قضايا الحياة لا تعالج ـ العلاج الناجع ـ إلا بالحكمة والتعقل، وبالنظر إلى الحياة والناس بعين الواقع.

كما أن مراعاة الملابسات العامة أو الخاصة التي تكتنف الواقع الخاص لفرد أو لجماعة من الناس أو لشأن من الشئون، هذه المراعاة هي من الأمور الضرورية لشخص يريد اقتحام خضم الحياة بنجاح تام.

ذلك أن التروي والتريث وعدم الانصياع مع نزوات الشعور صفات تتيح للمرء أن يدرس ماهو مقدم عليه من عمل دراسة وافية مكتملة، وتتيح له تقليب الموضوع ـ بشتى أوجهه ـ ليتكون له من ذلك في النهاية وجهة نظر سليمة يبني عليها عزمه وإرادته.

فلنضبط من فورات النفس الجامحة، ولنحد من طيش العواطف المندفعة.

الرياض. العدد ٤١ في ١٧/٢/١٣٨٥هـ.

رضـا النـاس

تقـول الحكمـة المأثورة: (رضا الناس غاية لا تدرك). . والواقع أن رضا كل الناس أمر إلى المحال أقرب. . وتلك حقيقة يلمسها كل من اضطرته المصلحة وعلاقة العمـل إلى الاحتكـاك بهم. . فالأفكـار متبـاينة جودةً ورداءة، والعقول متفاوتة قوة وضعفـا، والمشـارب متضـاربـة يمينـاً وشـمالاً، والمقـاصـد والغايات تسيّرها المنافع والمصالح. . فلذا تجد من العسير عليك جدًّا أن تحظى برضا الآخرين. . أقصد برضا الناس كلهم.

على أن لهذه الحكمة مفهوما خاطئا لدى كثير من الناس. . فكثيرا مايعزو الواحد من هؤلاء فشله أو عجزه عن أداء عمله إلى هذا المفهوم. . وهو مفهوم هدام لا يعني سوى الاتكالية وتثبيط الهمة والركون إلى الدعة والراحة.

صحيح أن رضا الناس ـ جميع الناس ـ من الغايات الصعبة المنال. ولكن رضا الناس ـ أغلب الناس ـ هو من السهولة والامكان والادراك بمكان.

ويكفي المرء أن يحوز رضا «كرام الناس» ليقال عنه أنه حاز رضا الجميع.

وهذا الرضا يكون بالجد والتفاني في الواجب، وبالاخلاص والأمانة على ماهو مسئول عنه، وبعدم التفريط أو التهاون في شأن من الشئون الداخلة في نطاق عمله، وبتحسس مكامن الخير والحب والصلاح.

فمتى ما أدَّى الإنسان مايفرضه عليه واجبه العام والخاص، فهو ـ بهذا ـ قد استحق رضا الناس ـ كل الناس ـ وإن لم يعترفوا له جميعا بالجميل. . أما أن يتقاعس ويفرط في واجبه ويلوذ ـ عندما يصارحه الآخرون بخطئه ـ بالقول بأن رضا الناس غاية لا تدرك، فذلك ليس له من تعليل سوى الخيبة والعجز.

(*) الرياض ـ العدد ٤٣ في ١٣٨٥/٢/٢٠هـ.

لنضع حداً لهذا . . .

ظاهرة مؤلمة، إذا تُركت وشأنها فإننا نخشى أن يكون لها عواقب جد وخيمة على مستقبل بلادنا.

وهذه الظاهرة هي توافد شباب القرى إلى المدن الكبيرة بحثا عن لقمة العيش. . وأنا لا ألوم هؤلاء إذا هم تركوا قراهم، فإن معهم الف عذرٍ وعذراً. . ولكني أدعو إلى علاج جذري لهذه الظاهرة الخطيرة.

إذا قدر لك أن تزور قرية من القرى المتناثرة في بلادنا، فسوف يزعجك أنك لن تجد فيها إلا الشيوخ والنساء والأطفال. . أما الشباب. . أما سواعد الشباب والأيدي العاملة. . فقد أتعبتهم حياة القرية، ففروا إلى مناطق التجمع والعمل.

إن العلاج الجذري الذي أُوميء إليه لا يتطلب أكثر من تحقيق بعض المشروعات التي تنعش الحياة في القرية وتمدها بشيء من الأسباب. . وعماد القرية ـ قبل كل شيء ـ يقوم في الغالب على الزراعة. . وهذا يعني أن الاهتمام بهذا المرفق وتذليل العقبات التي تقف في سبيله هما من الزم الضروريات للانعاش القروي وبالتالي شدّ ابن القرية إلى أرضه وجعله يستثمرها ليفيد بلده وأمته وليستفيد هو نفسه.

ولعل معالي وزير الزراعة في جولاته المتتالية الأخيرة على قرى سدير والزلفي والقصيم، قد لحظ هذه الظاهرة وأدرك علاجها!.

وإذا كانت القرية في حاجة إلى الانعاش الزراعي وإلى تنمية موارد المياه، فهي أيضًا في حاجة إلى الرعاية الاجتماعية والصحية لتتوفر لابن القرية أسباب مكتملة من الحياة المعقولة والمقبولة.

إن ابن القرية إذا وجد في قريته مصدراً من مصادر العمل والرزق ـ ولو كان يسيرا ـ فإن من الصعب عليه أن يغادرها إلى سواها.

فلنهيء له في أرضه أسباب عيشه.

(*) الرياض ـ العدد ٤٤ في ١٣٨٥/٢/٢١هـ.

النـاس للنـاس

أمعن نظرك قليلاً في أية مهنة من المهن المعروفة . . وسائل نفسك: هل وجود هذه المهنة ضرورة اقتضتها الحاجة والمصلحة؟ .

لا شك أنـك مدرك أن تلك المهنـة أمـر لا يمكن الاستغنـاء عنه بحال من الأحوال . وتأمل أصحاب كل مهنة . . تأمل أهميتهم في الحياة .

ستجد أن التاجر يؤدي دوراً كبيراً في الحياة عامة . وكذا الحال بالنسبة للموظف الخاص أو العام . . وللصانع والنجار . . والطبيب والمهندس . . وغيرهم .

كل واحد من هؤلاء يعطي الحياة جزءاً من متطلباتها، وكل واحد منهم يمثل ضرورة من ضرورات هذه الحياة .

أنت ـ وهذا مثل ـ إن كنت تاجرا فأنت تقدم لغيرك احتياجاته من الغذاء والملبس وما إليهما . . وفي نفس الوقت تظل محتاجا أشد الاحتياج إلى خدمات الطبيب . . مثلا .

هكذا الحياة يكمل بعضها بعضا . . فهي ـ في مجموعها ـ تقوم على مبدأين : الأخذ والعطاء . . وبعبارة أخرى . . ليست الحياة سوى تبادل منافع بين أبنائها وإن لم يشعروا . . وقديما قال الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري :

النـاس للنـاس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

فأنت تسهم بجزء من واجب لابد من تأديته، لتأخذ مقابله متطلبات عمرك .

ولهذا، فالحياة أشبه ماتكون بشركة تعاونية، يسهم فيها كل فرد بنصيب معين ليستفيد من الامتيازات التي تقدمها هذه الشركة، وليحصل على شيء من الكسب لقاء اسهامه .

(*) الرياض ـ العدد ٤٥ في ١٣٨٥/٢/٢٢هـ .

كلام لا طائل منه . .

بعض الكاتبين مصاب بداء إسمه (شهوة الكلام) . . لأنك إذا قرأته ـ أي قرأت مايكتبه ـ لا تجد له معنى ، ولا تدرك له غاية أو هدفا . . فهو خواء في خواء ! .

وإني لأسأل نفسي أحيانا . . تُرى أي غرض يرمي إليه منشيء الكلمة من وراء قول كهذا؟ . . وأجد نفسي أمام أجوبة وتفسيرات عدة ربما كانت (شهوة الكلام) أقلها .

إن وقت القاريء ليس من الاغفال والاستهانة به إلى الحد الذي يتصوره هؤلاء الكاتبون . . وإن الحيز، الصغير أو الكبير ـ الذي يشغله كلام غير ذي بال وغير ذي فائدة أو نتيجة ليس رخيصا إلى هذه الدرجة .

نحن اليوم نعيش عصراً عمليًّا ، ولذا فإن رص الحروف فوق بعضها لم يعد بذي أهمية ، وقد انتهى عهد الزخرفة الكلامية التي كانت سائدة في العصور المظلمة للغة العربية .

وإن النـاس يريدون ، بل ويصرون على أن توضع النقط على الحروف ، وأن يكون الكلام مفهوما على الأقل .

أمـا الكـلام ، لمجـرد الكـلام فهـو ـ على أحسن التقديرات ـ اضاعة للوقت وللجهد ، وثرثرة لا طائل من ورائها . . ويجدر بنا ألا نوصف بذلك .

نعم ، يجدر بنا ـ كأمة ناهضة ـ مصممة على العمل والبناء وانتهاج سبل الجد ـ يجدر بنا ألا نضيع أوقاتنا في مثل هذا الهراء الأجوف .

(*) الرياض ـ العدد ٤٦ في ٢٣/٢/١٣٨٥هـ .

حمايـة الـذوق

شيء جميل جدًّا أن تتجاوب الإذاعة مع ماتكتبه الصحف. فقد قرأت ـ قبل يومين ـ رد سعادة المراقب العام لبرامج إذاعة الرياض حول ماكتبته هذه الصحيفة عن بعض الاغنيات التي تسيء إلى «الفن» والذوق لهبوط كلماتها ولحنها وأدائها، وقد قال سعادته إنه قد أوقف إذاعة أغنية معينة لهذا الغرض.

إننا نقدر له هذا الصنيع ولكننا ـ في الوقت نفسه ـ نرجو أن يعيد النظر في كثير من (الأغنيات) التي تقدمها الإذاعة، فيقوم بعملية نخل وتنقية ليبعد الطالح الذي يفتقد الأصالة والقيمة الفنية والموضوعية. وليبقي على النوع الجميل.!

وأمر ثانٍ، ألفت إليه نظر المسؤولين في وزارة الإعلام وهو: أنه يرد إلى هذه البلاد ـ خلسة ـ بعض (أصوات) يتم تسجيلها في بعض الأمارات العربية المجاورة وهذه (الأصـوات) على مستوى واطٍ من الاسفاف ورداءة التأليف والمعنى وسوء الغرض، حتى ليخيل إليك أن باستطاعة كل من هب وأدب أن يصبح شاعراً وملحناً ومطرباً.. الأمـر الذي أساء إلى الفن الصحيح وإلى الأذواق السليمة. فإلى هذه (الأصوات) نلفت نظر المسؤولين لمحاربتها قبل أن يتفشى أثرها وضررها في مجتمعنا.

وأعتقـد أن وزارة الإعـلام لن تعـدم وسيلة ـ بالتعاون مع الجهات الحكومية المختصة الأخرى ـ للقضاء على هذا اللون المنحرف من الغناء، وانزال أشد العقوبات على كل عابث بمقومات هذه الأمة الكريمة.

(*) الرياض ـ العدد ٥١ في ٢٩/٢/١٣٨٥هـ.

التروي عند الحكم على الآخرين

مانسمعه من الآخرين عن شخصٍ ما، بأنه حسن أو سيء، يجب ألا نأخذه بالقبول، في جميع الأحوال، فقد يكون وراء بعض الأقوال أغراض خفية لا ندري كنهها.

كثيراً مايحمل الواحد منا فكرة عن (فلان) بأنه سيء الطبع والمعاملة والسلوك، وأن النزاهة وسمعة النفس وحسن الإدارة ورعاية المصالح عامة هي أمور تنقصه.. ولكننا عندما يقدر لنا الاختلاط بذلك الـ (فلان) ومعرفة دخيلته والاحتكاك به في معاملة ما، فسرعان ماتتبدد تلك الفكرة السوداء، لتحل محلها ـ على الأقل ـ فكرة معتدلة.

وكثيراً مايمتليء ذهن الواحد منا بأن (فلاناً) مثالي النزعة والخلق، نزيه الجانب والغرض، مخلص لعمله، سام في غايته.. ولكن ما أن تضطرنا الظروف للتعامل معه حتى تتلاشى هذه المعاني من أذهاننا تجاهه، وحتى ندرك أن الشخص هو بعكس ماكنا نعتقده فيه.

إن الاحتكاك بالآخرين ومعاشرتهم ودرس واقعهم عن كثب، هو من الأمور التي تصقلهم أمامنا، وتظهرهم على حقيقتهم دون أية «رتوش»!.

وإن مانسمعه عن ـ فلان ـ بأنه فاضل أو غير فاضل، لا يخلو ـ في بعض الأحيان ـ من عاطفة خاصة وراءه، تذكيه وتمليه وتدفع به إلى الأذهان الخالية.

لذا يجب ألا نحكم على الآخرين، في كل الأحوال، من خلال السماع الخاطف.. ولكن ليكن الحكم عن طريق الاقتناع الذاتي أو عن طريق تواتر الروايات واتفاقها.

وليكن التروي والأناة ديدننا قبل أن نصدر حكماً ما.

(*) الرياض ـ العدد ٥٤ في ٣/٣/١٣٨٥هـ.

الحنين إلى النفس

لماذا يتشبث المرء بذكريات الماضي، مع أنها قد تكون تافهة وساذجة ولا أهمية لها؟!.

بعبارة أوضح.. هناك أمور وطرائف وأقاصيص مرت بالواحد منا في حياته، عندما كان يافعا وغلاما وشابا، وهذه الأمور أو الطرائف والأقاصيص ليست بذات بال، والمرء يدرك هذا ويقرُّ به، ولكنه يصر أيما اصرار - عندما يتذكر تلك الأمور - على أنها شيء جميل وحلو، وباعث للانشراح..!.

هذه الذكريات - على علاتها - تمثل جانبا بل جوانب من حياة المرء.. والمرء عندما يتذكرها يخطر في باله فوراً أن جزءاً كبيراً من عمره قد ذهب وتولى إلى غير رجعة، فينتابه شيء من الحسرة لعمر تقضَّى ولأيام مضت.. وينشأ في نفسه، من حيث لا يدري، شعور بأن ذلك الماضي عزيز وثمين وأن ذكرياته عذبة حلوة ويتمنى من قلبه لو عاد الزمن أو لو عادت تلك الذكريات التي هي جزء من ذلك الزمن.

إن الإنسان لا يحن إلى الماضي في الواقع، ولكنه يحن إلى نفسه.. يحن إلى كنز ثمين فُقد منه.. إنه أناني بطبعه حقا!.

(*) الرياض - العدد ٥٧ في ١٣٨٥/٣/٧هـ.

تعليق على حكمة

تقول حكمة عربية: (عدو عاقل خير من صديق جاهل).. وهي حكمة لا شك أن صاحبها قد تمرس بالناس وخبر شئونهم وشجونهم.. والأيام - بما فيها من تجارب - تزيد هذه الحكمة الصائبة تأييدا وتصديقا.. ولا أخال كثيراً من الناس إلا وهو يردد هذه الحكمة ويتمثل بها في مناسبات مرت به من حياته.

إن الجهل عدو لدود، عدو تتظافر معه أسباب الأذى والاساءة.. وصاحب الجهل يفتقد في نفسه أهم مقومات التفكير السليم والمركّز.. فالجهل ضد العقل.. وقد فطن لهذا التضاد - قديما - شاعر العربية الأكبر أبوالطيب المتنبيء حينما قال بيته الشهير:

ذو (العقل) يشقى في النعيم بعقله وأخو (الجهالة) في الشقاوة ينعم

فإذا كان الجنون فنونا - كما يقولون - فالجهل أحدها دون شك.

والصديق الجاهل لا يتصرف في علاقاته بأصدقائه تصرف الفاهمين المدركين، إنه بفعلة واحدة يؤدي بك - ياصديقه - في وهدة الأذى والضرر.. وطبعاً فإن ذلك ليس عن قصد الاساءة إليك ولكنه التصرف الاخرق الأهوج.

أما العدو العاقل.. فهو - وإن كان عدوا خطيراً - يحسب لأمره حسابا. يفكر قبل أن يقدم على عمل شيء ما تجاهك.. ولا يضع أقدامه إلا بعد أن يتحسس مواطئها.. ولذا تأخذ حيطتك منه وتتأهب لمناوراته وخططه.. فتتقي أذاه وشره.. فضلا عن أنَّ تعقله وبعد نظره قد يصرفانه كلية عن الحاق الضرر بك.. وذلك كله بعكس ما يجلبه الصديق الجاهل عليك من مفاجآت غير متوقعةٍ نتيجةً للتسرع أو الطيش أو عدم تدبر الأمر.

(*) الرياض - ١٣٨٥هـ.

الشجرة الصريعة

للشجرة، عند كثير من الأمم، مكان خاص من التقدير والعناية.. فهي عندهم - وكما هي فعلا - مصدر الخير والعطاء ورمز الرخاء والرفاه.

ولكننا، هنا، لا نعطي الشجرة حقها من الرعاية والاهتمام.. بل ندعها تفتك بها عوامل العبث والتخريب والاجتثاث.

لقد كانت صحراؤنا تفيض في كثير من جهاتها بعديد من الرياض الغُن التي تتوافر فيها الشجرة، على شكل غابات أحيانا، مابين طلح وسمر وسدر وسلم وغضا وغير ذلك من أنواع الشجر.. وكان ممكنا جدًّا أن نحمي هذه الأشجار وأن نعمل على رعايتها بدلا من أن تنتابها فؤوس الحطابين.

كان من الممكن عمل تنظيم لذلك.. بدلا من ترك الحبل على الغارب لكل عابث وحاطب.

أورد، بهذه المناسبة، نصاً للأستاذ الراحل الرحالة أمين الريحاني، كان قد كتبه في مؤلفه (ملوك العرب)، الجزء الثاني، عن العبث الواقع على الاشجار والغابات في بلادنا عندما مرَّ في رحلته من الرياض إلى الكويت بروضة (الحيسية) القريبة من الرياض.. وقد كانت الحيسية - قبل أربعين عاما - أشبه ماتكون بغابة كثيفة الشجر متلاحمة الغصون والفروع.

كتب الريحاني يقول:

(.. وحبذا لو أعتنى أهل نجد بالأشجار اعتناءهم بالإبل.. مررنا في وادي حنيفة ببقعة تدعى (الحيسية) فيها غاب من الطلح والسلم - هو أول ما شاهدت في نجد. ولكن الأشجار متكسرة متفرقة، قليلة الاخضرار، ضئيلة الظل، تسطو على أصولها وجديدها الأنعام، ويفتك بفروعها فأس الحطاب. في الحيسية تحتطب الرياض. ولكن أهل العاصمة في غفلة عما يحدثه جهل الرعاة وجهل الحطابين..

فهؤلاء يقتلون الشجـرة وألئك يجهزون عليها، ولا أحد يشكو ويلوم. ما رأيت ولا سمعت أحدًا اهتم لغرس الجديد من الطلح والسلم.. فلا يمر ـ والحال هذه ـ عقدان من الزمن حتى يضطر أهل الرياض أن ينشدوا الحطب كما ينشد الرعاة في سنة الجدب الحيا (المرعى) في الأراضي القصية.. وقد لا يجدونه!).

لقد صدق الريحاني في تنبئه.

وإذا كان البترول ومشتقاته في العصر الحديث، قد أغنت الناس عن استعمال الاحطاب في الوقود، فإن افتقادنا للشجرة ـ كثروة ذات جوانب متعددة ـ لن يعوض بحال من الأحوال.

(*) الرياض العدد ٨٥ في ١٠/٤/١٣٨٥هـ.

الريحاني الناقد الاجتماعي

وبمناسبة الاستشهاد بمأثور (الريحاني) لا نجد ضيراً في الاعتراف بأن أمين الريحاني قد صور الحياة الاجتماعية في بلادنا أكثر وأدق مما صورها الكاتبون من أبنائها الخلص.

لقد خدم الريحاني تاريخ بلادنا، من هذه الناحية، خدمات جلى..

ونقد الريحاني للحياة الاجتماعية عندنا، قبل أربعين عاما تقريبا، كان نقدا موضوعيًّا متسماً بالطرافة والتصوير الواقعي الذي لا مبالغة فيه ولا غاية له سوى خدمة الحقيقة.

وأشهد - إن كان لشهادتي اعتبارها - أن مؤلف الريحاني الشهير (ملوك العرب) هو أبرز كتاب في أدب الرحلات شهده تاريخ الأدب العربي الحديث.

(*) الرياض العدد ٨٥ في ١٠/٤/١٣٨٥هـ.

هـذه اللهجـــات

تتباين اللهجات في بلادنا، من منطقة لأخرى، تبايناً كبيراً وملحوظاً، بل تكاد تلمس هذه التباين بين مدينة وأخرى لا تبعدان عن بعضهما أكثر من مائة كيل مثلا. . ولا شك أن طبيعة بلادنا الصحراوية وما أوجبته عن انقطاع الاتصال في معظم الأحيان قد لعبت دوراً هاما في توسيع هوة ذلك التباين في اللهجات.

هذه اللهجات المحلية المتباينة والتي تمثل كل واحدة منها إقليما من بلادنا. . ماذا سيكون مصيرها بعد انتشار العلم والثقافة والوعي الاجتماعي وبعد اطراد الاتصال المباشر بين أبناء الأقاليم وتخالطهم.

الـذي أتـوقعه، أنه إذا سارت الحياة في منوالها الطبيعي، فسوف تختفي هذه اللهجات جميعها وسيحل محلها لهجة واحدة تنشأ تدريجيًّا. . وهذه اللهجة قد تكون وسـطا بين الفصحى والعـامية وقد تكون عامية احتضنت اللهجات العامية الحالية وهضمتها جيداً.

حتى الآن. . اختفى كثـير من ملامح بعض اللهجات الخاصة في بلادنا. . وكان هذا ـ بطبيعة الحال ـ بفضل الاختلاط الاجتماعي والمصلحي، وبفضل تطور وسائل الإعلام، وبفضل الوسائل الثقافية والتعليمية.

إذا كانت كل قرية ـ بَلْهَ كل مدينة ـ في بلادنا تمثل في الماضي عالماً قائماً بذاته، فإن بلادنا ستكون ـ بعد اليوم ـ أشبه ماتكون بقرية واحدة متقاربة العادات والمفاهيم، وذلـك كله بفضل الاتصال المباشر بشتى صوره وألوانه. . وذلك أيضاً من شأنه أن يقرب بين اللهجات وأن يضم اشتاتها في واحدة فقط.

(*) الرياض العدد ٨٥ في ١٠/٤/١٣٨٥هـ.

عن الزواج المبكر

للزواج المبكر محاسن ومساويء . . ولكن مساوئه قد تفوق محاسنه في أكثر من جانب . . خاصة في هذا العصر الذي اختلفت فيه مفاهيم الحياة .

وقد تكون الحسنة الأولى للزواج المبكر أنه مدعاة لصيانة النفس من العبث والانزلاق مع الرغبات والشهوات . . إلا أنه بالتربية الفاضلة المقامة على الأسس الدينية والنفسية والاجتماعية ، السليمة . . يمكن صيانة النفس من أي انزلاق قد تتعرض له في مرحلة الخطورة .

أما الخطر الناجم عن الزواج المبكر . فيتمثل في وقوف هذا الزواج ، في غالب الأحيان ، عقبة في سبيل تحقيق طموح الشباب وبلوغه الشأو الأسمى .

إن الحياة ، كما قلت ، قد اختلفت مفاهيمها عن ذي قبل . فقد أصبح مستقبل الفرد مبنيا على ما لدى هذا الفرد من تحصيل علمي وثقافي وعقلي . . وهذا التحصيل لن يتأتى ، بالصورة المطلوبة ، إلا إذا جعل نفسه وفكره في خلو من كل شاغلة ، فالزواج في ذاته مشغلة ، والأولاد مشغلة ، ومطالب الحياة والبيت مشاغل متصلة لا تنتهي . . وأمام هذه المشاغل قد يقصر الطموح بالشباب وقد يثنيه الأمر عن العزائم ويسير به في أيسر الطرق وأقربها ، مقتنعا بما حصل عليه . . والقناعة متى ما خالطت طموح الشباب أتت عليه .

إن على الشباب ، قبل كل شيء أن يزيح من أمامه عقبات المستقبل . . فإذا ما قهرها ، وإذا ما إستقام عوده الفكري والعقلي وإذا ما أصبح قادرا على توجيه خط سيره العملي في الحياة ـ حينئذ يصبح كل شيء أمامه ميسرا ويصبح في إستطاعته مجابهة متطلبات الحياة العملية سواء في شؤونه الخاصة أو العامة .

(*) الرياض العدد ١٦٢ في ١١/٧/١٣٨٥هـ .

لو عاشوا بسلام . . !

يسود بعض الأوساط العالمية شبه تشاؤم حول سعادة البشر في المستقبل القريب . . ومنشؤ هذا التشاؤم أن عدد سكان المعمورة آخذ في الازدياد بصورة مذهلة بحيث لن تفي حاصلات الأرض باحتياجات سكانها المعيشية .

والمنظمات العالمية المختصة تتوقع أن يصل سكان الأرض ـ بعد أربعة وثلاثين عاما فقط ـ إلى ضعف ماهو عليه الآن .

ومعلوم أن عدداً من شعوب العالم تعاني ـ الآن ـ من المجاعات ، حتى لقد قال (أوثانت) في تقرير له إلى الأمم المتحدة بأن العالم ـ اليوم ـ يسير على حافة الخطر والهلاك نتيجة نقص الغذاء . . فكيف بالعالم إذا ازداد عدده إلى الضعف والحالة كما هي في الانتاج الغذائي ؟ .

على أن هناك خيوطا من الأمل ـ نحسبها قوية وباعثة على التفاؤل ـ جديرة بالتأمل وبالوقوف أمامها قليلا .

تقول التقارير أن الأراضي الصالحة للزراعة والانتاج في العالم لم يستغل منها الا الجزء اليسير، وأن الجزء الكبير منها لايزال في طي الاهمال . . وأن ذلك راجع ـ في الأغلب ـ إلى قلة المجهود الإنساني المبذول من أجل الحصول على الحاجة .

والحق أن المجهود العالمي ـ الآن ـ موجه في جملته إلى الاستعداد والتهيؤ والتسلح لمجابهة احتمالات المستقبل في نشوب حرب مدمرة . . فكل فئة من الفئات المتصارعة تجد نفسها إما في خوف من غيرها أو في طمع في ذلك الغير.

إن ما تبذله الدول الكبرى ـ سواء في الشرق أو في الغرب ـ من عمل لاهفٍ مسعور من أجل امتلاك مايمكنها امتلاكه من وسائل التدمير والفناء على صورة أو صور هائلة مخيفة تجاوزت حد الخيال وحد التصور . . أقول إن هذا الجهد المبذول من أجل

التسلح في شتى ميادينه يكفي جزء يسير منه لتحقيق الرفاه والرغد لجميع البشر.

لو أن الجهود المبذولة في التسابق النووي ـ مثلاً ـ أستخدمت من أجل استغلال الأرض على نحو ما يجب أن يكون هذا الاستغلال.. فماذا سيكون الحال؟.

قطعا.. ستمتليء البطون الضارية.. وستطمئن النفوس القلقة من غوائل المستقبل.

فهل يعي البشر هذا الأمر؟.. وهل يحل العمل البنَّاء والانتاج الخيِّر والتعايش السلمي محل التسلح والتربص والتطلع إلى الحرب بخوف أو بشغف؟.

(*) الرياض العدد ٢٤٧ في ٢٧/١٠/١٣٨٥هـ.

الجهود الإعلامية العربية

يجتمع، هذه الأيام، بدمشق وزراء الإعلام العرب.. ولسوف يتداولون ـ بطبيعة الحال ـ ضمن جدول الأعمال ـ في أمر تنسيق الجهود العربية في الدعاية وتوحيد تلك الجهود لتصبح على مستوى يقف في وجه دعايات العدو.

وفي هذا، أجد مناسبة لابداء ملاحظة لاحت لي وأنا أتابع أخبار اجتماعات الوزراء العرب.

وتتلخص هذه الملاحظة في أن كثيراً من دعاياتنا لقضايانا تبث في داخل حدودنا العربية بنشاط وجد وعمل أكثر مما تبث في خارج حدودنا العربية، وبمعنى آخر، كأنَّ الدعاية العربية تريد أن تُقنع العرب أنفسهم بأن قضاياهم عادلة وبأن مطالبهم هي حق مشروع.

والحقيقة تستدعينا أن نوجه امكانياتنا الإعلامية صوب خارج الحدود، إلى أوروبا وأمريكا مثلاً، حيث تلعب الدعاية الصهيونية هناك بعقول القوم وتكيف اتجاهاتهم حسبما تريد.

واجبنا الأول ـ في عالم الدعاية ـ هو أن نواجه الدعاية الصهيونية في أسواق نشاطها لا في أسواق كسادها.. خاصة متى كانت الأسواق الناشطة في دول وبلدان لديها من امكانيات القوة والتأثير العالميين ما يُرجِّح كفة على أخرى.

فما أحوج العرب إلى دعاية قوية مركزة تنحو هذا المنحى! ولست ـ هنا ـ أملك شيئا سوى الدعاء إلى الله بأن يأخذ بأيدي هؤلاء المجتمعين في دمشق إلى كل ما من شأنه اضاءة السبيل أمام قضايانا ليحيط بها الآخرون على صورتها الحقيقية.

(*) الرياض العدد ٢٤٧ في ٢٧/١٠/١٣٨٥هـ.

أي عيـد . . . . ؟!

بأية حال عدت ياعيد؟! إن هذا الاستفهام القديم يطرح نفسه اليوم من جديد على ألسنة الملايين من العرب والمسلمين.

فأي عيد هو هذا الذي يعيشه المسلمون اليوم، وأرض البراق والمسرى مدنسة بأوضار الطغمة الغاشمة من شذاذ المعمورة ومنبوذي الشعوب؟.

إن العيد يعـود ـ هذه الأيام ـ والأمة العربية والإسلامية مثقلة بالأتراح مجللة بصنوف الظلم، ومحاطة بألوان الخزي والعار!.

لا أحسب عربياً أو مسلماً سيتذوق للعيد طعماً، أو يهضم له معنى، وهو يرى أولى القبلتين يحتل ثراها الطاهر العطر المقدس أعداؤه الآثمون.

ولا أتصور أن النفس ستفتر عن بهجة، أو سيأخذها شيء من نشوة، بمقدم العيد ولباس الهزيمة والنكبة يجلل أديم الوطن، والعالم من حولنا ـ إلا القليل منه ـ ساخر وشامت. . وربما سعيد بما حدث؟.

إن هذا العيد الذي يظل ربوعنا، هذا الأسبوع، هو أول عيد يمر بنا بعد هذه النكبة الأليمة المخزية التي حلت بديار العرب والمسلمين. . ولهذا فإن له معنى خاصا في نفس كل عربي وكل مسلم.

هذا العيد يستوجب منا أن نعتبر. . أن نعتبر كثيراً. . وعسى أن يكون عظة واعظة وعبرة بالغة. . !.

في هذا العيد عِبرة ـ بكسر العين ـ أيها عِبرة. . !.

وفيه أيضاً عَبرة ـ بفتح العين ـ أيها عَبرة. . !.

ولكن الدموع لا تجدي . .

والكلام لا يفيد . . ومهما ذرفنا مدرار الدمع، ومهما حبَّرنا جيد القول فإن ذلك لا يعيد حقا سليباً ولا ينفع شرورى نقير . !

ولكن لنعتبر . لنعتبر كثيراً مع مقدم هذا العيد . . أول عيد يطل على عالمنا العربي والإسلامي بعد هذه النكبة القاسية السوداء . . فالعبرة ـ بكسر العين ـ ربما كانت حافزا معنويًّا كبيراً لاستئناف مسيرة الأمل القوي في لمّ الشمل وتوحيد الكلمة ومجابهة الخصم الألد بقلوب أكثر ثقة، وأصدق إيمانا، وأعمق إخلاصا .

لنتذكر ـ في مناسبة العيد ـ حرب الأيام الستة من شهر يونيو الماضى وما أحدثته في جسم الأمة العربية والإسلامية من جروح بليغة وكلوم دامية، بل وما أحدثته من بتر لجزء ـ بل أجزاء ـ من هذا الجسم الغالي .

ومن كان يتصور أن يصبح الحال كما هو اليوم . . في فلسطين العربية؟ .

لنتذكر . . ولنتأمل . . ! .

ولنعتبر . . ولنناقش أنفسنا نحن العرب ـ بصراحة ـ لماذا هُزمنا أمام عدونا الحقير الذي يقل عنا في مجالات حيوية شتى . . ؟ .

لقد أصبح واقعنا مصداقا للحديث النبوي الشريف الذي أخبرنا بمآل الحال وعلّل لوقوعه . . فقد سأله أصحابه ـ عليه السلام ـ عندما أخبرهم بما سيؤول إليه حال أمته قائلين: أمن قلة يارسول الله؟ فقال: لا . ولكنكم غثاء كغثاء السيل! .

لقد كنا نفوق عدونا بامكاناتنا البشرية والجغرافية والاقتصادية . . وربما الحربية . . ولكننا كنا بعيدين عن جوهر القضية . منصرفين عما يجب أن ننصرف إليه .

فقد شُغل العرب بأنفسهم . . وراق لبعضهم أن يصنف الدول العربية إلى فئات، بينما كان عدونا يستغل هذه الفرصة ليبني نفسه وليسدد ضربته . . فكان له ما أراد! .

وراق لبعض الإخوة العرب أن يبتعدوا بأنفسهم عن بعض الدول التي تنشد صداقة العرب، وفي طليعة هذه الدول الدول الإسلامية، وتشبث هؤلاء الإخوة بصداقات واهية أثبتت حرب الأيام الستة أنها لم تكن عند الظن بها.

وخدعت الشعوب العربية بالكلام.. وكانت الدعاية العربية في منتهى السوء.. كانت هذه الدعاية توهم المواطن العربي بأنها ستقذف بالصهاينة في عرض البحر المتوسط في بضع سويعات، وكان العدو ـ هو الآخر ـ يلبس لنا لباس الخداع والتضليل ويظهر لنا هلعه وخوفه.. كان عدونا عند الحكمة المأثورة عن الرئيس الأمريكي الراحل روزفلت: احمل عصا غليظة وتكلم بهدوء.

أما نحن العرب ـ أو بعضنا على الأصح ـ فكنا نتكلم في غوغائية ممجوجة وليس في يدنا إلا عصا خفيفة هشة.

وعلى كل حال.. فلنأخذ العبرة مما مضى.. فإن فلسطين لن تحرر إلا بالعمل الجاد البعيد عن الدعاوى الخاطئة.. وإن الصف الأول في جولات التحرير والتطهير يجب أن ينتظم الفلسطينيين أنفسهم فهم ألصق بالمشكلة، وهم الذين عايشوها واكتووا بنارها.. وليس معنى هذا أن الدول العربية تقف متفرجة ـ أبدًا ـ بل على هذه الدول جمعاء واجب المشاركة الفعلية عندما تحين ساعة الصفر.. بل إن هذا الواجب المقدس يستدعي أيضاً مشاركة الدول الإسلامية، فالمسجد الأقصى الذي يحتله الصهاينة اليوم ليس للعرب وحدهم، بل هو للمسلمين في شتى أصقاعهم.

إن هذه الجوانب والجبهات يجب أن تمضي متساندة لتحرر الأرض المقدسة وإن حرب التحرير يجب أن تكون نابعة من عقيدتنا غير معتمدة على مساندات أجنبية موهومة.

ذلك أن الذي أوجد إسرائيل من عدم، هو الاستعمار بجناحيه الشرقي والغربي.. نعم لا فرق في ذلك بين معسكر وآخر.

وحقا . . لقد تداعت علينا الأمم ـ في هذا العصر ـ كما يتداعى الجائعون على القصعة .

إن المتتبع لتاريخ القضية الفلسطينية، منذ نشأتها، يدرك تماما مدى الأدوار اللئيمة الخبيثة المحكمة الحلقات والتي لعبتها دول العالم الكبرى ـ الشيوعية والغربية ـ في سبيل تهجير يهود العالم إلى فلسطين وإنشاء دولة يهودية لهم على حساب شعب فلسطين العربي .

لنعتمد ـ بعد الله ـ على أنفسنا . . ولنستمد العزم والقوة والثبات من ذاتنا . . لنستغل الطاقات الكامنة في أعماقنا . . ولنجعل من عقيدتنا الخالدة نبراساً ومنطلقا للعمل الصادق الخالص .

لقد أغرقنا قضيتنا في بحر الخيال الشاطح . . ! .

ولكن . . ما علينا . . فما مضى فات . . ولازالت آمالنا الوطيدة ـ بحمد الله ـ تلمؤ نفوسنا، وتستحث العاملين للبناء من جديد .

فعسى أن نكون ـ بعد هذه النكبة ـ قد اتعظنا من الماضي القريب واستقينا منه دروساً مفيدة لمستقبلنا .

هذا، وإذا كان من كلمة تقال أخيراً في هذه المناسبة مناسبة العيد ـ فهي أن نلهج بالدعاء الخالص إلى العلي القدير بأن يأخذ بناصية الأمة العربية والإسلامي إلى مدارج عزها لتعود لها هيبتها ومكانتها وأن يحقق لهذه البلاد أسباب المنعة والقوة والرفاه، وأن يسدد خطاها إلى الخير.

(*) الدعوة، العدد ١٣٣ في ١٣٨٧/٩/٢٥هـ .

ما أحوج العرب إلى إعلام يبرز معالم قضيتهم!

إن براعة الدعاية الصهيونية، ودقة تنظيمها وتقديرها لمجريات الحوادث تقديرا محكما، واستغلالها لكثير من المشاعر والقضايا والأزمات، قد جعلها تظهر الباطل في صورة حق والحق في صورة باطل.

لقد استطاعت هذه الدعاية الماكرة أن توهم كثيراً من شعوب الأرض وحكوماتها بأن قضية فلسطين ليست سوى قضية أمة يهودية ضائعة ومضطهدة ومشردة في شتى بقاع المعمورة، أمة تريد العودة إلى وطنها، وهي في سبيل ذلك (تكافح) قرابة المائة مليون عربي. . كلهم يريد استمرار تشريد اليهود والقاءهم في لجج اليم دونما رحمة أو إنسانية.

من هنا، نجد أن هذه الدعاية، قد أخذت في اعتبارها جوانب إنسانية وتاريخية مزعومة، فركزت على هذين العنصرين بأساليب غاية في الخبث، تركيزا مذهلا جعل العديد من الشعوب يعطف على (قضية) اليهود عطفا خاصا لا حدود له. . لا سيما وأن هذه الشعوب قد أوهمت بأن مئات الألوف من اليهود كانوا يساقون إلى المجازر الجماعية في عهد النازية، قبيل الحرب العالمية الثانية وأثناءها.

وهكذا نرى أن الدعاية الصهيونية وحيلها الجهنمية، كانت عاملاً هاما في اقناع كثير من أمم الأرض بلم شمل اليهود وجمع أشتاتهم. . يضاف إلى ذلك ـ طبعا ـ المصالح المنشودة للدول الكبرى في المنطقة والحقد الديني المتوارث ضد شعوب الشرق العربي والإسلامي.

أما عن الإعلام العربي، فقد ظل عاجزا عن خدمة قضية فلسطين العربية، خدمة تقف في مواجهة الدعاية الصهيونية وتدحضها ـ بل ربما أساء بعضه إلى هذه القضية من حيث لا يدري، بل ربما ـ أيضاً ـ استغله اليهود لصالح دعاواهم.

ومعظم الجهود الإعلامية العربية كانت داخل الاطار العربي. . كأنها بهذا تريد

اقناع العرب أنفسهم بعدالة قضيتهم.

والإعلام العربي في الخارج ـ وماأقله إذا ما قيس بدعايات الصهاينة ـ ينقصه كثير من العناصر الأساسية للإعلام، كالتفهم الكامل لنفسيات الشعوب التي نريد مخاطبتها ومعرفة الأسلوب الذي يكون الخطاب بموجبه واستغلال الظروف والأحداث استغلالا ذكيا، والإدراك السليم لمواطن الاثارة والانتباه والتعاطف.

وقد أهمل الإعلام العربي الجانب التاريخي لفلسطين إهمالاً يكاد يكون مزريا ومشينا.. وعلى العكس من هذا، نجد أن اليهود قد عملوا على ابراز هذا الجانب بصورة جعلتهم وكأنهم الأصحاب الشرعيون لهذه الأرض منذ القدم، ويكاد يكون هذا الاعتبار التاريخي (الملفق) الأساس الذي أنطلقت منه فكرة الدولة الصهيونية في فلسطين.. ولعل من تحصيل الحاصل أن نقول أن التاريخ المجرد لفلسطين يؤكد عروبتها منذ سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد.

نعم، هناك فترات متقطعة وقصيرة جدا ـ بعد ذلك ـ لم يكن للعرب نفوذ يذكر بفلسطين، وإن ظلوا يسكنونها، وهي فترات احتلال من أمم وافدة ومن بين هؤلاء بنو إسرائيل الذين وفدوا إلى فلسطين من المشرق، وأقاموا لهم حكما بها، لفترة أو فترتين قصيرتين، ثم انتهوا بالخروج منها.

إن هذه الفترة التي وفد فيها اليهود إلى فلسطين هي التي يستند إليها اليهود في أدعائهم بأن فلسطين وطنهم القديم.. وقد استطاعوا اقناع الكثيرين بهذا الادعاء الواهي.

ولو تركنا القوانين والأعراف جانبا، وسلمنا جدلا بأن لبني إسرائيل الحق في العودة إلى فلسطين، فإن معظم يهود العالم ـ ولا سيما يهود أوروبا الشرقية ـ ليسوا من العنصر الاسرائيلي؛ فالثابت تاريخيًا أن أكثرية يهود أوروبا الشرقية لم يعتنقوا اليهودية إلا في عصور متأخرة، وبعد ظهور الإسلام بقرون، فهم يهود بالديانة وليسوا اسرائليين. ومعلوم الآن. أن معظم المهاجرين إلى فلسطين منذ وعد بلفور عام ١٩١٧م حتى

اليوم، هم من يهود أوروبا الشرقية، وكثير من زعماء اسرائيل - اليوم - هم من هؤلاء.

نعود فنقول: إن العرب في حاجة إلى إعلام يبرز معالم قضيتهم، ويفصح عن عدالتها لأولئك الذين غشيتهم دعايات الاعداء فحجبتهم عن الحقيقة وباعدت بينهم وبيننا وجعلتهم يعتبرون انتصار شراذم اليهود انتصارا للحق والديمقراطية والإنسانية.

(*) الدعوة العدد ٢٥٣ في ٢٦/٣/١٣٩٠هـ.

التقاء الشرق والغرب ضدنا . .

قلت ـ في العـدد المـاضى ـ إن الـدعاية الصهيونية قد غشيت أعين كثير من الشعوب، وأرجعتُ ذلك إلى الأساليب الجهنمية الماكرة. . وأضيف اليوم بأن مما مكن لهذه الدعاية أنها قد صادفت هوى كبيرا في ذات الغرب المسيحي ولدى الشيوعية العالمية.

ذلك أن ما جرى، ويجري في فلسطين، منذ العقد الثاني من هذا القرن ـ وربما قبله ـ هو تكالب جشع وحقد مسعور من الغرب والشيوعية والصهيونية.

وهنا أكاد أقول إن مساعدة الغرب لليهود هي امتداد منظم للفكرة الصليبية، فالمعروف أن الحقد الصليبي لم ينقطع منذ بدأ، وإن كان يبدو في أشكال شتى تناسب أزمنتها، إلا أنها ترمي إلى غاية واحدة، وهي كسر شوكة الشرق الإسلامي ـ ممثلا في العرب ـ.

عندما تم للحلفاء، في الحرب الكونية الأولى، احتلال بلاد الشام ـ وأعني ببلاد الشام مدلولها التاريخي الواسع ـ وقف الجنرال الإنجليزي اللنبي ـ في عجرفة وصلف ـ على قبر قاهر الصليبيين صلاح الدين، مخاطبا إياه بقوله: (ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين!). . ثم صار ماصار من تمهيد الانتداب البريطاني لإنشاء الدولة اليهودية على الصورة المعروفة.

وقبـل سبـع سنوات، أصدر المجمع المسكوني براءة لليهود من دم المسيح. . ومعروف أن القول بأن اليهود قتلوا المسيح ـ عليه السلام ـ هو من صميم المعتقدات المسيحية، ولكن الأمور تغيرت، فبعد قرون وقرون، وبين عشية وضحاها، أصبح اليهود غير قتلة!!.

وعندما احتل اليهود مدينة القدس في يونيو ١٩٦٧م لم تستطع بعض صحف غربية إخفاء مشاعرها، فاعتبرت هذا الاحتلال (إنقاذا) للقدس من أيدي المسلمين.

هذا عن الغرب. أما عن الشرق، أو الشيوعية، فإن هذا الاخطبوط يهمه جدًّا تثبيت أقدامه في هذه البقعة الحيوية من العالم.. وهذا قد لا يتم لو أن قضية فلسطين سارت في مجراها الطبيعي العادل.

إن المعروف عن روسيا أنها كانت من أكثر الدول المتحمسة في هيئة الأمم عام ١٩٤٧م لإنشاء إسرائيل.. وقد استخدمت ضروبا من الضغط واشتاتا من الأساليب لحمل بعض دول المنظمة على إقرار مبدأ تقسيم فلسطين وقيام كيان لليهود بها.

ولئن قيل بأن روسيا، قد بدأت ـ في السنوات الأخيرة ـ تظهر شيئا من العطف على العرب، فإن عطفها هذا ليس إلا بقصد مداعبة المشاعر العربية، لأن مصالحها تتطلب مثل هذا السلوك.. ثم إن روسيا، بعطفها هذا، لم تمس موقفها الجذري، فهي لا تناقش ـ اطلاقا ـ في أمر وجود إسرائيل، فهذا الوجود في نظرها، أمر مفروغ منه، لأن زواله يعني عدم حاجة العرب إلى العون الروسي، وبالتالي تلاشي النفوذ الروسي من المنطقة.. وتلاشي هذا النفوذ يعني ترك المنطقة لخصومها، كما يعني تجميد أهدافها السياسية والاقتصادية وعرقلة تحركاتها الفكرية والثقافية والمذهبية.. وتلك أمور لا يمكن لها التخلي عنها بحال من الأحوال.

فروسيا تريد بقاء الوضع الذي ساهمت ـ مساهمة فعالة ـ في إيجاده عام ١٩٤٧م.. بينما أن أساس المشكلة ـ وهو وجود إسرائيل في الأرض العربية ـ هو مايريد العرب المخلصون اجتثاثه لأنه وجود مبني على باطل.

وهكذا نرى أن الغرب والشرق قد التقيا ضدنا، وتواطئا على تثبيت أقدام اعدائنا في أراضينا وعلى انقاض شعب فلسطين الذي أصبح يعيش مشردا بعيدا عن وطنه.

(*) الدعوة العدد ٢٥٤ في ٣/٤/١٣٩٠هـ.

الصهيونية . . وهل من فرق بينها وبين اليهودية؟

. . أما عن (الصهيونية) . . فهي أكثر المستفيدين قطعا . . وكان اليهود، بما لهم من نفوذ مادي عالمي، وبما جبلوا عليه من مكر وخديعة، يتغلغلون داخل أجهزة الحكم في كثير من الدول، فكانوا يوجهونها لمصالحهم، وربما أثاروا الإحن والحزازات ـ من طرف خفي ـ بين الدول، وأشعلوا أتون الحرب فيما بينها إذا قدروا أن في النتيجة مايخدمهم ويحقق أحلامهم.

في أواخر القرن الماضى، وأوائل هذا القرن، حاولت الصهيونية الحصول على وطن قومي لليهود في فلسطين عن طريق الدولة العثمانية . . ولكن السلطان عبدالحميد وقف لاطماعهم موقفا صلبا يشهد به التاريخ فأخفوها في أنفسهم، وألبوا الدول الأوربية عليه، حتى لقد قال أحد المؤرخين إن السلطان عبدالحميد كان ضحية الصهيونية.

وعندما انتدبت بريطانيا على فلسطين، وهذا الانتداب حلقة في المخطط الصهيوني، عينت هربرت صموئيل ـ وهو يهودي ـ مندوبا سامياً لها في فلسطين . . وقد أدى صموئيل دوره الصهيوني كاملا، ففتح باب الهجرة لليهود إلى فلسطين على مصراعيه، فصاروا يأتون إليها أفواجا من كل صوب، وتسنموا أهم المراكز الحيوية، واستطاعوا أن ينشئوا المنظمات العسكرية السرية بقصد ارهاب العرب، حتى إذا حان موعد خروج بريطانيا من فلسطين عام ١٩٤٨م كان اليهود مهيئين لإعلانهم دولة ذات كيان.

هكذا كان التكالب الصهيوني يؤدي دوره . . وهكذا كانت الصهيونية تعمل ـ متظافرة مع الشرق والغرب ـ على تحقيق أحلامها.

وإذا قلت (الصهيونية) فلا أقصد فقط تلك المنظمة التي نادى بها (هرتزل) سنة ١٨٩٧ في مؤتمر بال بسويسرا والتي تمثل (بروتكلات حكماء صهيون) بشاعة أهدافها . . إنما أقصد أيضًا (اليهودية) . . لأن التعبيرين يعطيان حقيقة واحدة. وقد وهم كثير من

الكتاب العرب ـ وربما من المفكرين ـ عندما راحوا يبرئون اليهود من خصام العرب، وقالوا نحن لا نحارب اليهود وإنما نحارب الصهاينة. . أنسي أصحاب هذا القول أن فكرة قيام دولة إسرائيل الحديثة قائمة أصلاً على جذور من الدعاوى الدينية والتاريخية البحتة لليهود؟ . . وأن إسرائيل ـ كما يقول زبانيتها ـ هي تحقيق للوعود الواردة في الكتب اليهودية القديمة؟.

إن اليهود قد احتلوا فلسطين، وتسللوا إليها من فجاج الأرض تحت شعار (العودة إلى أرض الميعاد). . وإن نظام الحكم في إسرائيل يستمد بقاءه ووجوده من التعاليم الدينية اليهودية. في إسرائيل ـ مثلا ـ أحزاب دينية ذات شأن وتأثير في أمور الحكم والتشريع والفكر. . يعرف هذا كل متتبع لأخبار العدو. . وفي الجيش ينبث (الحاخامات) بين شتى فرقه. . ولهذا الجيش حاخام أكبر خاص، والتعاليم الدينية تتحكم في تصرفات الرسميين اليهود إلى حد كبير. . وأخيراً لعلنا لم ننس تلك القضية التي شغلت الرأي العام اليهودي حول تحديد مدلول كلمة (اليهودي) ورفض الحكومة الإسرائيلية لحكم المحكمة العليا لأنه يتنافى مع ماتقول به التوراة. . !.

فالفكرة الدينية ـ إذن ـ هي العامل الأول الذي لامس مشاعر يهود العالم، وجعلهم يتجهون نحو (أرض الميعاد) كما يزعمون. . وهي نفسها محور أساسي تدور حوله مجريات الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية وحتى السياسية في إسرائيل.

فهل نقول ـ بعد هذا ـ إن اليهود شيء وأن الصهيونيين شيء آخر؟!

إنها تعمية للأذهان، لا تقل عن التعمية التي أسدلها اليهود على أذهاننا حينما حجبوها عن جانب هام من جوانب قضيتنا. . وأعني الجانب الإسلامي. . ففلسطين فيها مسرى محمد، ﷺ، وفيها قبلة الإسلام الأولى والمسجد الأقصى، وعلى صعيدها وقعت أروع المعارك في الدفاع عن العالم الإسلامي. وملايين المسلمين يرنون إلى هذه الأرض المقدسة بشوق ولهفة. . بيد أن معظم العرب ـ مع الأسف ـ لم يقيموا اعتبارا لهذا الجانب، فعاشوا في عزلة مخجلة عن أمم تجمعهم معها وحدة العقيدة، بل تعدى الأمر ذلك إلى الخصومة والقطيعة.

ونحمد الله أن رأينا هذه الغيمة ـ مؤخراً ـ قد آذنت بالانقشاع وأن فجراً جديداً في العلاقات العربية الإسلامية قد بسط ضوءه. وهذا سيكون فيه الخير، بإذن الله، لمستقبل فلسطين العربية الإسلامية.

(*) الدعوة، العدد ٢٥٥ ـ في ١٠/٤/١٣٩٠هـ.

العاطفة النشاز. . .

كما أن من العواطف ماهو محمود ومألوف، فإن منها ماهو ذميم ونشاز. . وتبدو العواطف النشاز اكثر خطرًا عندما ينسحب أثرها على المجتمع بصورة تعوق ركبه عن التقدم والبناء.

والعاطفة ـ في عمومها ـ لأزمة إنسانية والتخلص منها محال، وستبقى مع النفس مابقي الإنسان فوق البسيطة غير أن من الممكن تهذيبها وتنمية جوانب الحُسْن فيها ومطاردة جوانب السوء.

وتتمثل العاطفة النشاز في كثير من المظاهر المقيتة التي تكتنف مجتمعنا. . بل تكتنف المجتمعات العربية والشرقية بصورة عامة، والتي تترك وراءها ذيولا وآثاراً توحي بالخيبة والفشل. وتكرس القصور الذهني والفكري، وتجعل المجتمع تائها مع نفسه عاجزا عن تحقيق مايصبو إليه من رقي وازدهار وسعادة.

إن الكثرين منا ـ مثلا ـ لايكاد يحكمون على أمور الحياة أو على أعمال الآخرين، إلا من خلال مقياس (الحب أو الكراهية) أو من خلال منظار (عين الرضا) و (عين السخط). . فيكون من نتيجة ذلك اختلال المعايير، وفقدان الاخلاص والجد، وتفشي روح السلبية والكره للواجب. . مما ينعكس على المجتمع بالويل والثبور.

وكثيرا ماينـدفع المرء وراء هواه. وكثيراً ماتتجاوز عوامل الصداقة والزمالة ـ مثلا ـ الحدود الطبيعية، فتنحجب الرؤيا الصادقة للأمور، ويطرح المرء معها التعقل والتفكر جانبا، وينساق وراء رغبة جامحة، وثمة لا يحسب للمصلحة العامة أي حساب!.

وكثيراً ـ أيضاً ـ ماينـدفع المرء وراء نعرته الاقليمية ـ مثلا ـ ويتناسى كل شيء حوله، وتغيب عنه المفاهيم السليمة للحياة والمنطق. . والنعرة الاقليمية متى ماتمكنت من نفس فانها تئد فيها كثيرا من القيم والمثل الكريمة.

إن الهوى النفسي، بشتى صوره، يتحكم في تصرفات بعضنا تحكما يبعث على الذهول والاستغراب، بل على الحسرة والألم. . وإذا كان الهوى ـ كما يقولون حقا ـ يُعمي ويصم، فكيف به في بناء مجتمع، واشادة حضارة وخلق حياة متطورة؟.

وتبدو العاطفة النشاز أكثر ألما، وأبعد أثرا، عندما تستحوذ على أذهان الشباب المتعلم، فكأي من شاب نال من العلم كفايته ولكنه لا يستطيع الفكاك من هذه العواطف. . مع أن المفروض في مثله ـ وقد صقلته المعرفة ـ أن يرتفع إلى المستوى الأفضل، وأن يحكم الواقع في تصرفاته، وأن يجعل المصلحة العامة رائدته في الحياة، فيحد من هياج العاطفة ويكبح جماح هواه وهوى علاقاته، ليكون ـ بحق ـ مثلا أعلى في علمه وشبابه، وقدوة للآخرين في عمله وسلوكه وتقديره للصالح العام.

وبعد. . . فلكي لانتيه عن محجة الصواب في رابعة النهار يجب أن يفكرا الواحد منا بعقله قبل أن يفكر بعاطفته.

(*) الدعوة، العدد ٢٥٦ ـ في ١٧/٤/١٣٩٠هـ.

هل هي شهوة كلام؟!

أسائل نفسي، أحيانا، وأنا أطالع بعض (المقالات) يكتبها في صحفنا بعض أدباء الشباب، فأجدها ـ أي المقالات ـ خواء من الروح، ومن جودة العرض. . إذ هي لا تكاد تخدم قضية، ولا تنير مسلكا، ولا تعطي أي معنى من معاني الحياة، إن لم تكن غير مفهومة ولا يستطيع القاريء أن يخرج منها بنتيجة ما. . بسبب فجاجة الأسلوب ورداءة اللغة ـ أقول: إنني أسائل نفسي، وأنا أطالع مثل هذا الكلام، عن الغرض الذي من أجله شرع الكاتب قلمه وعن الهدف الذي يرمي إليه من كتابته، بل أسائلها: ماذا يريد أن يقوله الكاتب؟. وما الذي يجنيه القاريء من مثل هذه المقالات؟. . وأما كان الأجدى لو أن الصحيفة ملأت هذا الحيز بكلمة أجود موضوعا، وأجدى نفعا، وأمكن في التوجيه؟.

لكنني، بعد السؤال والسؤال، لا أعثر على جواب شافٍ مقنع، سوى أن مثل هذه الكتابات لا تخرج عن كونها رغبة في أنفس أصحابها للكتابة، أي أنهم يكتبون لمجرد الكتابة أو بعبارة أخرى: انها شهوة الكلام، ليس غير.

إن الكاتب ـ أي كاتب ـ عندما يكتب، فيجب أن يكون لما يكتبه هدف، وأن يتحرى فائدة القاريء ومتعته، وأن يسهم في تربية الذوق، وتنمية الثقافة، ومعالجة القضايا الإنسانية والاجتماعية، وخدمة التراث الروحي والفكري للأمة. . فإن هو أبى ذلك أو عجزت به ثقافته أو فكره، فخير له أن يعاود التحصيل والدرس وأن يعايش تجارب الحياة معايشة كافية وصادقة.

دعوة مخلصة لهذا الصنف من الكاتبين، بأن يتحروا الخير فيما يكتبونه، وأن يتجاوبوا مع عالمهم وألا يكونوا انطوائيين في خواطرهم وأن يتمثلوا القاريء أمامهم

يجب أن يكون لما يكتبونه روح ومعنى وهدف سام، كما أن عليهم أن يكونوا مفهومين في أساليبهم، بعيدين عن الغموض والسفسطة وعن التلاعب بالكلمات الفارغة، وثمة يثبتون حقاً أن الكتابة عندهم ليست غاية في ذاتها.

وأرجو ألا يفهم، من قولي هذا، أنني من دعاة الالتزام في الأدب، فأنا اعتبر الالتزام قيدا، والأدب ينفر من القيود، ولكنني أتمنى على الكُتاب والأدباء ـ ومنهم أدباء الشبـاب ـ ألا يضيعـوا جهـودهم في أحـاديث النفس، وأوهـام الخيال، وأحـلام الرومانسية، وفي تكلف الألفاظ والعبارات و (اللت والعجن) لأساليب القول.. مما لا يجدي شيئا في بناء صرح نهضتنا الفكرية والأدبية.

(*) الدعوة، العدد ٢٥٧ ـ في ٢٤/٤/١٣٩٠هـ.

لكي لا يضيع جانب من تاريخنا

تعتبر المتاحف تاريخًا حياً ملموساً لحيوات الأمم الاجتماعية والعمرانية والفكرية. . وهي ـ بالتأكيد ـ أصدق من كتب المؤرخين التي كثيرا ماتضيع الحقيقة بين دفاتها ويختلط الوهم مع الاهمال.

ولهذا نجد الأمم الراقية قد اعتنت بها، وأولتها الكثير من الاهتمام والرعاية، ورصدت لها الشيء الوفير من دخلها.

وتاريخنا، ولا سيما الجانب الاجتماعي والعمراني منه، يكاد يكون مجهولا من لدن الغالبية العظمى من هذا الجيل. . ولهذا تأتي الحاجة إلى ابراز هذا التاريخ ماسة وضرورية، ولهذا ـ ثانيا ـ يتحتم علينا أن نعمل على جعله في متناول هذا الجيل.

ولقد حفل هذا الجانب، بعديد من المظاهر التي تستوجب هذا العمل، وبشتيت من الصور التي تستلزم الالمام به والامعان في دراسته.

قبل ثلاثين عاما، أو أكثر بقليل، وقبل أن تفد إلينا الحضارة الحديثة، كانت حياتنا، وكان معاشنا يقوم على الاكتفاء الذاتي. . كان كل شيء تقريبا من صنع أيدينا. . ولا شك أن في هذا تاريخا عزيزا على أنفسنا من واجبنا أن نبصّر الجيل الجديد به. . وعلى حال من السرعة والاستعجال.

وموجب هذا الاستعجال، هو الخشية من أن تمر الأيام سراعا ـ وهي كذلك ـ فينصرم الجيل الذي عايش تلك الحياة، واحاط بتلك الصفحات فلا نجد ثمة من يصورها أو من يعين على رصدها في سجل البقاء.

بودي لو أن المسؤولين ـ سارعوا إلى احتضان هذه الفكرة، فعمدوا إلى جمع أشتات أدوات الحياة الاجتماعية التي كنا نعيشها إلى عهد ليس ببعيد، ووضعوها في متحف عام يحكي صورا جميلة لواقعنا المنصرم. . كثيرة هي ـ مثلا ـ أدوات الفلاحة

والسقـاية . . وأدوات السفـر والنقل . . وأدوات المأكل والمشرب والمطبخ . . وأدوات الغزو والحرب . . وأدوات اللعب والتسلية . . فهل فكرنا يوما في تجميع هذه الأدوات وغيرها، لنقرأ من خلالها حياة آبائنا وأجدادنا الأقربين .

في اعتقـادي أن من يضطلعون بمسؤولية خدمة الثقافة والتاريخ في بلادنا لا يعوزهم الاخلاص والغيرة ولا ينقصهم العمل الجاد، فحري بهم ـ والحالة هذه ـ أن يرعوا هذه الفكرة، وأن يولوا هذا الجانب الكثير من اهتمامهم وسعيهم .

هذه فكرة، أحسبها ستنال قبولهم، وأحسبهم عاملين على تحقيقها قريبا، إن شاء الله .

(*) الدعوة، العدد ٢٥٨ ـ في ٢/٥/١٣٩٠هـ.

معسكرات عمل للشباب

الحديث عن الفراغ، وماينجم عنه من انحراف في السلوك ومايتلو هذا من فساد في المجتمع وتحطيم لمقومات الأمة الخلقية والاجتماعية.. أصبح من معاد القول ومكروره، ومن الأمور المعروفة لدى كل مطلع وقاريء.

ولكن الفراغ نفسه، ولاسيما في مجتمعاتنا الشرقية، سيظل ظاهرة سيئة مالم تتظافر جهود الباحثين والدارسين، لمعرفة جذوره وأعماقه ولوضع الأسس التي تقوم عليها سبل مطاردته ـ ومالم يعمل المخلصون القادرون من رجالات الأمة، وبصورة إيجابية وفعالة، من أجل القضاء عليه.

وكلما قدم صيف، وأقفلت المدارس والمعاهد أبوابها، كلما بدت هذه الظاهرة ماثلة أمامنا، حيث نشاهد أبناء هذه المعاهد، وهم يعانون من قسوة العطالة والفراغ ومن تفشي السأم والملل.

ومن بدهيات الأمور، أن يقال إن الشباب، في كل أمة، هم عدتها للمستقبل، وأنهم أملها في تحقيق ماتصبو إليه من رقي ومجد وتقدم.

وأمام هذا الأمل، وعلى عتبات ذلك المستقبل، تبدو المشكلة أعمق في الصورة، وأشد في الخطورة.. ومن هنا يزداد الواجب بمضاعفة العمل، وتكريس الجهد، وتسخير القوى والطاقات للأخذ بيد هذا الجيل إلى السبيل المثلى، ولوقاية الأمة ـ حاضرا ومستقبلا ـ من تلكم الآفات والأمراض الاجتماعية والنفسية والخلقية التي ينتجها مثل هذا الداء.. داء الفراغ.

ولعل وزارة المعارف، قد لمست هذا الجانب، عندما أخذت ـ قبل أعوام ـ بفكرة إقامة مراكز صيفية للشباب، فالواقع أنها ـ بذلك ـ قد بدأت تسلك مهيعا حميدا للأخذ بيد الشباب وإزالة شبح الفراغ والملل من نفسه.. لكننا نطمع في المزيد من مثل هذه المراكز، والتوسع في انشائها بحيث تشمل كافة المدن، وتتوغل داخل الريف، وتكون

على شاكلة النوادي الاجتماعية والرياضية المناسبة لميول الناشئة ومستويات مداركهم وأعمارهم، وتشتمل - ضمن ماتشتمل - على مكتبات مختارة حافلة بشتى صنوف الأسفار، في الدين والأدب والثقافة والاجتماع والتاريخ وسير العظماء والأبطال الذين كان لهم أدوار بارزة ومؤثرة في حياة أممهم والذين يصح أن يكونوا مُثُلاً عليا لأخلاقهم، وتُعنى - إلى جانب ذلك - بعرض أشرطة (أفلام) تثقيفية وتهذيبية وترفيهية يكون من شأنها فتح آفاق الناشئة على عوالم أخرى. كما تقوم بتنظيم رحلات جماعية، للداخل والخارج، بمشاركات رمزية.. وتشرف على إقامة مسابقات واسعة للقراءة الحرة في مناطقها، وتضع الجوائز التقديرية الجزلة للفائزين. والقراءة الحرة - فوق كونها من أسباب مطاردة الفراغ - وسيلة فعالة في تنمية الثقافات وخلق الذهنيات المتفتحة الواعية.

ويمكن لهذه المراكز أو المكتبات - وذلك بيت القصيد في كلمتنا هذه - أن تتوسع في مهامها، فتعمل على ايجاد معسكرات عمل للشباب، يمكن بواسطتها استغلال طاقاتهم الكامنة بتشغيلهم في مشروعات حيوية خفيفة من شأنها أن تعود على الوطن والمواطنين بالخير العميم.. ولقد نجحت فكرة هذه المعسكرات في كثير من الدول النامية.. نجحت في الأردن وتونس مثلا.. وآتت ثمارها يانعة جنية.. وكانت ذات أثر طيب في سد الكثير من الاحتياجات العمرانية والاقتصادية والمعاشية.

فليتنا نتوسع في هذه المراكز.. وليتنا نوسع من آفاقها ومن مجالاتها، فهي إلى جانب فوائدها سيجد فيها الشاب، أثناء عطلته، مايشبع هواياته، وماينمي مداركه وما يبعده عن نوازع الشر، وانحراف الطبع، ورفقة السوء.. وإن لنا لعودة إلى معالجة مشكلة الفراغ في وقت آخر، إن شاء الله.

(*) الدعوة، العدد ٢٥٩ - في ٩/٥/١٣٩٠هـ.

القلق . . وشباب العصر

القلق والوهم وعدم الثقة بالنفس والخوف من المجهول، من الأمراض النفسية التي تكاد تسيطر على شباب العصر في كثير من بقاع الدنيا . . ولئن كانت هذه الأمراض معروفة منذ القدم إلا أنها لم تأخذ الشكل المزعج والذي بات يهدد مصائر شباب العالم في كثير من البلدان إلا منذ فترة ليست ببعيدة .

ولعل هذا الشذوذ الاجتماعي الذي تعيشه جماعات كبرى من الشباب اليوم ـ وخاصة في أقطار الغرب ـ يعبر، أصدق تعبير، عن حياة القلق والشك والضياع الذي يكتنف حيواتهم .

ولا مراء أن الحضارة الحديثة ـ وهي في عمومها حضارة مادية لا تعير للروحانيات والقيم اهتماما كبيرا ـ هي التي هيأت لهذا الشذوذ النفسي والاجتماعي، وجعلت الشباب يتيه في قفار من الاضطراب والحيرة والجزع والخيبة والنفور من الواقع، فهي المسؤولة عما يعاني منه شباب اليوم من هذه الأدواء .

ولقد كانت حياة الأمس تقوم في مجملها على البساطة وكان الناس في ظلها يعيشون بعيدا عن التعقيد وعن مشكلات المادة ومتطلباتها، وبالتالي ظلوا بعيدين عن أزمات النفس وقلق الذهن وعن الخوف مما يخبئه الغد .

وليس معنى هذا أن الحضارة شر خالص . . ولكن الحضارة مع ماقدمته للبشرية من اكتشافات علمية ووسائل معاشية هائلة يفخر بها الإنسان، ظلت عاجزة عن تقديم الغذاء النفسي لهذا الإنسان، فازداد ضياعه، وتفاقمت حيرته، وراح يلتمس علاجه بالخروج على المجتمع وسلوك المهايع الضالة .

ونحن في هذه البلاد، لا نزال نحتفظ بالكثير من قيمنا وطباعنا الموروثة . . فما أحرانا بأن نستقبل هذه الحضارة ـ وهي لم تزل وليدة بعد ـ بحذر وحيطة فنأخذ الصالح، وننبذ الطالح، ونربي أجيالنا على أسس قويمة من التربية السليمة، لنواجه

بذلك هذه الحضارة مواجهة حكيمة، ولتبقى لنا شخصيتنا وليظل شبابنا بعيدا عن شتى التيارات الشاذة، ليعيش هذا الشباب قوي الثقة بنفسه متين الإرادة في عمله، متمتعا بأسباب الهدوء النفسي.

إن التربية الأساسية المستمدة أصولها من العقيدة ومن العادات الفاضلة ومن تجارب الآخرين، هي أمر يجب أن يقوم عليه مستقبل أجيالنا.. وهي أمر يجب أن تُعنى به المناهج والأنظمة.. وهذا الأمر يستدعي تخطيطا دقيقا من قبل مختصين ومجربين مخلصين.. وبهذا نتحاشى الانزلاق ـ لا سمح الله ـ فيما انزلق فيه غيرنا ممن أخذوا الحضارة على علاتها دون تمحيص أو روية.. فكان أن دهمتهم مشكلات العصر فلم يشعروا إلا وهم غارقون في عيالها.

(*) الدعوة، العدد ٢٦٢ ـ في ١٣٩٠/٥/٣٠هـ.

مشكلة تبحث عن حل

انصراف كثير من أصحاب الحرف البسيطة عن مجالات العمل الحر، وسعيهم المتكالب وراء الحصول على وظائف طفيفة وصغيرة، من وظائف «خارج الهيئة» في الدولة، ظاهرة تسترعي الانتباه في كثير من الأحيان، وهي ظاهرة مؤلمة يجب أن تحظى بالاهتمام والمعالجة.

ولو أجال المرء ناظريه، في الورش العاملة في البلاد ولدى مقاولي البناء ـ مثلا ـ لرأى أن معظم عمالها العاديين، هم من غير السعوديين وفدوا إلى هذه البلاد، التي تعيش نهضة عمرانية وصناعية فذة، من أقطار شقيقة مجاورة، إن لم تقلّ عنا في المستوى الاجتماعي والثقافي فهي ـ على الأقل ـ مثلنا. ولو سأل المرء نفسه عن السبب في ذلك لبقي حائرا قبل أن يعطي الجواب.

ولو أجال المرء ناظريه، في أنحاء الريف ـ نعم في الريف ـ لرأى أن كثيرا من عمال القطاع الزراعي، هم أيضاً من غير السعوديين، ممن وفدوا إلى هذه البلاد بحثا عن لقمة العيش، والذين لا يمتازون عن العامل السعودي بشيء في هذا القطاع، بل ربما بزهم كثيرا.

وأترك العامل العادي إلى العامل الفني المتخصص فأتأمل كثيرا من المشروعات الصناعية الخاصة في البلاد، فأجد ـ طبعا ـ معظم فنييها من غير السعوديين، وأسأل نفسي: هل جاء هؤلاء إلى أعمالهم هذه مباشرة، فيأتيني الجواب بأن هؤلاء كانوا من قبل ـ ربما قبل عام واحد فقط ـ عمالا عاديين، ولكنهم، بفضل مثابرتهم وحرصهم على الاستفادة اكتسبوا الصنعة وصاروا أصحاب حرفة واختصاص.. فمنهم النجار والحداد والبناء والدهان والميكانيكي والكهربائي إلى غير ذلك من المهن.

وأعود إلى العمال السعوديين، وأتساءل لماذا يرغب كثير منهم عن انتهاج هذه السبيل؟.

لا شك أن من العمال السعوديين من سلك هذه الطريق، ونجح فيه نجاحا

باهرا، فأفادوا أنفسهم وخدموا وطنهم. . ولكن مابال كثير منهم لا يستمر في طريقه، ولا يحاول تنمية خبرتـه على الـوجـه الأمثـل؟ . . بل مابال بعض من خريجي مراكز التدريب المهني ينصرفون عن العمل الحر أو عن العمل في القطاع الخاص ـ وهو واسع وكبير ـ ويذهبون باحثين عن عمل بسيط في دائرة حكومية لا يتجاوز في الأغلب المرتبة الثانية من وظائف «خارج الهيئة»؟.

هل هذا نقص في التوجيه؟. أم رغبة في الراحة واتقاء للمشقة؟ أم ماذا؟. . وفي جميع الحالات لابد من علاج سريع.

إنني أشعر بالخجل، عندما أرى وافداً إلى هذه البلاد. . يأتي من بلاده، لا يكاد يعرف مهنة من المهن. . ولكنه بفضل جده واجتهاده يعود إليها ـ بعد سنوات قليلة ـ حرفياً ممتازاً!.

وشعرت بخجل خاص، عندما راجعني عامل بناء سعودي أعرفه، طالبا ـ على حد تعبـيره ـ مساعدته في الالتحاق بعمل وظيفي خارج الهيئة. . وكنت أعرف هذا الشخص صاحب مهنـة رائجة وتدر عليه دخلا شهريا مناسبا. . وعندما سألته عن سبب رغبته في التخلي عن مهنته وعمله، لم يزد على القول بأنه قد سئم كثرة العمل وشقاءه، وإنه يريد عملا مريحا ولو بمرتب ضئيل.

مرة أخرى ـ ومهما قيل في هذا الصدد ـ فالموضوع يستدعي دراسة شاملة لتقصي أسبابه من قبل المختصين، ومن ثم وضع الحلول الجذرية له.

(*) الدعوة، العدد ٢٦٣ ـ في ٧/٦/١٣٩٠هـ.

بين الناقد والمنقود..

النقـد السليم المخلص، ركيزة متينـة من ركـائـز نهضـات الأمم.. الفكرية والاجتـماعية والخلقية والأدبية.. بل هو ضرورة حتمية لبنـاء حياة مثـلى متكـاملة الجوانب، ولهذا يجب على كل فرد أن يفتح له صدره، ليصل بنفسه وبمجتمعه إلى المستوى الأفضل!.

والإنسان ليس معصوما من الخطأ.. والذين لا يخطئون هم وحدهم الذين لا يعملون لأن العمل ـ مهما يكن حجمه ـ لابد وأن يصحبه خطأ ما.. صغر هذا الخطأ أم كبر.. وأحيانًا كثيرة يقع هذا الخطأ عفواً، فلا يشعر به صاحبه إلا عندما ينبهه إليه الآخرون.. أي من اصطلحنا على تسميتهم بالنقادين. وهنا تبرز عظمة النفس من عدمها لدى الشخص المنقود.. ففريق من الناس يقابل النقد المخلص برحابة صدر، وسعة بال، بل بالتقدير والشكر، فينم بهذا عن سمو في الفكر، وكبر في العقل، وعن حب للحقيقة، ونشدان للأفضل.. وفريق ثانٍ تأخذه العزة بالاثم، فيركب رأسه، ويأنف من قبول النقد المخلص ـ وهو لمصلحته ـ ويرى في هذا النقد إهانة له، واحتقارا لعمله، فينم بهذا عن سقم في الرأي، وقصور في التفكر، وعجز عن مواجهة الواقع بنفس شجاعة مخلصة!.

إن النقد المجرد يفتح للمرء آفاقًا لم يطرقها فكره من قبل في كثير من الأحيان، ويضيء له دروبا معتمة، فهو خير مرشد، وخير دليل، للأفراد وللجماعات وللأمة.. وهو يفصح عن سبيلين: سبيل حميدة خيرة، مضمونة النتائج، مأمونة العواقب، يخلق بالمرء انتهاجها، كيما يصل إلى هدفه على أتم حال.. وسبيل قاتمة، بخسة الفائدة، باهظة الكلفة، وخيمة النتيجة، يخلق بالإنسان مجانبتها، كيلا يقع في مرارة الفشل وهوة الخيبة.. فالنقد ـ على هذا ـ مدرسة توجيهية فذة.

والمرء العاقل، عندما يأخذ عليه منتقد تصرفا من تصرفاته، يدرك أن هذا لا يعني نيلا من ذاته، ولا يقصد الاساءة إليه، لأن النقد المجرد من الأهواء عمل تقويمي بحت، يرمي إلى تقـويم الاعوجاج في السلوك والخلق وفي العمل والواجب.. وهو

عندما يتقبل هذا يكون قد افاد نفسه وأفاد مجتمعه . . فضلا عما يعنيه ذلك من مرونة في التفكير، وسمو في العقل، وارتقاء بمفهوم الحياة .

ولكن، هنا ترد قضية . وهي أن الناقد قد لا يكون مصيبا في رأيه . . لأنه، هو الآخر، يجوز عليه الخطأ . . ولكنه إنسان يكفيه أنه مجتهد، وأنه باحث عن الحقيقة، وناشد للكمال . . ولهذا فهو أيضاً يفتح صدراً للنقاش . . والنقاش وسيلة تتمخض عنها ـ في نهاية الأمر ـ الحقيقة . . وهنا يكون النقد قد أدى مهمته .

والناقد المخلص، يضع نصب عينيه هدفا سامياً، فهو يعرف أن النقد توجيه وارشاد وخدمة عامة . . وليس تشهيراً أو اقتصاصا أو حتى رغبة في النقد لذاته . . لأنه، في الحالة الأخيرة، يصبح لاغيا وعابثا ومهوشا . . ويصبح كلامه هراء وتهويشا . . وخليق بمثل هذا الكلام أن يبقى مكتوم الأنفاس لأنه ـ وهو ليس من النقد قطعا ـ سوء في السلوك، وتردٍ في الخلق .

فما أحوجني . . وما أحوجك . . وما أحوج كل فرد إلى من يدله على الخطأ وإلى من ينبهه إلى مواطن الزلل . . إن في هذا لصلاحا للعمل وخيرا للعاملين . . ! .

(*) الدعوة، العدد ٢٦٤ في ١٤/٦/١٣٩٠هـ.

الأصوات النافرة . .

إن معظم مانسمعه، مما يسمى بالأغاني المحلية، هو في الغالب لا يخرج عن كونه جناية على الأذواق، وعبثا بالمسامع، واستهتاراً بالقيم الأخلاقية الحميدة . . وإذا بحثت عن الأسباب وراء هذا السيل الجارف من هذه الأغاني لا تجد سوى الاغراء المادي المتناهي الذي يدفع بالكثيرين إلى سلوك هذه السبيل .

فالكلمات تافهة اللفظ، ضعيفة التركيب، متهافتة المعنى، خواء من الروح ومن الفكـرة، لا تعبر عن معنى جيد، ولا تحكي هدفا ساميا . . وهي، في الفاظها وفي صيغها وتعابيرها، تقليد فاشل للهجات بعض الأقطار العربية الأخرى . . وهي تفيض بالتوجع الكاذب، والحرقة الرخيصة، والحكايات التافهة السطحية الممجوجة والمردودة التي تبعث على التأفف والاشمئزاز والسخط . . ! .

والألحان رديئة، مائعة، مضطربة، ثقيلة على الأذن . . لا فن فيها، ولا ابتكار، ولا ابداع، ولا طعم .

أما الأداء، فمضحك ومبكٍ في آن واحد: تصنّع في الانفعالات والحركات، وأصوات نافرة ناشزة . . تعلو حينا وتهبط حينا آخر، تنوح وتولول . . وتشرق وتغرب . . مما لا يملك معه السامع، أو المشاهد سوى الشفقة على أصحابها .

هذه حالة مايسمى بالفن عندنا . . وهي حالة مزرية مؤسفة . . لابد من وضع حد صارم لها، ابقـاءًا لقيمة الفن الصحيح، وحفاظاً على سلامة الأذواق من عبث العابثين . . ثم احتراماً لطابع هذه البلاد التي ترفض كل مايتنافى مع سماتها النفسية والخلقية والروحية .

فـهـــل ترانـــا فاعليـــــن . . ؟! .

(*) الدعوة، العدد ٢٦٥ في ٢١/٦/١٣٩٠هـ .

إلى مذيعينا . . .

كثير من مذيعي الإذاعة والتلفاز عندنا، يقعون في أخطاء صوتية ولغوية ونحوية عندما يتلون نشرات الأخبار أو عندما يقدمون بعض البرامج باللغة الفصحى مثلا . . وهذه الأخطاء ـ وهي في معظمها شنيعة ـ لا يصح أن تحدث من مذيعين، يفترض فيهم أن يكونوا على قدر كبير من الثقافة، وعلى احاطة كافية بأصول اللغة وقواعدها .

وإذا كانت بلادنا تمثل الصميم في دنيا العروبة، وهي كذلك، لأنها مصدر العرب، ومهد اللغة العربية، ومهبط القرآن . . وإذا كانت الإذاعة والتلفاز، في أي بلد، هما الواجهة الأولى لذلك البلد، ومايصدر عنهما يحكم عليه من قبل الآخرين بأنه صورة لواقع الأمة الفكري ـ فما أحرى مذيعينا بأن يعوا هذه الناحية وبأن يكونوا صورة حية لهذا البلد الذي يعيش اليوم نهضة فكرية وعلمية زاهرة!.

إن الصوت الإذاعي السليم، والأداء الحي المتمكن، أمران يكادان أن يكونا مفقودين لدى كثير من مذيعينا ولا أقول لدى كلهم، لأن فيهم من هو على مستوى جيد في صوته وقوة نبراته وفي أدائه . . ونحن نحسب أن مثل هذا العنصر الواجب توافره في المذيع، هو شيء لا يدرك بالاكتساب بقدر ماهو موهبة وطبع . . ومن هنا فإن المذيع ذو مؤهلات طبعية خاصة تؤخذ بالاعتبار عند اختياره، ولكن هذا لا يمنع من أن نطلب إلى مذيعينا العمل على تحسين طريقة الأداء لديهم . . ليكون المستمعون والمشاهدون مشدودين إليهم، إلى حد أكبر وأكثر وأمتع .

أما عن الأخطاء النحوية، فقد أصبحت ـ لكثرتها ـ شيئاً مألوفاً لدى المستمعين . . وذلك أمر لا يجوز أن يبقى . . وإن على بعض المذيعين ـ لا كلهم . . أيضاً ـ أن ينتبهوا لأنفسهم، وأن يحسنوا من وضعهم . . وليس في هذا من ضير!.

والحال كذلك، بالنسبة للأخطاء الحاصلة في نطق بعض المسميات والاعلام . . ولو كان الخطأ يقع فقط في المسميات الأجنبية، لالتمسنا عذراً لذلك، بيد أن الخطأ يقع أحيانا في مسميات عربية . . بل ومحلية مألوفة لدى كثير من الناس .

وبعد.. فلا أحسب أن مثل هذا الكلام سيغضب الأخوة المذيعين، فإن دافعي إليه ليس سوى رغبتي بأن يكـونـوا في حال أفضل من سواهم.. وأغلب ظني أنهم سيتقبلونه برحابة صدر، ومرونة روح.

(*) الدعوة، العدد ٢٦٦ في ٢٨/٦/١٣٩٠هـ.

الهـوى الضـال . . .

(الهوى يعمي ويصم) . . حكمة خالدة لا شك أنها وليدة خبرات طوال في هذه الحياة، ونتاج تجارب عميقة مع الناس.

ذلك أن المرء، عندما يرخي عنان هواه، يخفي معالم الحقيقة . . فإن كان ساخطا عمد إلى طمس جميع الفضائل، ومحو كافة المزايا، ونزع شتى المثل الخيرة الحميدة عمن لم يهضمه هواه، كما يبرز المثالب البسيطة التي لا تخلو منها أية نفس بشرية بصورٍ جسام . . وإن كان راضيا، جعل الأبيض أسود والأسود أبيض، دونما وازع من ضمير أو رادع من فكر . . !.

ليت مثل هذا المرء يعود إلى نفسه قليلاً . . فيتأملها ويتأمل واقعه ومايأتيه من أعمال وتصرفات . . ثم يقارن هذه الأعمال وهذه التصرفات بأعمال الآخرين وتصرفاتهم . ثم يصدر ـ على ضوء المقارنة ـ حكما نزيها!.

إنه، ولا مراء، سيجد في نفسه من العيوب، وفي أعماله من الأخطاء، مثل مافي الآخرين وأعمالهم إن لم يكن أكثر . . وسيجد بها أيضًا من المحاسن مثل مالدى الآخرين وربما أقل . . !.

ليته يفعل هذا عندما يعطي رأيا في شخص وعندما يبرز مثالبه أو مناقبه . . ليته يتذكر عيوب نفسه قبل أن يحكي عيوب الآخرين.

لو جرب كل إنسان ذلك كفّ عن مجاراة هواه . . ولكن هل بقدرة الإنسان أن يكف عن مجاراة الهوى؟ . . إن النفس البشرية لهي أعجز وأضعف بكثير من أن تتغلب على الهوى . . !.

أجل، إنه الإنسان المسكين الذي سمعته أمس يضفي على شخص من الفضائل والمناقب ماليس أكثرها فيه، وكان قبل أيام مضت ينسب إليه من الرذائل والمثالب ماليس أكثرها ـ أيضا ـ فيه . . !.

(*) الدعوة، العدد ٢٦٨ في ١٣/٧/١٣٩٠هـ.

المغرمون بالمظاهر والقشور

بعض الأفراد يحفل بالمظاهر حفاوة تفوق التصور، وتستهويه القشور، استهواء يملك عليه مشاعره، ويتشبث بالسطحيات تشبث الغريق بالقشة تطفو على سطح الماء، ويحيط نفسه بهالة من السراب الخادع والأهمية الكاذبة. وقد يصبح هذا ديدنه حتى لا يكاد يجد عنه سلواً ولا مندوحة.

ولا شك أنه بمثل هذا يحسب أنه يضع لنفسه مقاما عالياً بين الآخرين، وإنه يجلب انتباههم، ويثير اهتمامهم، ويوهمهم بأنه شيء كبير في دنياهم.. ومادرى المسكين أنه بصنيعه هذا قد جعل من نفسه مثار سخرية، ومدعاة هزء، ومجالا خصبا للتندر بين الخاص والعام.

فلماذا - إذن - يلجأ هذا الصنف من الناس إلى هذا الأسلوب المهتريء؟.

الواقع أن الاحتفاء بالمظاهر يمثل داء نفسيا عضالا، وأن المحتفين بالقشور والسطحيات قبل اللباب والجوهر، هم جماعة مرضى يعانون من شعور سلبي من قبل المجتمع.. ولجؤهم إلى مثل ذلك الأسلوب ضرب من الدفاع «الباطني» عن النفس، لما يشعرون به من حقيقة مرة يجابههم بها المجتمع.. فالناس دون ريب، يدركون المستوى الحقيقي لذلك الصنف، فيبدو أثر هذا الادراك في نظرتهم له، فيحاول هذا أن يرفع عقيرته، بتصنع بعض المظاهر وبالنفخ في الهواء، مما لا رائحة فيه للحقيقة طبعا.

والتعلق بالمظاهر، ليس سوى نوع من التنفيس عما في صدر صاحبه من مشاعر مكبوتة، وليس سوى صورة من صور التعويض عما افتقده في هذه الحياة.. فإذا أنت رأيت شخصا ولوعا بالمظاهر حفياً بإيهام الآخرين بأهميته فاحكم - وأنت مرتاح البال - بأنه خواء من عطف الآخرين واهتمامهم، ولم يجد العطف والاهتمام إلا من نفسه وحسب، فراح يضفي عليها من سخائه الشيء الكثير. وعلى الضد من هذا، فإن من يبدو طبيعيًّا في مظهره وسماته، وفي احاديثه وخطراته، هو أقرب الناس إلى الثقة بنفسه

والاعتداد بقيمتها الاجتماعية، وهو أيضاً أكثرهم ثقة بالآخرين واطمئنانا إلى مشاعرهم نحوه واكبارهم لروحه وخلقه ومقامه وما يؤديه من أعمال.

والمولع بالمظاهر واهمٌ جدًّا إذا كان يعتقد أن أسلوبه هذا يطوف على أذهان الناس وأنه يحقق مقصدا يرمي إليه، لأن الناس لا يلبثون أن يدركوا الحقيقة ـ بعد زمن وجيز ـ ومن ثم ينصبون منها هدفا لغمزاتهم ولمزاتهم ويتخذونه مجالا للسخرية والتندر.

(*) الدعوة، العدد ٢٧٠ في ١٣٩٠/٧/٢٧هـ.

وقفة تاريخية

عندما يلامس سمع الواحد منا اسم «طارق بن زياد» ـ ذلك القائد العبقري ـ تميس النفس طربا، وتسرح في ذكريات عبقة جميلة عن الماضي الحافل بالأمجاد الخالدة لهذه الأمة العظيمة.

إن هذا الفاتح المعجزة، ليثير في النفس أسمى معاني الاكبار والاعزاز والاعجاب.. لقد اكتسح جموع الأعداء، وأخضع بلادهم، في عزم واصرار عجيبين، تسنده ـ في ذلك ـ عقيدة راسخة وهدف نبيل، فكان ـ بحق ـ أحد الخالدين المبرزين في التاريخ.

وبالأمس، كان بين يدي كتاب يحكي قصة الفتح العربي للشمال الأفريقي وللأندلس.. وطبعي أن يرد اسم طارق في غضون الكتاب كأحد قادة هذا الفتح وأعلامه.. واسترعى انتباهي أسف المؤلف لكونه لا يعرف، ولا التاريخ يعرف شيئا عن طارق: كيف بدأ وكيف انتهى..!.

وذلك أسف نشاركه فيه.. فإن قائدا ملهما وفاتحا مشهوراً كطارق. قُدر له أن يدني قطوف كثير من البلدان للعرب والمسلمين وأن يضيفها إلى رقعة دولتهم الفتية المتوثبة ـ قمين بأن يُعرف عن حياته ونشأته ونسبه وما إلى ذلك من شئونه كل دقيق وجليل.. ولكن ماحدث هو العكس.. فلا يعرف أحد عن هذا البطل الفذ إلا أنه قائد فتح الأندلس وأدخلها ضمن الامبراطورية العربية.

أما من هو طارق فذلك هو سر التاريخ الذي لم يكشف.. فالمؤرخون الذين تعرضوا لحياته لم يستطيعوا ـ على قلة ماقالوه عنها ـ أن يتفقوا على رأي.. فعن نسبه ـ مثلا ـ قال بعضهم إنه بربري من نغزاوة ـ في تونس ـ وبعضهم قال إنه من «زنانة» وآخرون قالوا إنه من موالي الفرس ومن مدينة همذان بالذات.. وحتى اسمه اختلفوا فيه فنقل بعضهم إن اسمه طارق بن عمرو وليس طارق بن زياد.. ولم يذكر المؤرخون لنا شيئا عن نشأته وكيف دخل في الجيش العربي، كما لم يذكروا شيئا عن أخريات أيامه

وكيف عاشها وأين عاشها وأين مات وكيف؟ . . كل مانجده في التاريخ أن طارقا برز فجأة قائدا من قواد جيش الفتح الإسلامي الذي كان على رأسه موسى بن نصير في شمال أفريقية، وأن موسى بعث قطعة من هذا الجيش تحت قيادة طارق للأندلس، وأن طارقا قام بالمهمة خير قيام، وأن موسى ـ بعد ذلك ـ قد لعبت الغيرة في أحشائه، فحسد طارقا ـ هكذا يقول المؤرخون ـ فأساء معاملته بعد ذلك، وأن طارقا اشتكى ـ وهو سجين ـ إلى الوليد بن عبدالملك الذي أنصفه وأعاد له اعتباره، وعندما عاد موسى إلى الشام، بعد فتح الأندلس، اصطحب طارقا معه. . وإلى هنا انتهت أخبار طارق. . وهكذا فكما ابتدأت حياته مبهمة غامضة انتهت أيضاً في ابهام وغموض!.

إن أبطالنا حريون بكل حفاوة، وإن أُولى درجات الحفاوة والتخليد أن نُحاط علما بالكثير من مراحل حيواتهم لنستخلص منها العبرة والتجربة ولتستضيء بهداها الأجيال. . ولكن ذلك هو مالم يكن بالنسبة لقائد الفتح العربي للأندلس.

إنها مسؤولية مؤرخينا الذين طفحت مؤلفاتهم ـ في نفس الوقت ـ بكثير من توافه السير وقشور الأخبار والأحداث.

(*) الدعوة، العدد ٢٧٥ في ٤/٨/١٣٩٠هـ.

رأي . . . للعرض

تشكو بلادنا ـ على وجه الأجمال ـ فقراً في الماء.

ومن هنا أدرك المسؤولون ضرورة البحث عن مصادر للمياه، غير المصادر التقليدية، فكان عملاً حياً أن اتجه التفكير إلى الاستفادة من مياه البحر، على صورة حديثة ومنتجة انتاجا يفي بالحاجة، وكان أن تم الاتفاق مع بعض الشركات العالمية، ذات الخبرة والاختصاص، على انشاء محطات تحلية مياه البحر الأحمر في جدة والوجه، مما سيعود ـ دون شك ـ على هاتين المدينتين بالخير الوفير.

وقد وافتنا الأخبار، أمس، بأن محطة تحلية مياه البحر بجدة، قد بدأت في اعطاء التجارب، وأن امداد جدة بمياه البحر سيتم قريبا. . ولا مراء أن في هذا بشرى عظيمة تزف إلى الناس.

ووافتنا الأخبار أمس أيضاً من خلال بيان وزارة الزراعة والمياه، بأنه قد تم الاتفاق مع احدى الشركات على إنشاء محطة لتحلية مياه البحر بالخبر، على الخليج العربي. . وستستفيد من هذا المشروع مدن خمس من المنطقة الشرقية.

ونعتقد أن ذينك المشروعين، هما حلقتان في سلسلة طويلة من مشروعات الاستفادة من مياه البحار في الشرب، وربما في الري مستقبلا، ولا نملك أمام هذا سوى الشكر للعاملين.

ولكن. . تبقى مشكلة المياه في المناطق الداخلية. . وفي اعتقادنا أن المسؤولين قد وضعوا باعتبارهم تنمية مواردها المائية. . غير أني أسأل هنا عن مدى الاعتماد على هذه الموارد ومدى امكانية تنميتها؟.

ولقد خطرت لي، في هذا المجال، فكرة كنت قرأت عنها، منذ مدة وأعني توليد الامطار الاصطناعية، والتي قطع البحث العلمي فيها شوطا كبيراً وجرى تجربتها في

بعض مناطق أفريقيا الغربية، قبل عامين فآتت ببعض النتائج.

خطر لي هذا الأمر.. وتساءلت عما إذا كانت نتائج البحوث والدراسات في هذا المجال، هي تحت أيدي المختصين هنا، وعما إذا كانت هناك امكانية للاستفادة منها مستقبلا ولتطبيقها في الصحارى البعيدة عن البحر؟.

هذه فكرة أسوقها على عجل.. آملا أن تحظى بالنقاش من لدى المختصين، وأن يدلوا برأيهم بشأنها.

(*) الدعوة، العدد ٢٧٣ في ١٨/٨/١٣٩٠هـ.

لكي يؤدي الاعلام دوره

رسالة الاعلام، رسالة دقيقة وخطيرة وحساسة، وهي تتطلب تخطيطا تتظافر له طاقات شتى من الخبرة والمعرفة ومن الاحاطة بجوانب الحياة الاجتماعية والنفسية والسياسية وسواها، أي ادراك طبائع الأمة وتكويناتها العامة والخاصة ليتمكن «رجل الاعلام» من تقديم المادة الاعلامية المفيدة المقبولة، ذات التوعية المتكاملة.

ومن هنا قالوا إن الاعلام سلاح ذو حدين، بمعنى أنك إن مارسته عن دراية وعلم ومعرفة وبحذر وفطنة وذكاء؛ فإنه سيكون عونا لك في تحقيق ماتصبو إليه من أغراض ومُثُل، وإن مارسته عن جهل وغفلة وبدون مقاييس وضوابط فإنه سيعود وبالاً وحسرة.

ومن ثم رأينا الأمم الراقية تهتم بإعلامها وتوليه أكبر قسط من العناية والملاحظة.. ففي مجال التصميم والتخطيط والبرمجة يتولى هذا الجانب أناس عُرفوا بطول الباع في هذا المضمار، وبسعة الفكر والثقافة والتجربة، فضلا عن مبدأ الاختصاص الذي هو مطلب أساسي.. وعلى صعيد التنفيذ نجد هذه الأمم لا تدع الحبل مفلوتاً لكل من يدعي التأليف والكتابة وصنع الكلمة.. بل تخضع ذلك لمقاييس فنية وعلمية ونفسية ليكون هؤلاء على مستوى جيد من الانتاج الفكري الذي سيوجه للقاريء أو المستمع أو المشاهد بواسطة أجهزة الاعلام المعروفة. وبعبارة أخرى، فإن تقويم الانتاج الصالح للنشر يتم بوسائل بعيدة عن أي عاطفة أو (مزاج) خاص.

ونحن في هذا البلد أمة نامية كما يقول الاصطلاح، أي لا نزال آخذين بأسباب النمو البناء، وعلى هذا الاعتبار فنحن معرضون لكثير من التجارب التي يطرأ عليها بطبيعة الحال، ناموس الفشل والنجاح. وتجربتنا في هذا الفن ـ فن الاعلام ـ تجربة حديثة ومحدودة.. وربما وقعنا في اخطاء كثيرة منها المحسوس، ومنها ما قد لا يلتفت إليه كثير من الخواص والمعنيين.. بَلْهَ عامة الناس.. وقد لا يكون منشأ هذه الاخطاء سوء نية، بل هو نابع من اعتبارات كثيرة يأتي من بينها ندرة الطاقة البشرية المختصة وعدم استيعاب بعض العاملين في هذا القطاع لطبائع الحياة والمجتمع ولطبائع النفوس، في بلادنا.

إن هذه الخواطر والأحاسيس كثيرا ما تتداعى في مخيلتي إثر سماعي أو مشاهدتي لتمثيلية أو أغنية أو برنامج ما من خلال فترات بث الإذاعة أو المرناة (التلفاز) . . وكثيرا ماكنت أخاطب نفسي عندئذ : تُرى لو أن إنساناً غريبا عن هذه الديار، ولم يسبق له أن عاش بين ظهراني هذا المجتمع ـ لو أن هذا الإنسان سمع ماسمعته فماذا سيكون تصوره لحياة الناس هنا ولطبيعة المجتمع هذا الذي لا يمثله ذلك البرنامج أو التمثيلية أو الأغنية من قبيل أودبير؟ ! .

إن كثيرا من التمثيليات ـ مثلا ـ تتناول أو تدور حول مواضيع صغيرة وتافهة يسمونها «مشكلات» وأنا أقول «مواضيع صغيرة وتافهة» لأنها ـ على افتراض وجودها في حياة الناس هنا ـ لا تعدو أن تكون محصورة في أفراد (شذاذ) . . وليست بالسمة العامة التي يعاني منها المجتمع ، ولكن مؤلف التمثيلية ـ وأنا أسميه (مؤلفاً) تجاوزا ـ حار فكره الضيق حول مايجب أن يكتب عنه ، فلم يهده (فكره) إلا إلى هذا الموضوع . ولربما كان الموضوع مختلقا لا أساس له من واقع . . ولكن (تاجر) الكلام أراد أن يكتب شيئا ينال به (مكافأة) ولا يهمه ـ بعد هذا ـ أن يستمع الناس لتمثيليته رغم أنوفهم .

وما نقوله عن بعض (التمثيليات) نقوله أيضاً عن كثير من الأغنيات وماتنضح به من كلمات تافهة سمجة ، وألحان رديئة مزعجة ، وأداء يبعث على السخرية والاشمئزاز . . كما نقوله عن (مسابقات التلفاز) وما تتسم به من ضحالة المادة وسطحية الموضوعات . ونقوله ـ رابعا وخامسا ـ عن عدد من البرامج المسموعة ، والمشاهدة .

وإذا تركنا الإذاعة والمرناة جانبا ودلفنا إلى بلاط الصحافة أجد نفسي في حل بأن لا تعفي الزملاء الصحفيين من الخطأ . . فما أكثر أن نقرأ في هذه الصحف كلاما لا يعرف له رأس من ذنب ـ إن جاز التعبير ـ كلاما يخلو من الفكرة والهدف ومن سلامة التعبير واللغة ، وكأن الأمر فقط هو الرغبة في الاكثار من صفحات الجريدة أو المجلة وليس في انتاج الجيد المفيد للقاريء .

إنني أطالع بعض الصحف ، فأتمنى من قلبي لو أن صفحات نزعت منها ليكون للصحيفة وزنها وهيبتها واعتبارها . . ذلك أنها صفحات غريبة في شكلها ومظهرها ،

وفي محتواها وأفكارها، وليس لها أدنى فائدة.

ولو أن الصحيفة رجعت لنفسها، وخرجت في ثماني صفحات متقنة ومدروسة، لكان ذلك خيرا لها من أن تصدر في ست عشرة صفحة ـ مثلا ـ يملؤها ركام من الهرج والهـراء وسقط القول، ومن تحركات العاملين فيها من سفر وقدوم ودعوات.. ومن تبجح بسبق صحفي موهوم بين فينة وأخرى.. !!

إن مبعث كلامي هذا هو تطلعي الحار إلى أن تصبح صحافة بلادنا صحافة حية نموذجية تُقرأ في كل مكان، فيحتذي الغير حذوها ويقتفون أثرها ويترسمون خطاها وليس هذا بعزيز علينا.

أعود إلى أهمية الاعلام.. متمنيا من قلبي تنقية المادة الاعلامية ـ بصفة عامة ـ من شوائب الضحالة الفكرية، لتكون بهذا متمشية مع المكانة الكبرى لهذه البلاد في نفـوس العـرب والمسلمـين، وهي مكانة كرست قيادة هذه البلاد جهودها من أجل تحقيقها وتجسيدها وانمائها.

(*) اليمامة، العدد ٤١٠ في ١٣٩٦/٧/١٩هـ.

طغيان الفكر المادي

من المعروف عن هذا المجتمع أنه مجتمع يتسم بالخلق السمح والقناعة والرضا، ويعتمد القيم والمباديء والأخلاق أساساً حيويًّا لعلاقته وتصرفات أفراده. . ولم تكن المادة في يوم ما لتحظى منه بالاعتبار الأكبر في توجيه آرائه أو أحكامه.

ودهمته الحياة الجديدة على حين غرة، فأحدثت تأثيرها في نفسيات أفراده وفي طبيعته الخلقية. . وبقدر ماكان لهذه الحياة المستجدة من جوانب خير كان لها ـ على الطرف الآخر ـ جوانب سيئة أعمت هذا المجتمع عن التبصر السليم ودفعت به إلى متاهات مخيفة حقا.

وكان على رأس هذه الجوانب المعتمة سيطرة الفكر المادي على النفس سيطرة مذهلة ومريعة وإستحواذه على أذهان الكثيرين إستحواذا يكاد يقلب كل المقاييس والاعتبارات.

أصبح الإنسان يعيش تكالبا تلقائيا على المادة التي باتت توجه عقله ورأيه وأصبح يساوره قلق عجيب على عدم تحقيق مطامع نهمه وشرهه، وتحولت نفسيته تحولا يوحي بالهلع والخوف من لا شيء، وصارت (المصلحة الذاتية) قواما للعلاقات بين الأفراد، وهانت في النفوس القيم الروحية والخلقية.

إنها ظاهرة حزينة ومحزنة، يعاني منها جيل اليوم من حيث لا يشعر، وقد شغلته عن بناء نفسه بناءاً حقيقيًّا وتكاد تلقي به في تيه لا مرفأ له. . !.

(*) اليمامة، العدد ٤٣٤ ـ في ١٣٩٧/٢/٢هـ.

إعادة نظر.. في الأنظمة

من المعلوم أن كثيرا من الأنظمة والتعليمات التي يجرى العمل على وفقها في كثير من المرافق والمجالات في بلادنا هي أنظمة وتعليمات قد سنت منذ أوقات غير قريبة وربما كان بعضها يعود إلى ربع قرن مضى من الزمان، بل ربما تخطت هذا الحد.

وكانت هذه الأنظمة ـ إبان صدورها ـ تعتبر خطوات جيدة في بناء الهيكل التنظيمي والإداري للبلاد.. كما كانت ـ في نفس الوقت ـ متمشية مع الوضع الاجتماعي والمالي للبلاد.

وكانت مجالات العمل محدودة ومتطلبات الحياة ضيقة للغاية كما إن ظروف البلاد الاقتصادية من العُسر والصعوبة بمكان.

وسارت الحياة ـ بعد ذلك ـ من حال عُسرة إلى حال يُسرة وصار الوضع الاجتماعي على نحو أفضل، حتى شملت البلاد حالة من الازدهار ظلت تنمو يوماً عن آخر، إلى أن جاءت القفزة الاقتصادية الأخيرة، أو «الطفرة» كما يحلو للبعض أن يسميها، وهي القفزة التي ضاعت معها كل الحسابات والتقديرات والمعايير، والتي فاقت كل تصور، ولم تكن لتخطر على بال أحد منذ عشر سنوات مثلا!.

ومن هنا وجدنا أنفسنا أمام كثير من هذه الأنظمة، وهي تقف في معظم الأحيان حائرة، بل عاجزة عن الاستجابة لمتطلبات البناء الجديد.. أو متطلبات خطة التنمية بمعنى آخر.

ولم يعد هذا العجز قاصراً على تلكم الأنظمة الموغلة في العمر.. بل ربما شمل أيضًا الأنظمة الحديثة نسبيا والتي لم يمض على اصدارها سوى بضع سنوات وخاصة الأنظمة الإدارية والمالية.

ولا مراء أن هذه الأنظمة وتلك قد أدت أغراضها المتوخاة منها في أحيانها، بل

لقد استطاعت أن تدعم مسيرة البناء والعمران لكنها وقفت ـ كما قلنا ـ حائرة مترددة عاجزة أمام تلكم المتطلبات. . في السنوات القليلة المنصرمة. وليس الذنب ذنب النظام. . ولكن الوضع الجديد الذي فاجأنا وجعلنا أمام شئون جديدة كثيرة تتطلب البت والانجاز على أتم وجه وأفضله.

ونحسب أن الرأي القائل بأن خطة التنمية تفوق قدراتنا الإدارية رأي لا يخلو من بعض الجوانب الصائبة.

وقُدراتنا الإدارية لا تكون فقط في وفرة الكفاءة والاخلاص. . وإنما تكون أيضًا في وجود الأنظمة الحديثة التي تجمع بين المرونة والحزم. . والتي تفي بمتطلباتنا الحيوية وتعطي للمسؤول مجالاً رحبا من الثقة يمارس خلاله واجباته في ايجابية ودون تلكؤ أو تردد.

ولا نشك أن المسؤولين يدركون ذلك، وأنهم باتوا يولون هذا الجانب قسطا كبيرا من اهتمامهم وأن لديهم الرغبة الصادقة المخلصة في معالجة هذا الأمر على نحو كامل وسليم.

ومن هنا رأينا الدولة تقرر مؤخراً اعادة النظر في بعض الأنظمة الإدارية والمالية مع أن بعض هذه الأنظمة لم يمض عليها سوى سنوات قليلة، وماذاك إلا إيمانا من الدولة بأن واقع تلك الأنظمة لم يعد ملبيا ما ننشده جميعا من بناء جيد وسريع ومن تقديم خدمات ميسرة وطيبة.

ونحن في هذا الصدد، نتمنى أن يتم الفراغ من ذلك في أقرب وقت وأنسبه.

لكن الأمل الذي يظل يداعب مخيلاتنا والذي نتطلع إلى تحقيقه هو اجراء عملية مسح شاملة للأنظمة الأخرى، ولا سيما الأنظمة الموغلة في القدم وذلك بغرض اعادة النظر فيها اعادة موضوعية تراعي ظروف الحاضر ومتطلباته، ومن ثم تعديلها، أو اصدار بديل لها. . مواكبين في هذا روح الاخلاص لدى المسئولين وخطة البناء والعمل التي تتبناها حكومتنا الكريمة.

(*) اليمامة، العدد ٤٣٧ ـ في ١٣٩٧/٢/٢٣هـ.

عتـــاب القلـــم

مات أحـد المـطربـين العـرب قبل أيام ـ والبقاء لله وحده ـ وراح الكثير من الصحف العربية، وبعض وسائل الإعلام الأخرى، يتحدث عن (فقيد الغناء العربي) كما لو كان بطلا اسطوريا استطاع أن يحرر فلسطين من براثن الاعداء وأن يعيد أمجاد الامبراطورية العربية في أوج ازدهارها.

ومن حق أي إنسان أن ينعي فقيدا عزيزا على نفسه، ومن حقه أن يطريه.. ولكن أن يصل هذا الاطراء.. وذاك الرثاء.. إلى حد جعل من الفقيد شخصا فوق مستوى المعقول، فهذا مانرفضه ونأباه.. بل مايرفضه كل غيور على واقع أمته الأليم.

ونحن نعرف أن هذا المغني قد خلب الباب المراهقين والمراهقات، واطار صواب المتصابين والمتصابيات.. وهذا هو كل أمجاده التي عاش عليها طوال حياته.

أي أنـه لم يكن ـ على سبيل المثـال ـ جنـديا مرابطا في ثغر من ثغور العروبة والإسلام، ولم يلق وجه ربه على هضاب الجولان أو فوق كثبان سيناء أو على مشارف الأقصى، ولا أستشهد متطوعا مع أقرانه المناضلين في أرياف أريتريا، ولم يسهم في اختـراع سلاح عربي رهيب نرد به كيد الـطغاة الطامعين في بلادنا ونكيل به الصاع صاعين لأعدائنا المتربصين الدوائر بقيمنا ومقدساتنا ولم يقدم لأمته خدمة قومية يستحق بها شكر الشاكرين وينال بها حق الاعتراف بالجميل.

بل كان (مغنواتياً) ـ كما يقول العامة في مصر ـ ساهم في صنع ظاهرة الميوعة الخلقية التي يعيشهـا الكثير من الشاب العربي المعاصر، والتي كانت أحد الأسباب لهزيمتنا أمام أعدائنا.

ولقـد افتقـدت الأمـة العـربية.. في السنـوات الأخيرة عشرات الاعلام من المفكرين والمصلحين والمجاهدين.. ومع هذا لم نر صحافتنا العربية تقوم ـ ولو على الأقـل ـ بتعـريف هؤلاء إلى أبناء جلدتهم تعريفا يتناسب مع ماقدموه لبلادهم من

خدمات وتضحيات، فعاش هؤلاء حياتهم مغمورين ومضوا إلى بارئهم منسيين.

وإني أريد أن أقول للصحافة المنساقة وراء هذا السخف من القول، وللأقلام التي راحت تتبارى، في غباوة، لتنعي حظ الأمة العربية (العاثر) بفقدان مطربها الكبير ـ أريد أن أقول لها في اخلاص: إننا أمة مافتئت تعيش في أعقاب نكسات ونكبات لم يشهد لها التاريخ نظيرا، وهي تمر، اليوم، بفترة من أحلك فترات حياتها وأحرجها.. فترة تكالبت فيها أطماع الحاقدين والموتورين وتنوعت فيها أساليب التشكيك ومذاهب المكر والخداع حتى لم تعد هذه الأمة على بصيرة من أمرها، وحتى صارت أحوج ماتكون إلى من ينير لها مسالك الدروب، ويأخذ بيدها إلى معارج النور والحكمة ومراقي القوة والثقة بالنفس.

وأريد أن أقول لبعض الكاتبين أو (المتصاحفين): ألا تستحون من هذا اللغو الـذي تنشرونه حيث الحياء من الإيمان؟ أليس مخجلا أن يستحوذ خبر وفاة المطرب الكبـير على أسلات أقلامكم.. وهي الأقلام التي كان حريا بها أن تُوقف في سبيل تعميق الروح العربية الأصيلة ولبناء الشخصية العربية بناء روحيا وخلقيا وقوميا لتكون قمينة باعادة ماء الوجه المهراق على صفحات الحاضر؟!.

وأريد أن أقول ـ من بعد ـ إن الكلمات التي قيلت في مناسبات شتى حول بعض الأعلام الذين افتقدهم العالم العربي والإسلامي لا تكاد تساوي شيئا بالنسبة لما كتبته بعض الصحف والأقلام عند وفاة المطرب الراحل.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل ـ من الوهلة الأولى ـ على خواء في أفكار بعض أدعياء القلم وعلى عدم تمييزهم بين غث الحديث وسمينه، وضحله ومعينه!.
وكان الله في عون الصحافة الصالحة.

(*) اليمامة، العدد ٤٤٧ ـ في سنة ١٣٩٧هـ.

تهيـــب

إن أشد مايخشاه الكاتب إذا وعد بالكتابة في صحيفة ما، ألا يستطيع الوفاء بهذا الالتـزام، لظروف هي في أغلب الأحـوال فوق مقدوره، ومن العسير عليه التغلب عليها. وإن هو جابهها خرجت فكرته على الناس هزيلة ومضطربة.

ولعل في مقدمة الظروف التي تدهم الكاتب ـ بين فينة وأخرى ـ وتكاد أن تغلق عليه منافذ التفكير والانتاج ظروفه الذاتية أو النفسية. . وهي ظروف تجعله يقف حيران لا يدري ماذا يكتب ولا في أي أمر يجب أن يكتب.

وقديما قال الفرزدق ـ وهو الشاعر الفحل المقارع ـ قولته الشهيرة: «إنه لتأتي عليّ أحيان لقلع ضرس فيها أهون عليَّ من أن أقول شطر بيت من الشعر».

ولنـا أن نتصور مشقة خلع الضرس في زمن الفرزدق وسهولة قول البيت من الشعر يومذاك. . !.

والكلمة المنشورة في الصحيفة تمثل مسئولية خطيرة، لأنها مطروحة أمام كل رأي وبين كل الأيدي. . ومن هنا يظل الكاتب هلعًا وقلقًا لكل حرف تجري به أسلات يراعته. .

وقد وصفوا الصحافة بأنها (السلطة الرابعة). . أي أنها صنو السلطات الثلاث: التشريعية، والتنفيذية، والقضائية. . وذلك انطلاقا من أن الصحافة ـ ونعني الصحافة المستقيمة المخلصة لرسالتها ـ هي العنصر الفعال في ايقاظ الشعور والوعي، واشاعة الخير والحق وتوجيه الرأي العام، وأنها داعية الاصلاح والبناء!!.

أريد أن أخلص من هذه المقـدمة الموجزة إلى أمل أطمع فيه، وهو أن يغض القـاريء النظر عما قد يصادفه، في سطور هذه الزاوية، من ضحالة في التعبير، أو اضطراب في التعبير، أو شطحة من القلم.

وكلنا امرؤ خطّاء. .

(*) الرياض، العدد ٣٧٠١ ـ في ١٤/٨/١٣٩٧هـ.

تقويم نظام الامتحانات

أتمنى ـ وقد مضى عامان دراسيان على تطبيق نظام الامتحانات الجديد ـ أن يعاد تقويم هذا النظام في ضوء ماتمخضت عنه التجربتان من نتائج.

وحسب علمي، لم تجر مقارنة بين نتائج النظامين السابق والحالي، لنعرف أيهما أجدى وأصلح لواقعنا ولمستقبلنا، وأيهما حقق مستوى علميا أفضل لطلابنا، ولنعرف ما إذا كان الاثنان لم يحققا ماهو منشود منهما وأن الأمر ـ حينئذ ـ يتطلب البحث عن مخرج (جديد) يجعل من الدراسة بالنسبة للطالب أمرا ميسورا ومشوقا وفي نفس الوقت يجعل هذا الطالب عند تخرجه ذا مستوى علمي يتناسب حقيقة والمرحلة التي انتهى بها.

لا مراء أن النظام الحالي ذو مزايا لا تنكر. . كما أن النظام السابق، هو الآخر، يحفل بشتى الميزات. . على أن كلاً منهما لا يخلو من الخطأ.

النظام الجديد ـ وهذه ملاحظة ـ جعل نسبة النجاح بين أبنائنا أكثر منها في ظل النظام السابق. . والنظام الجديد ـ وهذه ملاحظة أخرى ـ جعل الطلبة يحصلون على درجات متقدمة في المواد الدراسية ماكان معظمهم يحلم بالاقتراب منها في السابق. ولا ضير في هذا إذا لم تكن هاتان الظاهرتان على حساب المستوى العلمي للطالب. وإنما الضير ـ كل الضير ـ في انخفاض هذا المستوى، وهو الانخفاض الذي نرجو ألا يكون حصيلة من حصائل نظام الامتحان الجديد.

ولهذا فإن السؤال الذي نرجو أن يحظى بالدراسة والجواب من قبل المسئولين في وزارة المعارف ـ وهم من خيرة أبناء هذا البلد علما وادراكا واخلاصا ـ هو: أي النظامين حقق مستوى علميا أفضل لطلابنا؟ . . وأيهما يبعث في الطالب روح (المعاناة) التي هي سلاح الحياة حاضرا أو مستقبلا؟.

(*) الرياض، العدد ٣٧٠٣ ـ في ١٦/٨/١٣٩٧هـ.

الانفعـال السـريع

من الـطبـاع المؤسفـة التي نعيب بها أنفسنا، ونعاب عليها من غيرنا، طبيعة العاطفة السريعة، أو التأثر بما يقال لنا دون تروٍ أو تمحيص.

فنحن إن احببنا، فإن حبنا يبدو انفعاليًّا.. أي أنه يتجاوز المدى في أكثر من جانب.. وإن كرهنا فإننا نسرف في هذا الكره إلى حد لا يليق بنا أن نصل إليه..

وإذا قيل لنا عن أحد مقالة سوء أو خير، قبلنا هذه المقالة على علاتها.. بل رحنا نصدر أحكامنا على هذا الشخص ونكيف علاقاتنا معه على ضوء ماعلق بأذهاننا عن طريق سواه.. أي أننا لا نحكم عقولنا في صدق ذلك من كذبه، ولا في احتمال وقوعه من عدمه، حتى إذا قدر لنا أن نلتقي بهذا الشخص، عن طريق زمالة أو معاملة أو سواهما وجدنا فيه النقيض لما سمعناه عنه.

وعلى هذا، فالانفعال الساذج يحكم كثيراً من تصرفاتنا، ويجعلنا ننساق ـ عن غفلة ـ في متاهات لا مبرر لها..!

نحن بشر.. معـرضـون للخـطأ والصـواب.. وفينا المعدن الطيب والخبيث وتتنازعنا عوامل الخير والشر. ومن هنا كان الواجب أن نعطي الأمر كلا الاحتمالين إلى أن تنصـع الحقيقة، ومن ثم نصدر أحكامنا عادلة صادقة، وإلا فسنظل تحت وطأة القاعدة القاسية: الهوى يعمي ويصم!.

(*) الرياض، العدد ٣٧٠٥ ـ في ١٨/٨/١٣٩٧هـ.

مقاولات البناء الصغيرة

في ظل نمو الحركة العمرانية وازدهارها، ومع توسع أعمال المقاولات والمقاولين، وانشغال المنفذين ذوي المستوى المقبول بالأعمال الكبيرة، نشأت فئة جديدة وكسيحة أخذت تمارس أعمال مقاولات البناء الصغيرة وذلك في غفلة من الزمن والنظام والمراقبة. بل وفي غفلة من وعي المواطنين الذين اسلموا أعمالهم هذه ـ في طيبة ـ إلى هؤلاء دونما تبصر بالعواقب.

أمام هذه الاعتبارات، أصبح من الميسور جدًّا على أي حرفي وافد إلى هذه البلاد ـ نجارًا كان أم بناءًا أم سباكاً ـ أو حتى عاملا عاديا ـ أن يتحول، في غمضة عين ـ إلى مقاول يصول ويجول، ويبرم العقود، ويقبض مئات الآلاف من الريالات لقاء قيامه بتنفيذ بعض أعمال في غاية السوء وأصبح قَدَرًا على المواطن (الضحية) أن يعيش (مشكلات) يومية مع هذا المقاول تبتديء منذ اليوم الأول لمباشرة العمل وحتى الساعة الأخيرة التي ينتهي فيها..!.

أقول: أصبح من السهل على هؤلاء الوافدين، بقصد العمل فقط، أن يتحولوا إلى (مقاولين) دون ضابط نظامي أو فني ودون أي ضمان وصاروا يكسبون من رواء الوطن والمواطن الكثير الكثير، أما الوطن والمواطن فهما الخاسران أمام استهتار هذا المقاول ـ إن جازت تسميته مقاولا ـ وأمام سوء تنفيذه لعمله وتلاعبه بحقوق المواطنين وعدم التزامه بما اتفق عليه، بل عدم التزامه بنظم البلاد.

أتمنى لو تضافرت جهود الادارات المختصة من أجل وضع حد صارم لهذا الأمر، ومن ثم الضرب بيد من حديد على كل من لا يلتزم بالمهنة القادم لها.. مع توعية المواطنين توعية تنأى بهم عن الوقوع في مثل هذا المأزق.

(*) الرياض، العدد ٣٧٠٩ ـ في ١٣٩٧/٨/٢٣هـ.

منطـق المصـالح

جوهر القضية الفلسطينية وأساسها ـ كما هو معلوم ـ كان في تشريد شعب من موطنـه وإحـلال أشتـات من النـاس مكانهم. . وقد فرض هذا الواقع الظالم، على العرب، فرضا من قبل الدول الكبرى!.

لكن هذه القضية، قد تشعبت ـ مع الزمن ـ بل تعقدت نتيجة لتكالب المصالح الدولية في هذه المنطقة خاصة، وفي مناطق أخرى من العالم عامة. . بل لقد أصبح استمرار هذه المشكلة وتفاقمها وتفرعها إلى مشكلات جانبية أخرى في المنطقة ـ أصبح كل هذا يحقق، من بعض الوجوه توازنا بين تلكم المصالح.

ومن هنـا رأينا، على مدى ثلاثين عاما، قرارات هيئة الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن الدولي، يُقذف بها في زوايا مظلمة من الإهمال والتناسي، ورأينا مايسمى بمساعي السلام والتوفيق، ممثلة في (برنادوت) و (يارنج) و(كيسنجر) ـ رأيناها تنتهي كما ابتدأت. أي إلى لا شيء. . والسبب أن جوهر المشكلة لم يكن يؤخذ بالاعتبار عند بذل هذه المسـاعي. . ولـربما انتهت تحركات (سيروس فانس) هذه الأيام إلى نفس النهاية. . أي إلى ما انتهى إليه أسلافه من الوسطاء.

ومن هنا أيضًا، رأيناه ـ أي فانس ـ يقول في مؤتمر صحفي له في القدس، قبل أيام قليلة: إن أمريكا لا تريد أن تفرض بنود حل للسلام بين العرب وإسرائيل. وهو بهذا يتنـاسى أن أمـريكـا نفسهـا قد اسهمت في عام ١٩٤٧م مع رصيفتيها روسيا وبريطانيا في فرض المشكلة على العرب من الأساس!.

إن الذين أسهموا في خلق المشكلة، وباتوا الآن قادرين على حلها حلاً يحقق للفلسطينيين إقامة وطن لهم وانتشالهم من حالة الضياع والتشرد ـ إن هؤلاء قادرون على فرض بعض الأساليب لحل المشكلة.

أم أنه منطق المصالح. . القديم الجديد؟!.

(*) الرياض، العدد ٣٧١٣ ـ في ١٣٩٧/٨/٢٨هـ.

إرضـاء الآخريـن

ما أصعب أن تكسب رضى جميع الناس، وأن تنال مودتهم، وأن تميل بعواطفهم ومشاعرهم نحوك! . . بل إن ذلك لضرب من المستحيلات تأباه طبيعة الحياة البشرية.

والمرء ـ كائنا من كان ـ يقف عاجزا، بل يائسا، من الحظوة بهذا الرضى . . لأنه ـ من جهـة ـ لن يعـدم في نفسـه وفي تصرفـه عيبا أو ذامًا؛ فالكمال ليس من سمة المخلوق . . ولأنه ـ من جهة ثانية ـ لن يتسنى له أن يحصل على رضى وجهاتٍ شتى من الأنظار والآراء والرغبات . . وهي وجهات تحكمها أنماط من التباين والاختلاف، وتوجهها شكوك من العواطف والمصالح والظروف والملابسات!.

وإذا كان رضى شخص ما، أو مجموعة من الناس يستدعي منك ـ مثلاً ـ سلوك دروب من العسف أو الانحراف أو تحطيم الضمير الحي في ذاتك، فما هي حاجتك إلى هذا الرضى؟.

لكن على المرء الفطن المدرك، أن يتحرى رضى ذوي الرأي والصلاح والخير والعقل، لأنه متى حاز هذا الرضى فإنه سينأى به عن مشقة ما عداه.

كما أن على هذا المرء ـ فوق ذلك ـ أن يتجرد في تصرفه من الهوى، وأن يبتعد عن مواطن الحيف، وأن يتمثل حكم الضمير في كل مايخطر له، وأن يلتزم الحيدة . . وبعد ذلك كله عليه أن يتذكر دائما أن (رضى الناس غاية لا تدرك).

(*) الرياض، العدد ٣٧١٧ الأربعاء ٣ رمضان سنة ١٣٩٧هـ.

المـــاء . . .

الماء . . هذه الثروة القومية التي لا تقدر بثمن خاصة في بلاد مثل بلادنا، تشكو من شح الأمـطار، ومن انعدام الانهار، وتغلب عليها الصحراء، ويعتورها الجفاف معظم أيام السنة . . أقول إن هذا الماء الذي نعيش ـ في سبيل استخراجه ـ تحدياً صعباً مع الحياة، جدير بأن يحظى من كل فرد منا بالرفق .

وما الرفق المطلوب سوى احساس المواطن بأن هذه الثروة ليست ملكه وحده، وإنما هي ملك سواه، بل ملك الأجيال القادمة أيضاً . . وهذا الاحساس سيدفعه إلى أن يحسن استعماله وألا يضيعه هدراً وفي متطلبات ثانوية .

إن من بيننا من يشكو قلة الماء في منزله، ومن بيننا من يفيض الماء عن حاجته ومن يسرف في استخدامه إسرافاً لا مبرر له .

وإن كثـيرين منا يتسببون، بتصرفاتهم وأساليبهم في استخدام الماء في حرمان بعض مواطنيهم من هذه النعمة .

ولهذا بات على المسرف أن يتذكر حق أخيه في الماء، وأن يحسن استخدام هذا الماء، وألا يصرفه إلى استعمالات تتعدى الحاجة الفعلية .

وإن شعور المواطن واحساسه بالواجب تجاه ذلك لهو الضمان لاستفادة غيره أيضاً .

لقد أكبرت أحد المواطنين الذين يتوفر لديهم الماء . . اكبرت فيه شعوره واحساسه عندما قال لي قبل يومين: إنني أتمنى أن يقل الماء عن حاجتي بالمنزل بين وقت وآخر وذلك لكي أعود نفسي وأعود أهل بيتي على قَصْر استعمال الماء على ماتدعو له الحاجة فعلاً .

إنه ضمير المواطن الصادق يملأ جوانح هذا الإنسان.

فما أحوجنا إلى هذا الاحساس. بل ما أحوجنا إلى ادراك المشكلة من أساسها.

لقد صرفت الدولة ـ ومازالت تصرف ـ بلايين الريالات، من أجل توفير الماء للمواطنين، في المدن والقرى، ولهذا ينبغي مقابلة هذا الجهد بالحفاظ على هذا الماء.. ولن يتسنى ذلك إلا بالاقتصاد في استهلاكه.

وإذا كانت بعض البلدان، التي تفضلنا بمواردها المائية الضخمة، تشكو وتئن من نقص الماء وتدعو مواطنيها إلى الحد من استعماله، فما بالنا نحن في هذه البلاد، على شح مواردنا، لا نأخذ القدوة في ذلك؟!.

(*) الرياض، العدد ٣٧٢٧ في ١٣٩٧/٩/١٥هـ.

مسلك الكاتب

قرأت رأيًا، لأحد الكاتبين، في مجلة عربية يقول فيه: إنه ليس بالضرورة أن يكون مسلك الكاتب أو الأديب مطابقا لما يكتبه ولما يدعو إليه، فالكاتب عليه أن يكون داعية خير، ولا يعني الناس منه أن يكون هو نفسه من أهل الخير أو الشر!.

وعجبت كثيراً لهذا الرأي.. وقلت في نفسي: «كيف يمكن أن يقبل الناس من كاتب افكاره وآراءه وهو لا يطبقها أي لا يؤمن بها ولا ينتهجها في حياته؟. إنه ـ على أي حال ـ مُراءٍ، ومنافق. ومثل هذا سيكون مرفوضا وشأنه شأن من «ينهى عن خلق ويأتي مثله».

إن أقلامنا وأفكارنا المعلنة يجب أن تكون صورة واضحة ونقية لمعتقدنا.. وبهذا يقبل الآخرون هذه الأفكار.

كما يجب أن تكون مسالكنا في الحياة متفقة مع مانكتبه ومانكتبه وماندعو إليه، بل تكون كتاباتنا وخطبنا وأحاديثنا صدى حياً لتلك المسالك.

وبدون هذا لن تستقيم حال لأي مجتمع، ولن تتفق له أسباب الرقي، والخير والصلاح، وسيظل منحدرا نحو الهاوية.

إنه إذا كان قلم الكاتب يسير شرقا، وكان الكاتب في ذاته يسير غربا، فخير لذلك القلم أن يسكت غير مأسوف عليه!.

(*) الرياض، العدد ٣٧٣٣ في ١٣٩٧/٩/٢٢هـ.

اقتـراح عابـر . . .

ربما ضحك البعض لهذا الاقتراح . . وربما أيدني فيه كثيرون .

لقد اعتدنا ـ عند الحاجة لاجراء صيانة خفيفة في مرافق المنزل ـ أن نبادر إلى استعداء أحد الحرفيين المختصين لها، من سباك أو نجار أو كهربائي أو دهان أو سواهم .

وسوف يخرج هذا الحرفي من المنزل بعد أن يكون قد أدى عملا سهلاً ويسيراً، وقبض مقابله مبلغاً طائلا، بل خياليا . . فضلا عن معاناة صاحب المنزل في الحصول على هذا الحرفي .

وأقـول إن العمـل سهـل يسير، لأنه ماكان يتطلب أصلا استدعاء أحد من هؤلاء . . وبإمكان أحد أصحاب المنزل أن يصلح العطل، وأن يقوم بالصيانة دونما حاجة إلى أحد من خارج البيت .

وإذا كان هذا العمل، في نظر بعضنا صعبا، فما أسهل تعلمه واجادته متى ما أبدى الشخص استعداده ومتى ما استعمل حذاقته ودقة ملاحظته .

إنـه أمر لا يتطلب قدرة ولا مهارة . . ولكننا اعتدنا الكسل، بل اعتدنا عدم اشغال وقت الفراغ بما يفيد .

في البلدان المتقدمة والراقية، لا يجد أحد أرباب البيت غضاضة في عمل شيء من هذا القبيل، مع أن الخدمات هناك ميسرة والاستغلال مرفوض من الجميع . . أما نحن فلربما اعتبرنا ذلك ضربا من ضروب التخلف .

(*) الرياض، العدد ٣٧٣٥ في ١٣٩٧/٩/٢٤هـ .

عن السياسة الاسكانية

تحت ظروف أزمة السكن التي بدأت بوادرها قبل أربع سنوات، سارعت الدولة مشكورة، إلى مواجهة الأزمة.. وراحت تتلمس الحلول بأسرع مايمكن فأنشأت صندوق التنمية العقارية ووزارة الاسكان والشركة العقارية.

وقامت هذه الجهات الثلاث، في حماسة واجتهاد لتنفيذ أكبر قدر ممكن من الوحدات السكنية وهذا فضلا عن الجهود الخاصة التي قام بها عدد من المستثمرين دونما عون من الدولة.

وكان صندوق التنمية العقارية سريعا وفعالا وكان من نتيجة اعماله أن تم ـ في غضون مدة وجيزة ـ قيام المئات.. بل الآلاف من المساكن حتى أن التوسع السريع الذي شمل المدن والقرى صار يُعزى في معظمه إلى نشاط الصندوق.

لكن الملاحظ إنه بقدر ما أفاد الصندوق في حل الأزمة فإن له نتائج جاءت عكسية بالنسبة لأمور أهمها ارتفاع أجور اليد العاملة ارتفاعا مذهلاً وتأثير ذلك على كثير من نشاطات الحياة الاقتصادية، بل على كثير من نشاطات الحياة العامة.

كذلك نشأ عن اندفاع الناس إلى الاقتراض من الصندوق ـ جماعات ووحدانًا ـ وجود عدد كبير من المساكن تبحث عن الزبون المشتري أو المستأجر أو بعبارة أخرى: تبحث عمن يسكنها.

ومع هذا، فلم تهبط أقيام العقار ولا الأجور.. ذلك أن تكاليف البناء كانت باهظة للغاية.

والذي يتمناه كل مخلص أن يكون هناك تنسيق في سياسة الاسكان بين كل من وزارة الاسكان وصندوق التنمية العقارية والشركة العقارية، وأن يراعي عند هذا التنسيق عدم تفاقم مشكلة ارتفاع الأجور، والحاجة الفعلية للمباني حاضرا ومستقبلا، وتلافي حالة الكساد بعد ذلك.. إلى غير هذا من الأمور المؤثرة في قطاعات الحياة الأخرى.

(*) الرياض، العدد ٣٧٥٢ في ١٣٩٧/٩/٢٥هـ.

عتـاب خـاص

بعض الإخوة الصحفيين ـ وليس معظمهم ـ لا يكادون يكلفون أنفسهم عناء البحث عن الحقيقة.

وتلك ظاهرة مؤسفة.. بل مؤلمة.. ذلك أن رسالة الصحافة هي التحقق من الأمور أولا. وبعد ذلك تأتي مرحلة التوجيه والنقد واللوم. وأكثر ما تتفشى هذه الظاهرة لدى شُداة الصحافة.. أي حديثو العمل بها.

ولا شك أن الأيام سوف تمنحهم من دروسها الشيء الكثير. ولسوف يستفيدون منها مثلما يستفيدون من المدارس والجامعات.

لكن لي عتابا لطيفا على اخواني وزملائي رؤساء التحرير.. وهو أن يأخذوا بيد أولئك الشداة ويمحصوا مايكتبونه أولا عن طريق تحري الحقيقة وخاصة في الأمور التي تتطلب ذلك.

ولئن كان رؤساء التحرير مشغولين عادة بالكليات دون الدخول في الجزئيات، فإن هذا لا يمنع من التثبت والتقصي كلما كان الأمر ذا علاقة بأمور الناس.

وأود أخيراً أن أقول: كيف سيكون موقف رئيس التحرير عندما يقال له ـ مثلا ـ إن مانشر في صحيفتك غير صحيح وإن عليك اثباته، وهو طبعا لن يستطيع اثباته لأنه غير حاصل أصلا؟.

(*) الرياض، العدد ٣٧٥٤ في ٢٧/١٠/١٣٩٧هـ.

حول تربية الأبناء:

لا ضـرر. . . ولا ضـرار

يفرط بعض الآباء في تدليل أبنائهم. كما يسرف بعض آخر في معاملتهم بالقسوة والتقتير عليهم. وفي كلا الحالتين ينتهي الأمر بالابن إلى أن يصبح نشازاً في مجتمعه فاقداً لكل مقومات الشخصية الحقة.

ومعلوم أن فترة المراهقة هي أخطر فترات النمو وأشدها حرجا. . ولذا يتحتم على الأب معاملة إبنه بحذر وبحكمة فتدليل الابن، وتلبية رغباته دون مناقشة، وملء جيبه بكل مايطلبه، واعطاؤه سيارة خاصة به يجوب بها الشوارع دونما موجب أو مبرر، وتركه يسافر كل صيف إلى الخارج منفردا أو مع مجموعة لا تختلف عنه فكرا وسنا. . كل هذه الأمـور قد تحيد به ـ وهو المراهق الصغير ـ عن الجادة. وتخلق فيه حالة من الضياع النفسي والذهني، وتجعل منه شخصاً رخواً غير قادر على مواجهة الحياة!.

كما أن معاملته بالعنف ومنعه من كل شيء واهانة تطلعاته ووضعه تحت عوامل الكبت والحرمان. . كل هذه الأمور ـ هي الأخرى ـ مدعاة لأن يصبح شخصا متمردا، حاقدا على ذويه ومن حوله.

والـتربية السليمة هي أن نكون وسطا بين الحالتين. . والقرآن الكريم وصفنا بالأمة الوسط. فلنكن عند هذه (الوسطية) لنبني أجيالنا على مقومات من الشخصية المتكاملة، بناء يسعدون به ويسعد به مستقبلهم وما أحرانا بأن نكون عند رأي الشاعر الحكيم:

فقسـا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقسُ أحيانـاً على من يرحم!

(*) الرياض، العدد ٣٧٦٤ في ١٠/١١/١٣٩٧هـ.

حـول الطـرق . .

هذه الـطرق الـبرية المعبدة الجميلة والممتدة مئات الأميال بل آلافها، داخل المملكـة، يحتاج المسافر بواسطتها إلى استراحة نظيفة، يخفف فيها من عناء السفر، ويستجمع قواه، ويستعيد نشاطه ويتناول مايتيسر له من طعام شهي ومقبول. . ولكنه لايكاد يجد شيئا من ذلك.

بل إنـه ليصـطدم في طريقـه ببعض الأمكنـة القـذرة التي يأوى إليها بعض المسافرين مرغمين!.

وأقول «يصطدم» بها، لأنها تمثل ـ في الحقيقة ـ منظرا بشعا في البناء، وقذارة في المفرش والمقعد ورداءة في الخدمة والمأكل، وتعطي للمارين بها من الأجانب، وخاصة في موسم الحج، انطباعا سيئا عن مستوى النظافة والخدمة في هذا البلد.

وأصحاب هذه الأماكن هم في معظمهم من غير أبناء هذه البلاد، ممن لا تهمهم سمعة بلادنا من قبيل أو دبير.

حبذا لو وجدت استراحات حديثة، نظيفة ومرتبة ومزودة بوسائل الراحة، ويقوم على شئونها أناس على مستوى حسن من نظافة الجسم والثوب وعلى مستوى من دماثة الخلق ومن اللطف والبشاشة وحسن الاستقبال. . ويتوفر فيها مايحتاجه المجتاز لها من طعام جيد ومشرب نظيف وتكون ـ من بعد ـ واجهة طيبة لهذه البلاد، وعنوانا عليها وعلى أهلها.

والأمـر في غاية البساطة. . وهو يتطلب وضع شروط ومواصفات لما يجب أن تكون عليه هذه الاستراحات ولما يجب أن يكون عليه العاملون بها ثم اخضاعها ـ بعد هذا ـ لرقابة دقيقة يشعر بها أصحابها والمرتادون لها.

على أن لنـا أمـلا بأن يتولى أمر هذه الاستراحات مؤسسات أهلية ذات قدرة وكفاءة وخبرة وأن يجري تصنيف الاستراحات إلى درجات بحيث تتفق وامكانيات كافة المارين بها.

(*) الرياض، العدد ٣٧٧٦ في ١٤/١١/١٣٩٧هـ.

شباب جزوع .

شبابنا ـ وأقولها بكل حسرة ـ شباب جزوع وملول غير مبالٍ بكثير من شئونه . . ينفر من الأعمال الجادة المتعبة، ويركن إلى الدروب السهلة التي لا تتطلب منه عناءًا أو مجهوداً .

ومعلوم أن الأمم إنما تقيم دعائم مستقبلها على عزائم شبابها . . ولذا فإن المرء ليقف في حيرة وريب من مستقبل وطنه . . مادام شباب هذا الوطن يعيشون حياة الملل، ويأبون تحمل مسئولية العمل الجاد الصادق .

لا أدري أهو اختلال في التربية التي عاشها هذا الشباب؟ أم عجز في مناهج الدراسة والتعليم؟ أم هي نتيجة لحياة المادة والترف التي أخذت تسود مجتمعنا وتستحوذ على أفكاره ومعنوياته . ؟ .

وإنها ـ على أية حال ـ لظاهرة تستوجب منا جميعاً وقفة عميقة وصادقة لمعالجة الداء قبل استشرائه .

(*) الرياض، العدد ٣٧٨٢ في ١/١٢/١٣٩٧هـ.

وجهـة نظـر عابـرة

تبـذل الشركـات والمؤسسات الخاصة، وخاصة الكبيرة منها، والمرتبطة بأعمال ضخمة مع الدولة أو في مجال الخدمات ـ تبذل المرتبات الجزلة المغرية في سبيل الحصول على بغيتها من الكفاءات الفنية والإدارية . . وهذا من شأنه صرف هذه الكفاءات عن العمل في أجهزة الدولة .

والواقع أن هذه المرتبات المدفوعة محسوبة على الدولة . . لأن هذه الشركات تعتبر مرتب الموظف لديها جزءًا من تكاليف المشروع أو الخدمة المناطة بها، فكأن الدولة بهذا تنافس بعضها ببعض . وبذلك يفقد الجهاز الحكومي كفاءات هو في أمس الحاجة إليها .

ولئن كانت الدولة قد عمدت إلى زيادة رواتب الموظفين لديها، فإن ذلك لن يحل المشكلة . . إذ أن هذه الشركات ستعمد إلى الزيادة بالمثل .

وهكذا ندور في حلقات مزايدة لا معنى لها، ونسهم في زيادة التضخم وفي غلاء الأسعار ولو بطرق غير مباشرة .

والحـل عنـدي هو تحديد الأجـور، بحيث تتسـاوى في القـطاعـين : العـام والخاص . . مع اعطاء العاملين في القطاع الخاص زيادة تقابل ـ فقط ـ فارق ساعات الدوام الأسبوعي بين القطاعين .

وأرجو أن لا يغضب كلامي هذا أحدا من ذوي المصالح الخاصة . . فلست أقصد من ورائه سوى المصلحة الوطنية العليا .

(*) الرياض، العدد ٣٧٦٢ في ١٣٩٧/١٢/٥هـ .

ليتنا نعي الحقيقة أيها العرب

يعيش العرب ـ اليوم ـ فترة من أقسى فترات تاريخهم . . إن لم تكن هي بالفعل أقسى فترات المراحل التي مرت بهم؛ فأطماع الاعداء تطبق بهم من كل جانب. وقد تداعت عليهم الأمم ـ أو تكاد ـ كما يتداعى الآكلون النَّهِمون على مائدة الطعام الشهي!!.

وفي خضم هذه (العتمة) الموحشة، يوغل عدوهم الأول (اسرائيل) في توسعه، يفترس أراضيهم افتراسا، ويفتك بالمناضلين منهم فتكا شرسا وذريعا، ولا يكاد يرحم في طريقه عجوزاً أو طفلا.

ويجد العدو في بعض دول العالم الكبرى مُعينا ونصيراً، يمده بالمال والسلاح، ويدعمه بالتأييد الخفي والعلني في المحافل الدولية، كما يجد في سكوت البعض الآخر وتفرجه على مايحدث خير مشجع له للمضي في عدوانه.

ويظل العرب عاجزين عن عمل شيء يمكن أن يحقق ولو حداً أدنى من الإباء والكرامة. . حتى لتحسب هذه الأمة قد اعتراها شرود مذهل في التفكير أو قد بدت في حالة شلل أمام مواجهة تحديات العدو السافرة.

فما الذي دهانا؟!.

وما الذي أوصلنا إلى هذا الحال. .؟!.

وكيف آل بنا الأمر إلى ما نتجرع كأسه اليوم، من هوان وخزيٍ وخذلان. . بالرغم من أننا أصحاب أرض وأصحاب حق؟!.

وقبل أن نتبسط في الحديث، حول الأسباب والنتائج، يجب أن نضع في اعتبارنا الأول، أن اعداءنا عندما عقدوا نيتهم على إقامة كيان لهم في قلب العالم العربي، وفي بقعة من أقدس بقاعه، كانوا يدركون صعوبة العيش والبقاء وسط هذا الخضم العربي المسلم، بل ربما خطر لعقلائهم استحالة ذلك. . خاصة وأنهم قوم وافدون وسيقيمون

كيانهم على أنقاض شعب مرتبط بهذه الأرض منذ أحقاب طويلة ويشده إليها رصيد خالد من التراث والقيم.

غير أنهم ـ أمام ما أُتوه من تصميم وذكاء وحيلة، ومن تأييد مشجع من قبل القوى العالمية الكبرى التي ما فتئت تحمل أحقاد الصليبية والتي وجدت ضالتها في هذه الفكرة لتجعل هذه المنطقة تعيش حالة من القلق تكفل لها الاستفادة من مصالحها ـ أمام هذا استطاع الأعداء أن يحكموا الوثاق بين الغايتين، فكان أن أقاموا خططهم لترسيخ وجودهم، معتمدين في ذلك ـ وبالدرجة الأولى ـ على إثارة الحساسيات الكامنة في بعض النفوس العربية، بل وفي بذر الشكوك وزرع الخصومات، وتعهدها بالرعاية، وخلق حالات من الرعب النفسي.. إلى غير ذلك من الأمور التي من شأنها استنزاف القدرة العربية وجعل الجسم العربي عليلا ومقعدا.

كل هذا حدث ويحدث.. ونحن عنه ساهون! وظل العدو ـ قبل إقامة كيانه وبعده ـ يعمل بصمت وجد، وطفقنا نحن العرب نرغي ونهدد، ونحلم ونصرخ بالقاء عدونا في البحر.. مما أثار العطف على العدو والسخط علينا، فكان هذا العدو في نظر العالم المخدوع حملا وديعا، وكنا وحشا مفترسا وقحا!.

وخلال ثلاثة عقود مضت من الزمن، توالت على العالم العربي سلسلة من الانقلابات، كانت في معظمها مُنهكة لكيان الأمة العربية، حتى جعلت منها جسما بلا روح. وقد برز من خلال هذه النتوءات فئات امسكت بزمام القيادة في فترات متعددة ولم تكن مهيأة ولا مؤهلة لذلك، فكانوا أنفسهم هم أول ضحايا أفكارهم وتصرفاتهم، وعانت شعوبهم منهم ماعانت.

ولعبت الشعارات السياسية الجوفاء بأفكار الأمة العربية ردحا من الزمن لا يستهان به، فألهتها عن الحقائق وعن سلوك جادة العمل المثمر الجاد.

ومن المضحك ـ وشر البلية مايضحك كما يقال ـ أن تقوم هذه الشعارات، وفي أزهى فترات تاريخها ـ إن جاز التعبير ـ على تشويه دور الرعيل الأول من رواد النضال

والاستقلال، أولئك الذين صارعوا الاستعمار العثماني، كما صارعوا الاستعمارين الانجليزي والفرنسي. . بل وصل الحال بهذه الشعارات إلى الصاق تهم الخيانة ببعض أولئك الرواد. . فقد اضاعوا فلسطين كما زعموا!!.

بل وامتدت التهم إلى بعض الزعماء العرب الذين تجنبوا سبيل الشعارات والمهاترات والتزموا جانب المعالجة الموضوعية الايجابية للقضايا العربية.

وصحب هذه الشعارات انتماء إلى تنظيمات مصطنعة يجري تحريكها، في بعض الحالات، من خارج الحدود. . وجرى تصنيف العرب إلى تقدميين ورجعيين. . وإلى جبهات صمود وغير صمود. . دون أن يصحب ذلك دليل من منطق أو واقع.

وكان هذا سببا للجدل والفرقة والصراع. . بل وسببا للمواجهة العسكرية بين الأشقاء. . دون أي اعتبار لوشائج القربى والوطنية والدين ودون أي اعتبار للمصير المشترك. . بل ربما جرت محاربة تلك الوشائج، واضطهاد المحافظين عليها، وتفريغ الأمة من قيمها الأصيلة وفصلها عن تراثها.

ولقد وجد هذا التيار ـ بطبيعة الحال ـ من ينساق خلفه، بل كادت الأمة كلها تنساق وراءه ولكنه انسياق بحسن نية، فالأمة معذورة في هذا، إذ قد كفاها ماحل بها من نكبات وما عانته من ويلات.

حتى أن أصحاب القضية المباشرين لم يسلموا من عدوى الصراعات العربية فأجازوا لأنفسهم الانغماس في هذا الخطأ. . وكان المفترض فيهم أن ينأوا بأنفسهم عن (مستنقع) الخلافات العربية. . ولكنها حكمة الله.

ومن عجبٍ أن تكون تلك النظم التي قامت على عاتق الثأر للحق العربي المضاع في فلسطين، هي أسبق النظم العربية تهافتا على مايسمى بقضية السلام ومصالحة اسرائيل!.

وتبعاً لتلك المفاهيم المختلطة، سلك الإعلام العربي ـ في عمومه ـ مسلك الضياع والتخبط والانحراف، لدرجة أصبح معها المواطن العادي في حيرة من أمر نفسه وواقعه، وأصبح معها الباحث عن الحقيقة معذورًا عندما يمج سماع اذاعاته أو قراءة صحفه.

لقد عاش جيلنا مأساة الحقيقة.. فكم آذت سمعه المهاترات.. وكم ذهبت به الظنون كل مذهب في قضية (الصدق والكذب).. كم عانى من اشمئزاز الضمير وكم صعق من مراهقة الكبار!!.

كيف تم تجنيد (الفن) ليصبح (ملهاة) تُخدر بها العقول.. فأصبح سقطا من الكلام وهيكلا من الفكر المتداعي من أجل ارضاء العواطف المريضة وصرف الأجيال عن أسباب الرجولة والنبل والتطلع إلى الحياة الكريمة؟.

كيف تحولت لعبة كرة القدم ـ تلك الهواية الجميلة ـ من نطاقها الطبيعي لتصبح (ملهاة) أخرى تستقطب ملايين النفوس العربية.. وكيف رأينا مباريات كأس العالم تستحوذ على أذهان هؤلاء في الوقت الذي يضرب فيه العدو معاقل الفدائيين ومخيمات اللاجئين بهمجية ووحشية ولا تكاد تلك الملايين تهتم بالأمر اهتمامها بتنافس الفرق الرياضية على كأس العالم؟!.

لعله من المخجل حقا أن يزف مذيع مباراة كأس العالم إلى مشاهديه العرب نبأ سلامة لاعب (الكرة) العربي من اصابته في الوقت الذي يتساقط فيه مئات الجرحى والشهداء على أرض المعركة وتأكل فيه قنابل العدو الأخضر واليابس.

ولعله من المخجل ـ أكثر وأكثر ـ أن يشبِّه المذيع أحد اللاعبين العرب البارزين عند وصوله إلى حيث تقام المباراة بعبدالرحمن الداخل.. وليس القاريء العربي في حاجة إلى من يعرفه بعبدالرحمن الداخل..!.

حتى مفاهيم الكلمات تحولت ـ في عالم الفن والرياضة ـ عن مدلولاتها اللغوية،

فكلمة (البطل) ـ مثلا ـ لم تعد تعني ذلك المدلول العربي المتوهج فقط، لم تعد تعني ذلك الجندي المغوار الذي يرمي بنفسه في وصيد المعركة دفاعا عن شرف أمته وكرامتها وقيمها، لقد أصبحت تطلق على الممثل المسرحي وعلى اللاعب الذي يجيد «تسديد» الأهداف.

واستطراداً لواقع الإعلام العربي، يجد المرء نفسه محتاراً يسائل نفسه: ماحاجتنا لخطب وكلمات وقصائد نصف بها مصائبنا دون أن نعمل شيئا؟ ماجدوى ذكر الأمجاد والمفاخر بعد أن قطعنا صلتنا بها نتيجة لتصرفاتنا؟.

وكما انزلقنا في أُتون الشعارات والمنابذات، وتهنا في مفازات الإعلام جاء المال العربي أو الدخل القومي المدرار ليزيد الطين بلة، ذلك أنه بقدر ماحقق هذا الدخل للعرب من رفاهية، وبقدر ما مكن لهم من اقامة مشروعات التنمية، فإنه جلب لهم المتاعب النفسية، وغرس في نفوسهم التراخي والوهن وجعل من تصرفات بعضهم في الخارج مثلا لا يُحسد عليه صديق، فقد عاشوا لأنفسهم، وأنستهم خمرة المال التفكير في المصير القومي الشامل.. بل لقد جلبوا لأمتهم كراهية الكثيرين حتى التقت نظرة هؤلاء مع وجهات النظر التي يروجها عنا أعداؤنا.

وحتى في مجال العلم، جاز الخطأ على الأمة العربية، فشغفت بالجانب الشكلي دون الجانب الموضوعي، وأصبح الحصول على شهادة عليا هدفا في حد ذاته، دون أن نقيم أي اعتبار لمدى الحاجة. وأصبح العالم العربي يزخر بمئات الآلاف من حملة تلكم الشهادات.. ولم نعط لأنفسنا فرصة لنقوِّم الحصيلة العلمية لدى صاحب الشهادة، أو لنضع المبرِّز في مكانه الطبيعي ليستطيع العطاء، فشهدنا مايسمى بهجرة الأدمغة العربية إلى أوربا وأمريكا وتركنا الوطن يشكو الفاقة.

أمام تلك الاعتبارات وغيرها، بات الجسم العربي منهكا، وأصبح العقل منه معطلا.. وكان طبيعيا ـ نتيجة لهذا ـ أن يصبح العرب مصممين على الهزيمة.

وبعد.. أفنقول: إن ماحدث هو قدرنا.. ولا راد لقضاء الله وقدره؟!.

أنقـول: إن تصرفاتنا كانت عونا لعدونا الذي أحسن التخطيط لأهدافه على حسابنا وسدد الضربات بكل خبث واتقان، وجنى الكثير الكثير من حروبه النفسية والدعائية والعسكرية ضدنا؟!.

ولكن ـ وقد كان ماكان ـ ألا يحسن بنا أن نعي الأمر حق وعيه، وأن نستفيد من تجارب خمسة وثلاثين عاما مضت على ضياع الحق العربي، بل من تجارب ماقبل ذلك؟!.

ألا يحسن بنـا ـ وقـد تجرعنـا مرارة الهـزائم المتكررة، وجربنا شتى النظريات و «الايدلوجيات»، ورأينا كيف عملت الخلافات عملها فيما بيننا ـ ألا يحسن بنا أن نعيد النظر ـ بصدق وشجاعة ـ في واقعنا؟.

ألا يجدر بنا أن نتحسس مكامن الأخطاء الفكرية والعقائدية التي انتهت بنا إلى الكارثة، فنعمل جادين على اجتثاثها؟.

ألا نعـود إلى أنفسنا.. إلى عقولنا.. إلى جذورنا.. لعلنا نستقريء الحقيقة التائهة.. فنشخص الداء ونعرف كيف نستخدم الدواء..؟!.

ليتنا نحسن صناعة الصمت في الكلام، ونبتعد عن مزالق الضجيج والصراخ، ونحكم أسلوب الإعلام على أسس من الوعي والعلم والمصلحة العربية العليا.. وليتنا ندرك أن الغريق لن تنقذه الأغاني والاهازيج ولا المهرجانات أو الخطب المدبجة.

وليتنا نقوّم مناهجنا الفكرية والتعليمية والتربوية لتكون خلاقة مبدعة تتيح لنا في المستقبل القريب تواجد ذلك الإنسان العربي الذي يدير كفة الكفاح ضد العدو ـ في شتى الميادين ـ بكل ثقة وإيمان، وينتهي به كفاحه إلى تحقيق النصر.

وليتنا ـ في نهاية المطاف ـ نحد من طوفان المؤتمرات واللجان، خاصة وأننا نعيش جوا يزخم بالخلاف والتنابذ.. فإن جهد دولة واحدة تؤديه ـ بصدق نية وصفاء روية

واخـلاص قلب ـ لقضيتنـا هو أجـدى الف مرة من قرارات عشرين دولـة ينقصهـا الائتلاف وصدق العزيمة.

وفـوق هذا فلسنـا ـ بحمـد الله ـ متشائمين ولا يليق بمؤمن بحقه أن يكون كذلك، وإن هاجس الضمير الوطني والقومي والديني مازال ـ بفضل الله ـ يغمر القلوب العـربية، ويهتف من الأعـماق بالسواعد العربية لكي تثأر لكرامتها المداسة ولشرفها المهان.. ولابد لهذه الأمة العريقة من بعث صادق جديد يرد لها اعتبارها ويعيد لها ديارها السليبة.

(*) الرياض، العدد ٥١٧٦ في ٢٠/رمضان/١١٤٠٢هـ.

تأملات في الواقع العربي . . .

يسائل المواطن العربي البسيط نفسه، وهو يعيش لحظات تأمل قاسية في واقع أمته ـ يسائل نفسه في مرارة وأسى :

ـ لماذا هذا الخلاف، بل الصراع المستعر، بين دولة عربية وأخرى، ولا سيما في وقت يمعن فيه عدو العرب المشترك قتلا وتدميرا للنفوس والأراضي العربية؟ .

ـ لماذا وفي هذا الظرف بالذات، يمد بلد عربي لدولة غير عربية يد العون ضد دولة عربية أخرى، كأنه بهذا يريد اخراجها عن امكانية مشاركتها في دعم قضية العرب الأولى؟ أو ليس الأجدر به أن يكون واسطة خير بين الجار وجاره، وأن يلتزم ـ على الأقل ـ جانب الصمت والحياد؟ .

ـ لماذا يتنازع قطران عربيان، حول صحراء عربية لا يتجاوز عدد سكانها المائة الف نسمة؟ كيف ينساق أحد القطرين وراء فكرة اقامة دولة منفصلة في هذه الصحراء البائسة؟ كيف تنكر هذا القطر لقرارات القمة العربية التي حسمت الخلاف مسبقا وقبل تحرر هذه الصحراء من نير الاستعمار؟ .

ثم أين هي (الوحدة العربية) التي ينشدها العرب جميعا؟ . . ولماذا لا يُناقش هذا الموضوع في اطار الجامعة العربية وليس في اطار منظمة الوحدة الأفريقية ـ أليست قضايا العرب من شأن العرب وحدهم؟ أين موقع الضمير العربي إذن؟ .

ـ لماذا تحتفل أجهزة الإعلام في قطر عربي بذكرى «لينين» مثلا، ولا تكاد تعطي أدنى أهمية لذكرى أية مناسبة عربية أو إسلامية يحفل بها تاريخنا؟ .

كيف يبلغ الانقياد «العقائدي» المستورد ـ إن جاز التعبير ـ ببعض العرب أن يتحالفوا مع أقطار غير عربية وغير إسلامية ضد اشقائهم . . ضاربين بالروابط القومية والإسلامية عرض الحائط؟ .

ـ لماذا تشتعل وفي مثل تلك الظروف الحالكة، أتون المعارك في اكثر من جبهة.. أحيانا بين الاشقاء أنفسهم وأحيانا أخرى بينهم وبين جيرانهم؟.

كيف تغير الحال فأصبح الجار ينبذ جاره.. بل يشهر السلاح في وجهه بعد أن ظل يعيش معه حياة ود وصفاء وصداقة؟.

ـ ماقيمة المنظمات العربية، وعلى رأسها الجامعة العربية، وفي مضمونها معاهدة الدفاع المشترك؟ ماجدوى الروابط التاريخية والقومية والاسلامية وكيف سيكون الحال بالمصير المشترك؟.

ـ لماذا هذا الانهاك المضني للجسم العربي من الداخل.. فضلا عن انهاكه من الخارج؟.

* * *

إنها استفهامات تختلج بها النفس العربية، وتدور في وجدان كل مواطن عربي، ويحتار الفكر عند الاجابة عليها.

أيُعزى هذا الواقع الأليم الذي يعيشه العالم العربي اليوم لطبيعة النفس العربية ذاتها وماجبلت عليه ـ كما قيل ـ من ميل للخلاف والشقاق والتناحر؟.

أم يُعزى للاستعمار والصهيونية وللمؤامرات التي تحاك من وراء ظهر الأمة العربية؟.

قد يكون هذا وذاك.. وقد يكون الاثنان معا.

وعند مناقشة التساؤل الأول ـ وهي مناقشة قد تفضي إلى الاجابة عن التساؤل الثاني ـ يحسن بنا أن نستحضر رأياً قديماً للعلاّمة العربي «ابن خلدون» واضع علم الاجتماع أو علم العمران كما يسميه.

لقد كتب «ابن خلدون» عن قضية الشقاق بين العرب تفصيلا، وأنحى باللائمة

على السجية العربية، ووصفها بحب الخلاف والفرقة. ولولا أن «ابن خلدون» عربي قح لكان مظنة للتهمة بأنه شعوبي من جملة الشعوبيين الذين زخر بهم تاريخنا والذين ألصقوا بنا كل معرة.

يقول «ابن خلدون» مامعناه.. إن الشقاق طبع في العرب، وأنهم لا يصلحون لبناء الحضارات.. ويقول ايضا مامعناه.. إنهم معاول هدم وأدوات تخريب وأحلاس تفرقة.. لكنه يستدرك فيقول: إن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوءة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة. ذلك مجمل رأيه في مقدمة تاريخه الشهيرة.

ولا شك أن «ابن خلدون» كان متأثرا بما ارتكب عرب «بني هلال» النازحون من أواسط الجزيرة العربية إلى أفريقية، فلازمته عقدة نفسية انتهت به إلى أن يصف العرب بأنهم هادمون للحضارة ولا يصلحون لحكم أو مدنية وكذلك كان متأثرا بما كان يجري حوله في بلاد الأندلس من خلاف وشقاق بين حكامها بحيث آل الحال بالحاكم العربي إلى أن يتحالف مع الحاكم النصراني ضد أخيه الحاكم العربي.

رب قائل يقول: إن «ابن خلدون» يقصد بالعرب الاعراب، ولكن هذا ـ كما يقول الأستاذ الزيات في «الرسالة».. «لا يؤخر في التهمة، ولا يقدم في الدفاع. لأن الموج من العباب، والعرب من الاعراب ـ والعصا من العصية.. والطباع قلما تتغير بانتقال صاحبها من سكنى الوبر إلى سكنى الحجر ومن رعاية الإبل إلى رعاية الناس».

ونهض ساطع الحصري ـ وهو أول المعجبين بفلسفة ابن خلدون ـ ليقول إن الشقاق طبع في جميع الناس. وعلل ما أصاب العرب بسرعة الفتح، واتساع رقعة الدولة ومؤونة الانتقال، وصعوبة الاتصال.

ولكن «الحصري» نسى أن التاريخ يشهد بشقاق العرب في الجاهلية والإسلام، وفي الدين والسياسة، وفي البداوة والمدنية، وفي الشدة والرخاء.

ويؤكد «الحصري» مقولته بأن الشقاق طبع في الأجناس، بأمثلة يسوقها عن

شقاق الاغريق والرومان والألمان والفرنسيين وسواهم. ولكنه ينسى أيضاً أن الشقاق في العرب يختلف عنه في غيرهم، فالتاريخ لا يكاد يثبت أن الشقاق بين العرب كان لفلسفة تبرر التفرقة.. لكن تحمس «الحصري» للعروبة قد أعماه عن مثالبها.. وحب الشيء يعمي ويصم كما يقولون.

بيد أننا لو رحنا نبحث في تجرد، عن مدى صدق نظرية «ابن خلدون»، لما وجدنا لدينا شجاعة أدبية كافية نخطيء من خلالها هذه النظرية.

ذلك أن السر، كل السر، كما يقول الزيات أيضاً، يكمن في أن الفردية علة العرب الأصيلة، والعصبية داؤهم الموروث.. ومن ثم كان الشقاق بينهم شهوة تستبد بالنفوس ونزوة تعصف بالرؤوس.. وهاتان الخصلتان هما جماع المصائب التي مُني بها العرب من قديم، وعُني بها وبعلاجها الإسلام.. وطالما أوهنت هاتان الخصلتان البناء، وحلتا العقدة، وفرقتا الجماعة. والتاريخ شاهد على هذا.

وعلى أية حال، وسواء كان الاختلاف والشقاق بين العرب سجينة متأصلة، أو عرضاً يطرأ مع الظروف، فإن الاختلاف بينهم يظل دون ريب.. المغري الأول لشهوات اعدائهم، فتحت مظلته تمكن هؤلاء الأعداء من بث المؤامرات ضدنا، بل كان هذا الخلاف مدخلا واسعا لالحاق الأذى بنا، ونهب خيراتنا وديارنا حتى نسير من مصيبة إلى أخرى. أذكر أنني قرأت ـ قبل سنوات ـ في مذكرات زعيم عربي راحل ـ أنه التقى في أواخر الثلاثينات من هذا القرن، أي قبل قيام اسرائيل بأكثر من عشر سنوات، بأحد زعماء الحركة الصهيونية ـ وقد سأله الزعيم العربي اثناء المناقشة: كيف ستقيمون دولة لكم في وسط عربي؟ ألا تخشون الابادة؟ وعلى من ستعتمدون؟ فما كان من الصهيوني الخبيث إلا أن اجابه: نحن نعتمد في الدرجة الأولى على خلافاتكم!.

وهذا ماحدث طيلة السنوات الثلاثين السابقة.. فقد مزقت الخلافات العربية قوة العرب، وأضاعت حقهم، وشوهت صورتهم، وجعلتهم لقمة سائغة للطامعين بهم.

ومع هذا، لم نتعظ بالتجارب، ولم نأخذ العبرة من أنفسنا، بل ظللنا سادرين في

غينا وعمهنا، مهيئين بهذا المناخ المناسب لأعدائنا ليفعلوا بنا مايشاؤون فالمصيبة إذن نابعة من ذاتنا.

لقد أغار علينا أعداؤنا في جشع وشراسة.. وليس بمستغرب أن يكون أعداؤنا جشعين وشرسين.. ذلك انهم ليسوا أعداء اليوم فحسب وإنما هم أعداء معرقون في العداوة. فمنذ الهجمة الصليبية الأولى علينا في القرن الخامس الهجري ونحن نعايش هذا العداء، بل ومنذ بدأت فتوحات الإسلام الأولى تنطلق مواكبها من المدينة كان أول من يقف في وجه انطلاقها يهود يثرب وخيبر وفدك وتيماء، حيث مافتئوا يكيدون لهذه الانطلاقة بشتى الأسباب يؤلبون الناس ضدها، فيحزّبون الأحزاب، ويخونون العهود وينقضون المواثيق في احرج الظروف، ويمالئون اعداء تلك الانطلاقة عليها، كيما يستأصلوا شأفتها ويبيدوا روادها، لكن الدائرة دارت عليهم. فكان أن انتهجوا أساليب المخاتلة.. يمتهنون المكائد ويحترفون الدسائس محاولين ايجاد الفرقة والشقاق بين هذه الأمة، ويعلم الله أنهم لم يكونوا لينفذوا إلى داخل حصوننا، طيلة هذه القرون الطويلة، إلا عن هذا الطريق.. طريق الاختلاف فيما بيننا.

إنهم إذن قد رضعوا الحقد أباً عن جد وتغذوا عليه أحقابا، فلا غرابة أن يعملوا على بث الدسائس بين صفوفنا ونسج المؤتمرات ضدنا.. ولا غرابة أن تدفعهم إلى هذا أيضاً خيرات أراضينا التي تُسيل اللعاب وتذلل الصعاب، ولا غرابة أن تلتقي في هذا الهدف مع الاستعمار.

لقد تكالبت علينا خلافاتنا، فصرنا نصارع أنفسنا، وتكالبت علينا مؤامرات اعدائنا من يهود ومستعمرين، وانطلت علينا احابيلها، فكانت النتيجة مانعاني اليوم من ويلاته.

يكفينا حزنا ـ أيها العرب ـ أن تصل الطائرات اليهودية إلى العمق من أوطاننا، فتضرب مطاراتنا النائية وتحطم منشآتنا الدفاعية، وتعود دون أن يناالها أذى.!

ويكفينا ـ أيها العرب ـ أننا لم نسمع أن طائرة عربية حلقت فوق تل أبيب. مع

أن تل أبيب هذه لا تبعد أكثر من مائة وخمسين كليومترا عن بعض مطاراتنا ولم نسمع أن محاولة هجوم عربية حدثت على منشآت العدو النووية في صحراء النقب الواقعة بين ظهرانينا . !

يكفينا ـ أيها العرب ـ أن نسمع ونشاهد آلاف الأطفال والنساء من أهلنا يتهاوون صرعى دون أن يتحرك أي شعور أو إحساس في نفوس المائة مليون . فضلا عن أن تتحرك الجيوش ، ويكفينا ألا ندرك أن تحطيم خطوط الدفاع العربية الأولى سيؤدي في النهاية إلى القضاء علينا جميعا . !

يكفينا أن نشاهد أمم الأرض ، وقد جعلت منها دعاية اعدائنا ترى الحق باطلا والباطل حقا ، وحتى أصبح كل ماهو عربي منبوذاً وكل ماهو يهودي يحظى بالرضا ، وحتى أصبحت النية السيئة تجاهنا جاهرة ومبيتة ونحن لا نستطيع أن نغير من الصورة شيئا . !

ويكفي أن نرى الأمم المتحضرة في شتى اصقاع المعمورة تتفرج على مايجرى على أرضنا من مآسٍ ووحشية وكأنها تشاهد مباراة ممتعة في كرة القدم أو في مصارعة الثيران أو في سباق الكلاب . !

وبعد . . أفلا ننصاع لوازع العقل والتفكير ونأخذ الدرس والعظة من تجارب الأحداث ، فنعيد تقويم أمورنا لغدٍ مشرق بإذن الله ، غدٍ خال من رواسب الخلاف والتعصب والدجل . . غدٍ يعطي للرأي وزنه واعتباره ويعمل على اشاعة روح الاطمئنان بين العربي وأخيه . غدٍ يقام فيه مجتمع هذه الأمة على أساس سليم مستوحى من جذورها الدينية والقومية أولا ومن معطيات العلم الحديث ثانيا . . غدٍ يميز بين الخطأ والصواب . . وبين العتمة والضوء؟ .

فاللهم اكتب لهذه الأمة أمر رشد . .

(*) الرياض ، العدد ٥٢٠٠ في ٢٧/١٠/١٤٠٢هـ .

عن الحج والحجاج

تشهد فجاج مكة هذه الأيام، كما ستشهد بطاح منى وعرفات، بعد أيام، حشوداً حاشدة من الحجاج الآتين من شتى اصقاع المعمورة. . جاءوا ملبين دعوة إبراهيم الخليل. . ليذكروا الله في أيام معدودات . . وليشهدوا منافع لهم.

ذلك أن الحج ـ مع كونه عبادة وركنا من أركان الدين ـ فهو موكب الإسلام الأول، وموسم أيامه الخالد، ومؤتمر أهله الكبير. . حيث تزداد فيه عرى الأخوة توثيقا، وتزداد وحدة الكلمة قوة. . وحيث يلتقي على صعيده قادة الأمة الإسلامية ومفكروها، فيكون في هذا فرصة مجردة من كل هوى لمناقشة أوضاع هذه الأمة وتدارس أحوالها، والرجوع إلى الدين والعقل والضمير في مجابهة المشكلات التي تعاني منها بلدان هؤلاء أولاً، والمشكلات التي تكدر صفو علاقات هؤلاء ببعض وببلدان العالم الأخرى. . ثانيا. . مما نحسبه داخلاً في مفهوم (المنافع) التي يشهدها الحاج.

وأمام هذه المناكب المتحركة والمواكب المائجة، وأمام تلك الاحاسيس الجياشة والفياضة من الالسنة والافئدة، تطوف بالنفس مختلف الخواطر والأفكار ويتمنى المؤمن من قلبه لو أحسن المسلمون الاستفادة من هذا الموسم الاسلامي الخالد.

على أنه بقدر مايتمنى المؤمن هذا، فإنه يجد قلبه يعتصره الألم والأسى، وتذهب به الحسرة والأسف كل مذهب، وهو يشاهد ماعليه حال معظم هؤلاء الحجاج القادمين لأداء هذه الشعيرة من ضعف وبؤس وسوء حال. . وهي حالة تسقط عن صاحبها الفريضة أصلا، ذلك أن الإسلام اشترط على قاصد الحج أن يستطيع إليه سبيلا، والسبيل ـ كما هو مقرر ـ يعني الراحلة والزاد. . ولابد أن يكون ذلك فاضلا عن حاجة الحاج هو وأفراد عائلته الذين يعولهم من سكن ونفقة ورعاية. . بل لابد من أن يكون له ـ إذ عاد ـ مايقوم بكفايته من تجارة أو صناعة أو أجرة عقار على الدوام، إذ لا يجوز التفريط في حق البشر، وهذا علاوة على القدرة الصحية للحاج.

ذلكم هو تفسير الاستطاعة، ولو أنه تم تطبيق هذا الشرط الشرعي بدقة،

لأصبح الوضع معقولا إلى حد كبير، ولتمكنت الاعداد القادمة للحج سنويًّا من أن تؤدي فريضتها بصورة أكثر يسرا وسهولة، ولتحققت حكمة الحج ومقاصده بشكل أبلغ وأجدى.

لقد حبا الله مكة وماحولها من بقاع بأن جعلها موطن الحج والعمرة ومأوى الافئدة المسلمة. كما شرف أهالي هذه الرحاب وحكومتهم بأن يقوموا على خدمة وفود الله.

لكن المشاعر التي يؤدي الحجاج الفريضة عليها محدودة الحيز والمساحة كما نعلم.. مما يجعلها تضيق بهم، عاما بعد عام، ازاء التزايد المطرد في اعدادهم، كما أن الجهود التي تقدمها الدولة في سبيل راحة الحجاج - وما أكثرها من جهود! . ستظل، مهما بلغ حجمها وامكاناتها، تنشد الكمال والأفضل لرعاية تلكم الاعداد الهائلة من الحجاج وفي مدى زمني قصير جدًّا من الأيام.

لنا أن نتصور ذلك الازدحام الهائل الرهيب حول الحرم أثناء فترة الحج.. وذلك الازدحام الأكثر هولا ورهبة مابين المشاعر في منى وعرفة ومزدلفة.. والازدحام في السكن وفي الحركة والانتقال.. مما يعتبر فريدا من نوعه زمانا ومكانا!.

ولنا أن نتصور الجهود الجبارة الفذة التي تمارسها أجهزة الدولة المختصة، من أجل التنظيم والحفاظ على أمن تلك الحشود وسلامتها وصحتها ورعاية كافة متطلباتها، كيما تؤدي فريضتها مرتاحة الجسم والبال.

لنا أن نتصور آلاف الملايين من الريالات التي تبذلها الدولة - سواء بطريق مباشر أو غير مباشر - تبذلها عن طيبة نفس ودون مِنَّةٍ أو انتظار مقابل من بشر.. وإنما لراحة الحاج.. بل إنها - أي الدولة - تعتبر ماهو ملقى على عاتقها من رعاية لشأن الحجاج واجبا وشرفا عظيمين كرمها الله بهما.

ولنا أن نتصور المشاق الكبيرة التي تكبدها ذلك الحاج البائس الفقير القادم من أقاصي الدنيا والنفقات التي فاقت طاقته وأثقلت كاهله وكرست فيه وفي أفراد أسرته البؤس والعدم.

ولنا أن نتصور ماقد يسببه المتخلفون من الحجاج في البلاد، بعد أداء الفريضة، من اشكالات نظامية واجتماعية وخلافها.

وإذا كان الحاج المعدم يشكل شطرا كبيرا من الوفود القادمة من الخارج، وإذا كان هذا الحاج قد افتقد الشرط الشرعي للحج، وهو الاستطاعة، فإن قسما آخر من هؤلاء سبق له الحج مرة أو مرتين أو مرات كثيرة.

وهذا يجرنا إلى الحديث أيضاً عن الحجاج القادمين من داخل المملكة.

إن القسم الأكبر من الحجاج الآتين من مختلف أقاليم المملكة سبق لهم أن أدوا فريضة الحج أكثر من مرة..

ولنا أن نتصور هنا ـ أيضا ـ كم من العبء الجسيم الذي يكبده هؤلاء للخدمات العامة التي تقدمها الدولة من أجل الحج والحجاج.. ومن الارباك الذي يسببه هؤلاء للآخرين ولمسيرة الحج نفسها.. انهم يكلفون بلادهم وحكومتهم رهقا لا مبرر له ونفقات وجهودا كان من الممكن تلافيها.

لقد فرض الله الحج مرة واحدة في العمر.. والرسول صلى الله عليه وسلم حج مرة واحدة، وكذلك أبوبكر الصديق رضى الله عنه، وكثير من ائمة الإسلام حجوا لمرة واحدة.. فلماذا إذن يصر كثير من المواطنين ومن المقيمين داخل المملكة، على الحج كل سنة؟؟ خاصة وهم يشاهدون الازدحام المتناهي الذي تعاني منه المشاعر وطرق وأماكن الاقامة، ويشاهدون الضغط الشديد المتزايد على المرافق والخدمات وسواها.

ألاليتهم ـ ونقولها بصدق وصراحة ـ يدركون بأن هناك العديد من أوجه البر

والخير والاحسان وهي أفضل عند الله وأبقى أثراً من الحج (النافلة) وأعظم أجراً ومثوبة . !

ازاء هذا الوضع ، يتردد الحديث ـ بين فينة وأخرى ـ عن موضوع تحديد اعداد الحجاج ، وهو موضوع ظل شائكا ، فترة طويلة من الوقت ، لاعتبارات متعددة . . غير أن احتمال تضخم الأمر مستقبلا ، وربما تأكده ، بات يستوجب البدء في اجراء الدراسات والبحوث اللازمة حول هذا الموضوع . ومن ثم الخلوص إلى آراء وأفكار من شأنها أن تؤدي إلى اختيار الأسلوب الأمثل لخلق مواسم حج مثالية . . إن جاز التعبير.

ويبدو لنا ـ من وجهة النظر الخاصة ـ أن تحديد اعداد الحجاج سيكون هو أكثر الاحتمالات الممكنة مستقبلا لمواجهة التوقعات في التزايد المطرد لتلك الاعداد .

وإذا كانت هذه البلاد ـ من منطلق خطها الإسلامي الصريح ـ لا تريد أن تحدد اعداد الحجاج لكي لا تكون صادة عن بيت الله الحرام ـ وحاشاها ذلك ـ فإن من الممكن التفاهم مع المؤسسات والدول الإسلامية على ضرورة تطبيق شرط الاستطاعة الشرعية ، بمفهومه الدقيق ، على الحاج . . وكذلك عدم الترخيص للذين أدوا الفريضة من قبل ، للحج مرة أخرى ، ونحسب انه تفاهم سيؤدي إلى نتيجة مرضية . . كما نحسب أن موسم الحج ذاته مناسبة حسنة لهذا التفاهم .

ولسوف يدخل في نطاق هذا التفاهم ، بطبيعة الحال ، نشر التوعية الشرعية واللازمة لهذا الأمر بين الشعوب الإسلامية ، وتفسير معنى الاستطاعة تفسيرا واضحا موسعا يزيل كل لبس .

وتبقى ، إذن ، مسألة الحاج (المواطن) الذي يصر على تكرار الحج عاما بعد آخر . . وهو ـ في الغالب ـ مدرك سلفا للوضع الذي يعيشه الحج والحجاج . . كما هو مدرك لجهود الدولة وخدماتها . . بل يعتبر نفسه شاهد عيان على نفسه .

وكم يكون هذا المواطن عادلا مع نفسه ، وبلاده ودينه ، لو أنه اعطاها الحق . .

كم يكون عادلا لو طبق المثل الشعبي القائل: «من قضى فرضه يشد أرضه».. أي ليبق في مكانه.

وبعـــــد..

ماذا لو أن الـدول الإسـلامية راجعت أمـرهـا، ونـظرت في شأن حجاجها، فقصرت السـماح بالسفر للحج على من لم يسبق له أن أدى الفريضة، ولديه القدرة الشرعية على أدائها؟!.

وماذا لو أننا هنا ـ في داخل المملكة ـ عملنا على توعية المواطنين وكذلك الأخوة المقيمين ـ الذين سبق لهم أن حجوا، وحاولنا اقناعهم بالبرهان الشرعي بأن هناك من الأعـمال الصـالحة والنافعة ماهو أعظم ثوابا من الحجة النافلة، وأن عدم الحج من جانبهم سيتيح المجـال للحجـاج الآخرين الذين لم يحجوا من قبل كيما يؤدوا تلكم الشعيرة على أفضل مايكون من الراحة والاطمئنان فضلا عما يتيحه هذا أيضاً من عدم الارباك لخدمات الدولة ونشاطاتها خلال فترة الموسم.

والله من وراء القصد.

(*) الرياض، العدد ٥٢٣٣ في ٥ ذي الحجة ١٤٠٢هـ.

في مجال الزراعـة:

ضوابط لابد منها

شهد قطاع الزراعة في السنوات الأخيرة، نمواً مطرداً ولا مراء أن الدعم الكبير الذي يحظى به هذا القطاع من قبل الدولة كان له النصيب الأكبر في هذا النمو.

ذلك أن الاعانات التي تنفق بسخاء، والقروض التي تقدم بدون مقابل، قد خلقت نهضـة زراعية مذهلة، ودفعت بالمزارعين إلى مزيد من العطاء والانتاج. كما دفعت بالعديد من المواطنين الآخرين إلى ميدان الحرث والزرع.. وقد تحولت ملايين الهكتارات من الأراضى البور الجرداء إلى حقول خضراء تعطي الغذاء والنماء والخير.

ولكم تأخـذك الدهشة، وتستبد بك الغبطة عندما تكون محلقا في الجو، أيام الشتـاء، فتشاهد المساحات الشاسعة المتصلة ببعضها في سهول البلاد، وقد غطتها زروع القمح الخضراء في مناظر لم يكن لهذه الربوع عهد بها من قبل!.

إلا أن ترامي هذه المساحات وكثرة ماتمنحه من انتاج، لهي مما يبعث على التأمل في مستقبل الفائض من ذلك النتاج، فمادامت الدولة تقدم الدعم بهذه الصورة، فإن محصول القمح سيظل في تزايد ولن تستوعبه طاقتنا الاستهلاكية.

والاعانات والقروض المقدمة من الدولة هي بلا شك مكرمة عظمى يندر مثيلها في البلدان الأخرى، ويجب أن تقابل بالشكر والوفاء.

إلا أنه ـ أمام هذا الدعم وأمام احتمال تزايد الانتاج ـ تصبح الضرورة ملحة لوضع سياسة زراعية ثابتة للمستقبل.

فلا بد ـ أولا ـ من النظر في تحديد سقف للإنتاج. بحيث لا نزرع ما يفيض من الحاجة، وبحيث تحدد الطاقة الانتاجية لكل مزارع قبيل بداية الموسم، وبحيث تعطى الأرض فرصة للراحة وقتا عن وقت لأن توالي زراعتها بمحصول واحد يؤثر على جودتها كما هو معلوم.

ولابد ـ ثانيا ـ من تنويع الانتاج بالتوسع في زراعة الاعلاف كالشعير والبرسيم، وزراعة الخضروات ولا سيما بواسطة البيوت المحمية لما توفره من ماء ومساحة في الأراضي وغزارة في الإنتاج.

ولا بد ـ ثالثا ـ كشرط للإعانة والقروض ـ أن يلتزم مزارع الحبوب بغرس عدد معين من الأشجار المثمرة ولا سيما النخيل، ضمن نسبة معينة من مساحة الأرض، بهدف شد المزارع إلى الأرض ولتحقيق قدر من الاكتفاء في انتاج الثمر.

هذه خواطر وأحاسيس، لاحت لي مع اقتراب موسم زراعة القمح . . ولعل فيها مايكون صالحا للنظر والتبني من قبل المسؤولين عن قطاع الزراعة، فهم بكل خير حريون.

(*) الجزيرة، العدد ٤٧٩٠ في ١٤٠٦/٢/٢٦هـ.

الرياض الخضراء . .

مع أن الرياض ـ كمدينة حديثة ـ قد استكملت بنيتها الأساسية، إلا أن الرياض (الخضراء) مافتئت حلما يراود أبناءها ويستحوذ على أمنياتهم.

ومع أن أمانة مدينة الرياض ـ والحق يقال ـ قد بذلت جهودا واضحة لا يستهان بها في إنشاء العديد من الحدائق، وعلى مساحات كبيرة وقامت بتشجير الكثير من الشوارع. . إلا أن الحاجة لاتزال ماسة للتوسع في ايجاد المزيد من المساحات الخضراء. . وإلى تشجير كافة الشوارع ولا سيما الطريق الدائري ومايتفرع منه من طرق رئيسية، وإلى اقامة المنتزهات الترفيهية الكبيرة في أطراف المدينة.

ولقد كان تحقيق هذا الأمل الشغل الشاغل للمسئولين عن هذه المدينة، وعلى رأسهم أمير منطقة الرياض الذي يلاحق هذه الفكرة لتصبح حقيقة ينعم بها السكان في أقرب وقت إن شاء الله.

ذلك أن مما ينقص الرياض اليوم هو وجود المساحات الواسعة الخضراء التي تكسر حدة الجفاف وتجلب الطراوة وتشيع البهجة للعين والنفس، وتكون متنفسا للنفس.

ولئن شحَّ الماء اللازم للسقيا في الماضي، فإن ماتوفره ـ اليوم ـ محطات تنقية المجاري على أحدث الأساليب، من مياه ستزداد مستقبلا، كفيل بتلبية احتياجات هذا الهدف.

وفي اجتماع جلالة الملك المعظم ـ ايده الله ـ مع المسئولين عن المشروعات والمرافق بمدينة الرياض، قبل أمس، أكد جلالته على جانب التشجير والتوسع في اقامة الحدائق والمنتزهات، وأعطى توجيهاته ببذل المزيد من الجهد في سبيل ذلك مشيراً إلى أن الدولة لن تبخل على مواطنيها بما يحقق لهم الرفاهية.

وهذا ماجعلنا نقف اليوم حقا على عتبة عهد جديد لمدينتنا الحبيبة تنفض من خلاله غبار الصحراء وشعثها وترتدي فيه لباس الخضرة والبهجة، وتأخذ شكل المدينة «الأنموذج» فعلا.

(*) الجزيرة، العدد ٤٧٢٥ في ٢/٤/١٤٠٦هـ.

مثاليـة السـلوك

عندما يكون المرء صادقاً مع نفسه، صادقاً مع غيره، ومع عمله، تبدو الدنيا لناظريه صفحةً بهيجة مفعمة بالفأل والاطمئنان. . منزهة من الشوائب والأوضار، ولذا فهو لا يكاد يأبه بشيء مما حوله، إذ هو لا يخشى رهبة من أحد في دنياه سوى الرهبة من خالقه الأعلى الذي منحه هذا المسلك الحميد في تصرفه وتعامله.

أمـا عنـدما يكون جانح الهوى، ملتوي الطبع والخلق، يبدي ما لا يخلفي، ويبـوح بما لا ينم عنه ضميره، فإنه يظل يصلى سعيراً في حشاه، ويعاني من نكد في وجدانه، ويعيش قلقاً واضطراباً يحملانه دائماً على الريبة في نفسه وعلى الخوف ممن حوله حتى ولو كان هذا الذي حوله ريشة طائر تهوي إلى الأرض.

صحيح أن الاعتدال والاستقامة في المسلك، أو مثالية الطبع، تفقد صاحبها كثيراً من أمور الحياة ومن صورها الخلابة. . بل لقد تجعله أحيانًا يعيش حياة كفاف. . لكنها تصنع في ذاته عالمًا رحباً فذاً يُشعره بأن كل شيء بين يديه. . ولو أدرك الآخرون سره لصارعوه عليه حسداً وضغينة!.

والمثالية ـ من بعد ـ مطلب حضاري لكل الأمم، إذ لا يُتصور أن تقوم حضارة فاضلة على اكتاف مجتمع تعوز أفراده صفات الاستقامة، والصدق مع الذات، والبعد عن مخاتلات النفس ومداخلات الهوى ونهم الروح.

وشباب هذه البلاد بخاصة، خليق بانتهاج مهيع الصدق مع النفس، وبترسم خطى النزاهة والأمانة والاخلاص؛ فذلك ما يأمره به دينه، وماتحثه عليه السجية العربية.

على أننـا نحمـد الله، فالـدنيا مازالت بخـير، وهذه البلاد تحتضن الوفير من الشباب العامل في صمت، المتفاني في أداء واجبه، المتنكب عن دروب المعابة والزلل. . من أجل بناء وطن حضاري متطور.

(*) الجزيرة، العدد ٤٨٣٢ في ١٤٠٦/٤/٩هـ.

لكي لا نلقي القول على عواهنه

نطالع من آن لآخر ـ على صفحات الجرائد ـ بعض الشكاوى التي يبثها بعض الإخوة المواطنين، من أجل ايصال خدمة أو مرفق ما إلى أحيائهم أو إلى قراهم وهجرهم. . وهي شكاوى تستوجب ـ في عمومها ـ النظر والتأمل والعلاج من قبل المسئولين.

ذلك أن طبيعة المسئولية تقتضي تقبل الشكوى بصدر رحب مهما كان شأنها، ومن ثم التجاوب معها.

وظاهرة الشكوى، أو ابداء الرأي والاقتراح، ظاهرة جميدة ومقبولة، ولا يمكن أن يأنف منها راعٍ أو مسئول عاقل. . بل ربما كانت نبراساً يضيء له سبيل العمل.

لكن مما يبعث على الضيق في نفس المسئول أن تأتي الشكوى، وبهذه الوسيلة العلنية، في وقت قد استكملت معه الخطط والتصاميم منذ فترة، وكاد العمل يلج حيز التنفيذ، مما يعني عدم الحاجة إلى الشكوى أصلا.

والحقيقة أنه لا تثريب على الشاكي، فهو صاحب حاجة. وله العذر كله، وإن كان المسئول يشعر بمرارة، خاصة وأن جهوده بدت دانية القطاف.

بيد أن الأمر الأكثر مرارة، أن يأتي اللوم والعتب ـ أو الهجوم في أحيان أخرى ـ من كاتب صحفي، يمتهن الكتابة ويحترفها، فمثل هذا الكاتب الكريم يفترض فيه أن يكون مطلعا على خطة التنمية العامة وعلى الخطط التشغيلية للمرافق العامة، ولا سيما مايتعلق منها بمدار نقده أو اقتراحه، كما أن من الضروري له أن يستطلع الأمر حول ما اتخذ من خطوات لتحقيق ذلك. . بدلا من القاء الكلام على عواهنه. وبدلا من أن يطالب بأمر هو في الواقع مقرر وفي طريقه للتنفيذ.

أما إذا لم يكن هذا الكاتب بتلك الصفة، فلا نحسب أنه يهدف إلا ليجعل من نفسه ـ أمام المواطنين ـ أنموذجا في النقد يُستجاب له فوراً!.

وعلى أية حال؛ فالجميع على حق. . لأنهم ينشدون مزيدا من البناء والعطاء والخير. . !.

(*) الجزيرة، العدد ٤٨٣٩ في ١٦/٤/١٤٠٦هـ.

. . وماذا أقـول؟!

تذكرت فجأة، وقد ادركني الوقت، ولم يبق على صدور هذا العدد من الجريدة غير سويعـات ـ تذكرت أنني أمام التزام أدبي بكتابة كلام ما، ينشر للناس في هذه الزاوية، ولكن أنَّى لي ـ ساعتها ـ بشيء أسطره خاصة وإن الكتابة لابد لها من بواعث نفسية تدفع صاحبها إليها دفعا؟!.

هل اجتر الحديث اجترارا، فأكون كمن ينطبق عليه قول امريء القيس مثلاً:

عوجـاً على الـطلل القـديم لعلنا نبكي الديار كما بكى (ابن حزام)

أو قول زهيـــر:

ما أرانـــا نقـــول الا معـــاراً أو معـــاد من قولـــنـــا مكـــروراً

وبهذا أُصبح من (حمير القول) ومرددي الأفكار.

أم هل أبقى في انتظار هاتف الذهن والوجدان، وقد لا يأذن لي طارق الزمان بذلك؟!.

وهنا تذكرت مقولة الفرزدق ـ وهو الشاعر الفحل: (إنه لتأتي عليّ أوقات لقلع سن فيها أهون عليَّ من أن أقول بيتا من الشعر). كما خطر لي معنى للمبرد صاحب (الكامل) عندما جالت من حوله الاحاسيس فلم يكد يجد سبيلا إلى التعبير عنها بيد ولا لسان!.

ومعاذ الله من تعبير اليد!.

وهنا أيضاً عادت بي الذاكرة إلى ذلك الرأي النقدي القديم. . القائل: أجود الشعراء امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب. والأعشى إذا شرب، والعبسي إذا غضب.

وتلك حالات من الانفعال الذاتي تجعل بنات الأفكار تجري على اسلات لسان صاحبها جديثاً شهياً سائغاً لذة للسامعين والقارئين. . !

وحمدت الله خيراً ـ وبعد هذه التأملات ـ أنني بها قد أسد الفراغ في هذه الزاوية، بما قد يقنع الصديق الكريم رئيس التحرير ـ مجاملة منه لي ـ ولكنه، أي هذا الكلام، لن يقنع نفسي أبداً، وأحسبه لن يقنع أحداً من القراء.. أيضاً.

(*) الجزيرة، العدد ٤٨٤٦ في ٢٣/٤/١٤٠٦هـ.

وماذا في الأخبار. . ؟!

منذ عشرين عاما وأنا عزوف عن سماع نشرات الأنباء من محطات الإذاعات، بل وعن تتبع كثير من الأخبار وتفاصيلها في الصحف العربية. وقد أكتفي بسماع الموجز أو قراءة العناوين.

وكان جيلنا ـ قبل ذلك ـ شغوفًا بقراءة وسماع دقائق الأخبار والتعليق عليها، لا تكاد تفوته من ذلك شاردة أو تخفى عليه واردة.

ولعل السبب في العزوف عن تلك المتابعة هو ماانتهت إليه تلك المرحلة من صدمة ـ تلتها صدمات ـ غيرت مزاجية الفرد العربي وحملته على الاعتقاد بأن من أسباب نكسة الأمة العربية هي تلك الغوغائية الإعلامية التي ملأت الوجدان العربي وجعلته يؤمن بأن تحقيق الأماني القومية قد باتت قطوفا دانية بين يديه!.

وماذا في الأخبار؟.. وأمتنا تعيش واقعا مريراً وتعاني من صنوف المسكنة والضعف والعجز.

وهل أبلغُ في تصوير هذه الحال من أن يسدد العدو ضرباته الهمجية الموجعة في عمق الوطن العربي ـ شرقاً وغرباً ـ ويفعل افاعيله متحديا كافة المشاعر والقوى وغير آبهٍ بأي وازع أو قانون أو هيئة، والعرب لا يستطيعون حراكا ـ أي حراك ـ أمام هذا.. مكتفين بالصراخ والضجيج والاحتجاج.. ومتجاهلين خطط العدو ومايبيته لهم من قادم الأيام..؟.

هذا الهوان الذي يحياه العربي أصبحت أنباؤه المتتالية ضرباً من الحوادث اليومية العادية.. أو كحوادث التاريخ التي مضت عليها عشرات القرون لا تكاد تثير حماسة أو شجنا.. وإن كانت حوادث التاريخ يستخلص منها المفكرون العبر ويستقون التجارب..!.

لا نقول هذا من باب اليأس، فلا يأس من رحمة الله، والأيام مصائر ودول، وقضاء وقدر.

لكن انشغالنا بالكلام عن العمل وانسلاخنا عن كثير من قيمنا ومقوماتنا وجذورنا وانسياقنا وراء موجات التعمية والغفلة، قد أتاح لخصومنا الفرصة لينفذوا إلينا وليفعلوا فعلاتهم بنا!.

ومتى ماتم بناء الإنسان العربي، بناءً صحيحا وعلى أسس قويمة من التربية والعلم والقوة، وفي جو خالٍ من العقد والخوف ـ عندئذ سوف يبحث أعداؤنا في هلع عن منافذ أخرى يهجرون من خلالها أوطاننا..

(*) الجزيرة، العدد ٤٨٥٣ في ١/٥/١٤٠٦هـ.

أما البيت فله رب يحميه!!

كلما تمعن المرء في واقع العرب اليوم، لاحت له تلك الصورة التاريخية المحزنة لحالة العرب الأندلسيين، قبيل أفول شمس حكمهم، ونزوح ملايينهم مرغمةً من ذلك الفردوس العظيم، فالليلة تشبه البارحة، والحال تحكي الحال!.

لقد أصبح الخلاف والتمزق من مألوفات الحياة العربية، وبات ضياع الرأي السديد وغياب العقل والحكمة ظاهرة من ظواهر الواقع.. ولا سيما في مواجهة الأحداث المصيرية.

وكدنا بتصرفاتنا أمام أنفسنا وأمام الآخرين، نعطي المبرر المقنع لغيرنا بأننا غير جديرين بمطلب، أو بحق، أو بحضارة..!.

تملؤنا الرغبة في الخصام.. حول أي شيء.

ونتصارع مع بعضنا ـ فحسب ـ صراع الأسود!!.

الجار على حذر من جاره.. يتصور أنه سيفترسه!!.

وأبناء الوطن الواحد يتناحرون ـ تجاه بعضهم ـ في حروب استنزافية شعواء. لم ترحم طفلا ولا امرأة ولا كهلاً.. حروب ضاعت معها كل الأعراف والمقاييس، وخجلت لشناعتها شتى القيم والاخلاقيات، وهزلت أمامها صورة (داحس والغبراء)!.

وقضية العرب الأولى.. فلسطين ـ رد الله غربتها ـ لم نتفق يوما على أسلوب عملي صادق التنفيذ ازاءها.. ولم يتفق أبناؤها أنفسهم على هذا الأسلوب إلى حد أن حمل بعضهم السلاح في وجه بعض.. وكل يدعي وصلاً بها..!.

ويظل الجسم العربي المسكين المنهك ينزف كل يوم وكل لحظة دماءً غزيرة. وتظل المعنويات ترتطم بصخور من الهوان.. ويكاد اليأس يقتلع الارادة لولا عزمات فدائية تشبه الاساطير ـ من آن لآخر ـ حفظت للوجه العربي بعض مائه..!.

ومن وراء هذا وذاك عدو ـ بل أعداء شرسون جشعون ـ يذكون أوار الخلاف، ويغذون نبتات الصراع، ويظلون مترقبين ـ عن بعد ـ جني الثمار لصالحهم. . أعداء يتربصون بناء دوائر السوء، فيوغلون فينا تحديا وعدواناً، ويمتهنون كرامتنا ومقدساتنا. . دون أن يخشوا ردعا وتأديبا!.

ألا ما أشد مصيبة هذه الأمة وما أعظم صبرها. . وما أقواها على تحمل المآسي والنكبات. . !.

لو أن مصائبها حلت بغيرها، لكان قد عفى عليه الدهر وأخنى عليه ما أخنى على لبد.

لقد تحركت لديَّ هذه المشاعر، وأنا أشاهد ـ من خلال شاشة التلفاز ـ جمعا من العرب العزل يذودون عتاة اليهود عن دخول المسجد الأقصى. وتذكرت ساعتها مقولة عبدالمطلب ـ سيد قريش ـ لأبرهة الحبشي: أما البيت فله رب يحميه!.

(*) الجزيرة، العدد ٤٨٦٠ في ١٤٠٦/٥/٨هـ.

منهاج خاطيء . .

يكاد الإعلام العربي، الموجَّه للعرب أنفسهم، تجاه مشكلاتهم وقضاياهم، ولا سيما المشكلات والقضايا الرئيسية المشتركة ـ يكاد يكون عملية إقناع لهم بعدالة تلك القضايا! .

فهو يسهب عند الحديث عن قضية فلسطين ـ مثلا ـ في شرح الحق العربي، ويروي شراسة اليهود وأطماعهم وأفاعيلهم التي مارسوها ويمارسونها يوما بعد آخر، ويوغل في القول عن اليهود الغزاة العتاة الدخلاء، صنائع الاستعمار وركائزه، هؤلاء الذين حلوا ببلادنا فألحقوا بنا العار والدمار! .

وهذا كله صحيح، ولا يشك فيه فرد منا . . لكن؛ أما كان الأجدى أن نخاطب بجزء كبير من هذا الإعلام العالم الخارجي . . خاصة وأن هناك الكثير من الأمم والشعوب، في شتى بقاع العالم، لا تكاد تعرف عن هذه القضية، أو غيرها من قضايانا، شيئا إلا عن طريق مايصلهم بواسطة وسائل إعلام العدو . . ؟ .

ذلك أننا ـ بطبيعة الحال ـ قد خبرنا عدونا ـ وعلى مدى أكثر من خمسين عاما ـ وليست فظائعه وأساليبه مما يجهله العرب . . ومن ثم فما معنى أن يستجدي المعلقون الرأي العام العربي وأن يملؤوا دنياه كلاما؟ .

العرب ليسوا في حاجة إلى مزيد من الكلام، فقد شبعوا منه كثيراً. وليسوا في انتظار من يقنعهم بحقهم أو بعدالة مطالبهم فهم في حلبة الأحداث . . إنهم في حاجة إلى العمل الموحد الصادق لمقارعة خصومهم واستعادة حقهم السليب . . فحسب! .

إن الكلام، أو الدعاية لقضاياهم، يجب أن يأخذ أيضاً منحى آخر، فيسير في اتجاه الآخرين لايضاح الحقائق لهم. بدلاً من أن يُتركوا لقمة سائغة للدعاية المعادية التي توشك أن تستحوذ على الرأي العام العالمي بأجمعه، فتصور الصراع العربي اليهودي على غير حقيقته .

ولست أدري السر في هذا المنهاج الإعلامي الذي ظل يراوح مكانه عشرات السنين، وإن كان فقدان التخطيط العربي الموحد السليم من أبرز أسبابه.

على أنه، إن كان هناك من وجهة نظر عربية تصل إلى أي موقع خارجي، فإنها تبدو، وهي تحط رحلها، ضئيلة هزيلة.. وأين من ينعشها هناك..؟.

(*) الجزيرة، العدد ٤٨٦٧ في ١٥/٥/١٤٠٦هـ.

نريد قراء . . لا متحدثين!

نحن، في عالمنا العربي، شعوب لا تقرأ، ولا تطيق أن تقرأ، وإذا قرأنا ولو لماماً ـ فسرعان ماننسى الأمر ونطوي صفحته. وهذا ماوصفنا به أحد زبانية الأعداء إثر الهزيمة الموجعة في عام ١٩٦٧م، وكان جانبا حيويًّا في بناء خططهم الاستراتيجية تجاهنا. ولو كنا نحمل في الذاكرة شيئا مما قرأناه لتلافينا كثيراً من النكبات التي حاقت بنا.

حقاً نحن لا نقرأ. . بيد أننا نروم أبداً أن نكون خطباء وكتابا وشعراء ومتحدثين وجدليين وشُراح فكرٍ وفلسفة ونظريات!.

وإذا كنا لا نود ـ في هذه العجالة المقتضبة ـ أن ندخل في باب التعليل لهذه الظاهرة، إلا أنه لا مندوحة من الاشارة إلى أن الكتابة أو الخطابة وغيرهما من وسائل الأداء هي بلا مراء متنفس رحب للصدور من وهجها ومعاناتها!. والصدور، في عالم العرب اليوم، مثل الليالي الحُبالى المثقلات، بالأوابد والغرائب والأهوال!.

لكنّ مما يبعث على الحسرة والأسى، أن كثيراً ممن يحملون المؤهلات العليا ـ ونقولها بصراحة ـ يهجرون، بمجرد حصولهم على تلك المؤهلات، عالم القراءة وينبذون الكتاب وراءهم ظهريًّا، كأنهم بالشهادة العلمية قد تأبطوا علم الأوائل والأواخر، أو كأنما الشهادة غاية في ذاتها، وهنا مكمن البلاء.

ولست أعني بالقراءة، القراءةَ العابرة الخرساء، كما هو الشأن بالنسبة لكثير من قارئي الصحف اليومية مثلا. . وإن كان بعض هذه الصحف يتسم بالموضوعية الجيدة ويفيض بالأفكار النيرة ـ ولكني اعني القراءة المتدبرة الواعية في المضان الفكرية والعلمية الحقة.

إنه لابد من تعويد ابنائنا ـ وهم في مراحل الدراسة ـ وكما هو الحال لدى الأمم الواعية على القراءة: كيف يقرؤون؟. . وماذا يقرؤون. .؟ واعتبار هذه العادة مسلكا تربويًّا هامًا لا مناص من تنشئتهم عليه تنشئة خاصة فالثقافة المكينة تنبع من القراءة الحرة الصادقة. وليست محصورة في نطاق المناهج وحسب.

(*) الجزيرة، العدد ٤٨٧٤ في ١٤٠٦/٥/٢٢هـ.

حسن الظن مقدم على سوئه

تعلق في الذهن ـ أحيانا ـ صورة معتمة عن شخص ما، فإذا جمعتك به الأيام، وتعاملت معه، وعرفته عن كثب، سرعان ماتتلاشى تلك الصورة، فيصبح على غير ماكان يوحي به التصور عنه وماكانت تحمله الرواية حول تصرفه ومسلكه.

والفرد في هذه الحياة، مظنة لآراء خاطئة تدور من حوله، وعرضة لمفاهيم مغلوطة يأخذها الآخرون عنه، وقد يكون لسوء التدبير لديه دخل في هذا، أو قد يكون مغبوطا أو محسودا من أطراف ذات هوى، فتدفعهم العاطفة السوداء إلى إلباسه ثوباً ملطخًا بالأدران.

وقد يحدث النقيض تماما، فيبدو السيء في مظهر المستقيم الورع. على أن آفة الأخبار صناعها ورواتها، كما أن آفة الرأي الميل والهوى.

والحكم على الأمور، أو على الأفراد، يجب ألا يصدر عن تسرع وهوج، أو عن عاطفة طائشة.. وإنما بالتروي والتجرد، وعن معايشة ذاتية، وبإعمال عقل.

وإذا كان الناس شهود الله في أرضه ـ كما في الأثر ـ فليس معنى هذا أن نقبل كلامهم على علاته ودون نقاش ومراجعة وتمحيص، فجانب العاطفة لدى البشر يحكم كثيراً من شئونهم.

إلا أن القمين بالمرء الحصيف تقبل كلمة الخير قبل كلمة الشر، فمقالة السوء إلى أربابها أسرع من المنحدر النازل، أما المقالة الطيبة أو السمعة الكريمة، فإنها ـ في الأغلب ـ لا تصل إلى المسامع إلا بشق الأنفس، لكأنما هي تصعد الشواهق في عنتٍ وقسوة!.

وحسن الظن مقدم شرعا على سوئه.. ومن هنا ينبت المجتمع المثالي المتحاب.

وبعد.. فإنه لتتداعى عليك هذه السوانح كلما سمعت شخصاً يُطري آخر أو يقدح فيه.. مصححا مفاهيمه عنه، ملقيا باللائمة على من صوره بغير صورة الواقع.

هذا.. ولـربـما كانت هذه الخاطرة توطئة لموضوع أو موضوعات أود الحديث عنها.. لكن مكانها لن يكون هذه الزاوية المحدودة.

(*) الجزيرة، العدد ٤٨٨١ في ١٤٠٦/٥/٢٩هـ.

الرتابة الإدارية بؤرة للفساد

في نهاية مؤتمر رؤساء البلديات المنعقد قبل أيام، كرَّم وزير الشئون البلدية والقروية اثنين من المهندسين السعوديين الشباب الذين أبت عليهما طبيعتهما الكريمة تناول الرشوة من احدى الشركات الأجنبية.

وقد كان لهذا التكريم المعنوي صداه الحسن لدى هذين الشابين النبيلين.. بل لدى كل مواطن يعنيه بقاء أخلاقيات هذا البلد نقية وعفيفة.

لقد أوحت إليّ هذه الفرصة بعض الخواطر حول هذا الداء الخبيث ـ الرشوة ـ ومع أن انعدام الوعي الوطني وفقدان الوازع الخلقي والديني لدى بعض النفوس هو أمر يخلق ـ بلا شك ـ لدى هذه النفوس مناخا ملائما للانحراف والتطلع إلى الكسب الحرام، فيحيلها فعلاً إلى نفوس ضعيفة آسنة، إلا أن الرتابة المتأنية في الأداء الوظيفي ـ أو مانعبر عنه بالروتين ـ تعطي الرشوة في أحيان كثيرة، منفذاً مأموناً للتسرب من خلاله.. بل هي أحد الأبواب المطروقة التي ينساب من خلالها هذا الداء الوبيل.. أو لنقل إنها البؤرة الحصينة لنشوء الجرثوم ونموه.

ذلك أن الوقت ـ لدى أصحاب الأعمال ـ من ذهب أو هو كالسيف إن لم يقطعوه قطعهم. ولذا فدفع مبلغ زهيد.. بالنسبة لقيمة العمل ـ يهون أمام انتظار مزيد من الوقت. وخاصة متى كان المتعامل مع الإدارة ـ هو الآخر ـ يفتقر إلى المشاعر السلوكية الحميدة. فضلا عن أن دافع الرشوة سوف يتقاضى مقابلها من المستهلك المسكين أضعافا مضاعفة.

والقيود على أساليب العمل في بعض المجالات، والتي قد تجيز ـ مثلا ـ لموظف صغير يفتقر إلى نوازع الخير، سلطة التحكم وعرقلة الأمور، تدفع الآخرين إلى انتهاج هذا المهيع المشين.

لا مراء أن الموضوع يحتاج إلى مناقشة من شتى الجوانب، وإلى دراسة موضوعية

مفصلة . . سعيا وراء استخلاص الحلول التي من شأنها مجابهة هذا الداء مجابهة ايجابية واستئصال جذوره وأساليبه . . وذلك وفق خطة وطنية تقضي - أول ماتقضي - على «بيروقراطية» التفكير الإداري ! .

(*) الجزيرة، العدد ٤٨٨٨ في ١٤٠٦/٦/٦هـ.

النفاق الاجتماعي

النفاق ـ كما نعلم ـ من أقبح الخصال التي خامرت النفس البشرية منذ القدم. وتصل درجة القبح ببعض صوره إلى حد الخروج بصاحبه من معتقده.

بيد أن مانتحدث عنه هنا هو النفاق الاجتماعي، أو الملق الذي يملأ كثيرا من مجتمعاتنا ومجالسنا على نحو تنفر منه الأسماع، وتأباه الطباع، وتمجه العقول، ويعوزه الحياء والذوق، ويكون مدعاة لقلب الواقع وبعث الغرور والخيلاء في النفوس المخدوعة وإيهامها بأنها قد صنعت ماعجز عن صنعه عباقرة الفكر. . وذلك مايورث في النهاية أوخم العواقب على تلك النفوس.

على أنه لا يلام المنافِق ـ بكسر الفاء ـ بقدر مايلام المنافَق ـ بفتحها ـ فالأول بطبيعته شخص انتهازي رخيص رضى هذا الأسلوب ديدناً له ونهجا. . أما الثاني الذي يتقبل النفاق برحابة صدر، وينتشي عجبا وطربا لسماعه، فهو بحكم مقامه ووجاهته، ولأنه في غنى عن أن يتملقه أو ينافقه أحد، فكان الأحرى به نبذ التزلف والمتزلفين.

نحن لا ننكر أن بعض الظروف تستوجب المجاملة. . لكن المجاملة غير النفاق والمخادعة، فالمجاملة ذات حدود مقبولة تجعل منها أمرا مستساغا بل مستحبا.

ألا ما أحوج الواحد منا إلى سماع الكلمة الناقدة. . الناصحة الصادقة تقوم المعوج منه، وتدله على مواطن الخطأ، وتأخذ به إلى الجادة المستقيمة.

ما أحوجه إلى أن يفتح صدره لرأي الآخرين. . دون تبرم. . أو غضب! بل ما أحراه بحثو التراب في وجوه المتزلفين وقد أمرته شريعته الكريمة بذلك.

(*) الجزيرة، العدد ٤٨٩٥ في ١٣/٦/١٤٠٦هـ.

من مآسي الاعلام العربي . .

كانوا مجموعة يتسلون ببعض الألعاب، فقال أحدهم لآخر يجلس في زاوية من المجلس، قريبا من جهاز المذياع: إفتحه فلم يبق على موعد الأخبار سوى دقيقة أو دقيقتين!.

استدار الشخص صوب المذياع وفتحه وأحكم ارساء مؤشر الجهاز لتدق الساعة بها معلنة حلول نشرة الأخبار، فإذا المحطة محطة أجنبية، كأنما الجميع متفقون على أنها الجديرة باستقاء الأخبار منها، فراحوا منصتين ومتابعين.

هذا الاختيار ليس عفويا، وإنما يكاد يكون ـ مع الأسف الأليم ـ موضع اتفاق بين الحاضرين، بل بين الكثيرين في شتى أرجاء الوطن العربي. . مع أن هؤلاء قد يدركون ـ في قرائر أنفسهم ـ أن هذه الاذاعة وانـدادها مشحونة بصنوف الخبث والدس، أو بوضع السم في الدسم ـ كما يقال ـ وأن ادارتها تخضع لتوجيه من عناصر معادية للعرب. . لكن أخاك مكره لا بطل على سماع هذه الاذاعة.

إن العـربي، عنـدما يتجه بسمعه إلى اذاعاته العربية المنبثة، على مدى وطنه الكبير، يجد أن معظمها ـ ولا أقول كلها ـ يفتقر إلى الخبر الموضوعي المجرد، كما يعوزه التحليل المنطقي للأحداث، فيلوي عنقه عنها ـ عبر الأثير الواسع ـ ناشداً الحقيقة والمنطق.

وهنا يقع ـ ودون أن يحس ـ في حبائل التخطيط الإعلامي اللئيم المبطن بأساليب الخداع. . والذي ظاهره الصدق ومن قبله المين والزور!.

وبعد. . ألا ما أشد مأساة الإعلام العربي، وهو يدفع بالسامعين والقارئين ـ في أحوال كثيرة ـ إلى التماس الطمأنينة إلى الأنباء عند سواه!.

(*) الجزيرة، العدد ٤٩٠٢ في ١٤٠٦/٦/٢٠هـ.

العـزاء التجـاري . .

التعـزية في المتـوفى، ومـواساة ذويه، مقصد شرعي وإن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل ما فات.

لكن التعزية ليست مظاهرة إعلامية، يغلب عليها ـ في بعض الأحوال ـ طابع العـلاقـات الحديثة، أو المجاملة والتزلف، أو أية غاية مستترة. . هذه الظاهرة ـ أو المظاهرة ـ ليست من سجايانا كما نعلم جميعا. . بل هي دخيلة على هذا المجتمع ونتيجة لتأثره ببعض العادات الوافدة. ونحن سريعون في التقاط عادات الآخرين دون نظر في الصالح والطالح وتمييزهما.

إن من المستحب إطراء الغائب بما هو أهله. . كما أن من الوفاء ومن الجميل أن يكتب شخص ما كلمة رثاء في عزيز عليه، أو أن يتفتح ذهن شاعر مكلوم عن بعض الصور المعبرة عن أحاسيسه ولوعته وأساه لفقد قريب أو زميل، أو بطل أو زعيم.

أمـا أن ينشر (فلان) من الناس، أو مؤسسة أو شركة، إعلانًا مدفوع الثمن يستغرق صفحة من الجريدة مثلا، فهذا ما لا يُستساغ!.

ثم. . من هو صاحب هذا الإعلان التجاري؟!.

ربـما كان . . ولا أريد أن أكمـل الجملة؛ فالنـاس محاسبـون على حصـائـد ألسنتهم. . على أني على يقـين وثقـة بأن كثيرا من ذوي المصيبة، من أهل الفقيد، يرفضون مثل هذا الأسلوب. . وهم غالبا مايفاجؤون به ـ عبر الصحف ـ على حين غرة ورغم هواهم وارادتهم ويشعرون بالحرج والضيق إزاءه.

إن للعزاء الشرعي حدوداً وصفات، فلنقف عندها، ولنستلهم في هذا شريعتنا السمحة وطبيعة نفوسنا ومادرج عليه مجتمعنا!.

ياليت كل واحد منا يخجل من نفسه قبل أن يخجل من غيره!.
وياليت صاحب الإعلان يدرك أن وراء كل حرف فيه قارئاً يقول: استحِ!.

(*) الجزيرة، العدد ٤٩٠٩ في ١٤٠٦/٦/٢٧هـ.

لنخش عاقبة الترهل العلمي . .

لفت نظري كلام نشر في جريدة تصدر في بلد شقيق مجاور . . يقول : «الذين يعتبون على وزارة التربية لأنها أوقفت البعثات الدراسية مؤقتاً، عليهم أن يتذكروا أن هناك تسعة خريجين عادوا من أمريكا وهم يحملون شهادات تخصص في علم . . الغابات» .

ومن باب العلم، فإن هذا البلد صغير المساحة، قليل السكان، صحراوي المناخ، غير ذي زرع . . وأهله لا يعرفون عن الغابات إلا من خلال الجرائد والتلفاز والرحلات . . أو عن طريق الرواية والسماع أحياناً . . ! .

هذا البلد أنموذج واقعي متكرر لمشكلة الفائض البشري في بعض التخصصات الدراسية التي جاءت ـ دون شك ـ نتيجة لإنعدام التخطيط التعليمي، وهي مشكلة يعاني منها كثير من البلدان اللاهثة وراء أسباب العيش والحياة وما اصطلح على تسميتها بالبلدان النامية أو بدول العالم الثالث .

مثل هؤلاء الذين يحملون شهادات متخصصة في علم الغابات أو في فلسفة أرسطو أو ما أشبههما . . ماذا سيقدمون لبلادهم؟ وأية فائدة تذكر سوف يجنيها وطنهم من وراء تخصصاتهم؟ أليست ضياع المال والجهد . . والعمر؟! .

ثم . . لو أن هؤلاء كانوا حرفيين ذوي صنعة، أليس ذلك أجدى وألصق بحاجة وطنهم ومواطنيهم؟ .

لقد سمعنا الكثير عن بلد عربي كبير يعاني من تضخم في خريجي الجامعات . . حتى لقد اضطر حامل البكالوريوس في الاقتصاد الزراعي أن يعمل قاطع تذاكر في حافلات شركة النقل العام، ولم يجد حامل الليسانس في القانون سوى العمل ندلا (جرسونا) في أحد الفنادق .

وهو وضع نشاز طبعا . . ولا يصح أن يتكرر في أقطار عربية أخرى .

أتمنى ـ صادقاً ـ لو يعاد النظر في السياسات التعليمية العربية بعامة وأتمنى ـ من قلبي ـ لو نستفيد هنا في هذا البلد بخاصة من تجارب الآخرين وأن نتحاشى أخطاءهم وأن نعيد تقـويم واقعنا التعليمي، فإن مانحتاجه هو المتعلم الماهر الذي يجد مكانه الملائم في انتظاره تلقائيا. . وليس تلك الحشود التائهة من المتعلمين والتي تشكل عبئا قومياً ينوء به كاهل الوطن. . فلنخشَ عاقبة هذا الترهل العلمي ـ إن جاز التعبير ـ ولنخشَ عاقبة كثرة الإنتاج. وسوء التوزيع.

(*) الجزيرة، العدد ٤٩١٦ ـ في ١٤٠٦/٧/٥هـ.

ظاهرة تستوقف النظر

وقف خطيب الجمعة أمس، في أحد مساجد الرياض ـ عقب أداء الصلاة ـ ذاكراً أن أحد الأعيان ـ ولم يذكر اسمه طبعا ـ قد أصيب بنكسة مالية.. حتى أصبح مدينا بعشرين مليون ريال.. وقال: إن ذلك قد ثبت شرعا وأنه شخصيًّا يعرف هذا الشخص ويعرف ما آل إليه أمره.. ودعا المصلين إلى مساعدته بما تجود به أريحياتهم وإلى اعطائه شيئًا مما لديهم من صدقة أو زكاة حالَّةٍ الآن أو قرب شهر رمضان.

وكان مشهداً مثيراً للعطف والألم ـ في آن ـ عندما وقف عند كل باب من أبواب المسجد شاب يتلقى النقود من المنصرفين من المسجد. هذا يسلمه ريالاً واحداً، وآخر خمسة ريالات، وثالث عشرة ريالات.. وقليل جدًّا من المنصرفين من جاوز هذا الحد.

والحصيلة تكون مهما بلغت ـ رقماً زهيداً لن يحل مشكلة معسر كهذا. وليس هذا ماوددت قوله؛ فالدنيا عبر، والحياة غير مأمونة النكوص، وكل إنسان معرض لهذا ولما هو أشد منه.

لكني أتوقع أن هناك حالات شبيهة أخرى حدثت أو ستحدث لغيره من إخواننا المواطنين، ممن لم يحسنوا التصرف مع الواقع والمستقبل لإنعدام الدراية والخبرة، أو ممن خُدعوا بالطفرة المادية ـ ولا أقول الاقتصادية ـ التي مرت بالبلاد قبل سنوات، فتعاملوا عشوائيًّا مع الملايين تعاملاً يفتقر إلى النظرة البعيدة وإلى إعمال الحكمة والعقل، فأدّى بهم الأمر إلى مثل هذه الحال.

هي ـ ولا شك ـ ظاهرة تستدعي العَبرة والعِبرة وتستوجب الشفقة والمواساة وتستوقف النظر والبحث.

وهم ـ على أية حال ـ ضحية ظروف يحتار القلم في وصفها.

(*) الجزيرة، العدد ٤٩٢٣ ـ في ١٤٠٦/٧/١٢هـ.

المال عندما يصبح نقمة . .

منذ خُلق الإنسان، وهو مجبول على حب المال، وعلى الاستزادة منه . . وتلك سنة الحياة .

والمال ـ كما نعلم ـ نعمة الحياة الكبرى، وأهل المال دائما مغبوطون، إن لم يكونوا محسودين في أحوال كثيرة .

لكن الذي يجب هو ألاَّ يخرج هذا المال عن حدود الغرض منه، وإلا أصبح نقمة تحل بصاحبه، فتحيله إلى مجرد آلة خرساء تفرِّخ الملايين أو إلى صورة من الحيوانية، منزوعة الاحاسيس والمشاعر النبيلة، عندئذ يتحول الأمر إلى مسغبة أو ضراوة نفسية تملأ عليه كيانه . وهنا مكمن بلائه وشتاته . لا سيما متى كان ذلكم الإنسان يعيش فراغاً فكريًّا في ذاته ويعاني من فقر مدقع في الطباع السلوكية المرغوب فيها وفي القيم الروحية التي تمنحه الطمأنينة والاستقرار . وذلك فراغ مخيف وفقر خبيث يذهب به شتى المذاهب، ويفصم وشائجه الكريمة مع مجتمعه ومع قومه ـ في آخر المطاف ـ فصماً مريعاً . . وبائناً . . ! .

وإن مانسمعه وما نقرؤه عن بعض الأثرياء العرب في بعض مرابعهم ومشاتيهم، في الخارج، لخير مصداق على ذلك .

إن ما يأتيه هؤلاء من تصرفات رعناء مخزية ـ وإنْ كان جزء منها هو مما يدسه الأعداء لتشويه صورة العربي وحقيقته ـ ليحمل النفس على كراهية المال إذا كان سيهوي بصاحبه إلى هذا المنحدر .

على أن مثل هؤلاء ليسوا سوى «أنموذج» شاذ أفرزتهم ظروف معينة وعلى حين غرة من عيون الزمن النائم . . ! .

ألا أين من يستحي . . ؟! وشتان بين مايقدمه أثرياء اليهود في شتى أصقاع العالم من أجل ترسيخ كيان اسرائيل فوق أرضنا ومايفعله قومنا ممن أوتوا بسطة في الرزق والمال ـ ليسوا أهلاً لها ـ فأضاعوها بين المعاطن والأوحال .

(*) الجزيرة، العدد ٤٩٣٠ ـ في ١٤٠٦/٧/١٩هـ .

الأخطاء الطباعية وسواها . .

أشعر بحساسية خاصة تجاه الأخطاء الطباعية، بل إني لأكاد أُصاب بشيء من الاحباط عندما أقرأ مقالاً لي ـ غداة نشره في جريدة أو مجلة ـ فأجده مشحوناً بهذه الأخطاء، حتى لأخجل ساعتها من وجود اسمي مذيلاً به .

والخطأ الطباعي ربما شوّه صورة المقال ومضمونه . . بل ربما عكس المعنى المقصود من بعض العبارات .

وتضايقني ـ بصفة عامة ـ الأخطاء الطباعية والاملائية والنحوية واللغوية التي لا تخلو منها مقالات بعض الكُتّاب ومؤلفاتهم . . سواء كانوا من الشُّداة والناشئين أو من ذوي الأسماء المعروفة . وأحياناً تصرفني هذه الأخطاء عن الاستمرار في قراءة الموضوع حتى آخره .

ولعل هذا الضيق أو الحساسية عائد لتكويني الدراسي ولنشأتي الصحفية الأولى، عندما كان مدرسونا يحاسبوننا على أية هفوة نحوية حساباً عسيراً حتى ولو كان الدرس في غير اللغة العربية، وعندما كان المسؤولون عن التحرير في الجريدة تثور ثائرتهم وتحمر وجوههم خجلاً إذا وقعت الجريدة في شيء من هذا القبيل . . ولم يكونوا يجيزون نشر أي نص حتى يمروا عليه تقويماً وتصحيحاً .

لقد باتت ظاهرة الخطأ ـ على اختلاف صنوفه ـ أمراً مألوفاً . ولست أدري أهذا نتيجة لقلة في عدد المصححين وأن الصحف والمطابع تضن بتوظيف العدد الكافي منهم . . أم ضعف في كفاءة المصحح . . أم تساهل منه وعدم مبالاة، ثم عدم متابعة من رؤسائه؟ أم هو افراط من المصحح في اجتهاده وفي اعتقاده الكفاءة بنفسه عندما يحيل الصحيح إلى خطأ؟! .

على أن الكاتب أو المؤلف يتحمل جانباً أساسيًّا من الخطأ . . فبعض هؤلاء يقدمون المقال أو الكتاب إلى الصحيفة أو المطبعة وهو يعج بعشرات أو مئات الأخطاء .

وهذه حال تستحق الرثاء حقاً.

لكن الأمـر يهون - إلى حد - أمـام الغلطات التي تفيض بها بعض الكتب والمـذكـرات الجـامعية والتي هي بين أيدي أبنـائنـا طلاب الجامعات.. وهي كتب ومذكرات قام بتأليفها أساتذة اجلاء نرباً بهم من الوقوع في أخطاء كتلك!.

(*) الجزيرة، العدد ٤٨٣٧ - في ١٤٠٦/٧/٢٦هـ.

إلامَ الخُلف . . ؟

من يتأمل حال أشقائنا الفلسطينيين، ومايحدث بين بعض زعمائهم وقياداتهم من نفرة وشقاق وتبعيات لا مبرر لها، يصاب بالحسرة والألم، وتكاد أن تستولي عليه حال من اليأس . . ولا يأس من رحمة الله .

أخوة يوشكون أن ينسوا ـ وهم يتصارعون فيما بينهم ـ أن أمامهم عدواً ماكراً لئيما جباراً مستعراً، يرقص طرباً لما هم عليه، ويميس فرحاً لكل قارعة سوء لديهم، فيزيد بهذا من آماله الجشعة، وتتفاقم شراسته وعدوانه .

ولا أحد يدري حقا . . أهذا الواقع المرير الذي يمارسه هؤلاء «الإخوة» هو وليد طبيعة . . كأنما هو استمرار لنظرية العلاّمة ابن خلدون القائلة بأن الشقاق طبع في العرب؟ . . أم هو نتيجة لتخطيط ذكي ومدروس حاكه اعداؤنا لنا حتى صرنا على مانحن عليه؟ أم هو قسوة المحنة وعلى حد قول الشاعر القديم :

يُقضى على المرء في أيام محنتـه حتى يرى حسناً ماليس بالحسن؟!

وعلى أية حال، فلولا الفرقة الفلسطينية خاصة، والفرقة العربية عامة، لما استطاع عدونا أن يصل إلى ما وصل إليه .

مشكلتنا ـ نحن العرب ـ أننا نعطي خلافاتنا الصدر الأرحب من تفكيرنا، ولا نفسح مجالا مناسبا لهاجس العقل عندما يخطر في لحظة من لحظات الصحوة.

ليس أضعف هنا من أن نكرر ماقاله أمير الشعراء شوقي ، قبل ستين عاماً، وهو يدعو زعماء مصر وأحزابها إلى نبذ التناحر والوقوف جبهة متماسكة أمام المحتلين الإنجليز:

إلامَ الخُـلف بينـكـمُ إلامـا؟ وهذي الضجة الكبرى علاما؟
وفـيم يكـيد بعـضـكـم لبعض وتبـدون العـداوة والخصـامـا
وأين ذهـبـتـمُ بالحـق لما ركبتم في قضيتـه الـظلامـا؟
شببتـم بينكم في القـطر ناراً على محتـله كانـت سلامـا
إذا ما راضـهـا بالـعـقـل قوم أجـد لها هوى قوم ضراماً

إن أول سلاح يجب أن يُشهر في وجه اليهود هو الوحدة. وقبل وحدةِ العرب وحدةُ الفلسطينيين أنفسهم.

(*) الجزيرة، العدد ٤٩٥١ ـ في ١٠/٨/١٤٠٦هـ.

بنفسي هذي الأرض!

جاد الغيث ربوع نجد ـ هذا العام ـ مع بداية فصل الحمل. ولقد أمتد مداه واتصلت أيامه، فازدهرت منابت العرار وتمايست مرابع الخزامى، لا تكاد مزنة تغدق فيضَها ـ بعد أن حدتها ريح النعامى ـ حتى يطويها هبوب الصبا، ليظل (الخير) في مد وجزر، ففاضت التلاع مراراً وغصت القيعان بما هو فوق قدرتها.

وفي غضون أيام قلائل، باحت الرمال الصامتة بخباياها، وأفصحت الرياض الوادعة عن مكنون عبيرها وشوقها، فغدت الغبراء خضراء، تكسوها صنوف شتى من أقحوان ونفل وشيح وربلة وسواها، وتملأ أجواءها أفانين من ضوع الشذا وعبق النشوة، ونسائم حالمة من وهج الشوق ولهب الوجد.

وإذا ما ذُكرت (نجد) ذُكر الوجد، فَنَجْدٌ والوجد صنوان منذ أن درج على رباها أعشى قيس وعنترة العبسي، ومنذ حكت الصبا أيام قيس وليلى!.

بيد أنه (وِجْد) يحكمه السمت والعفة والطبع، ويرتبط بأسمى صفات النبل والوفاء والفروسية.

ما أطيب المغنى وقد وشاه الربيع.. وما أزكى الأرض وقد اكتنفتها شكول الطبيعة الحسناء.

إن الربيع في مضانه لوحة صافية من الحسن والجمال والحب.. لوحة تكاد أن تنطق.. ولكنها لو نطقت لفقدت سرها!.

تداعت عليَّ هذه الأحاسيس والذكريات والمشاهد ساعة الأصيل، وأنا في رفقة نفر من الزملاء، في يوم من أيام الربيع الأخضر الطلق، وترنمت ـ في نفسي ـ مع ضمير الشاعر أو الشاعرة ـ فقد نسيت ـ:

بنفسي تلك الأرض ما أجمل الربى ... وما أطيب المصطاف.. والمتربعا..!

ولسان حالي يردد:

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار!

(*) الجزيرة، العدد ٤٩٦٥ ـ في ٢٤/٨/١٤٠٦هـ.

رحلة ممتعة . .

عنّ لي، في اجازة آخر الأسبوع، أن أعود إلى بعض اعداد الصحف التي كانت تصدر قبل خمسة وثلاثين عاما . . فكانت رحلة سياحية ممتعة .

يسترعي انتباهك . في بداية الأمر، تلك النمطية الخاصة في الأسلوب فهو أسلوب بسيط لكنه يرعى حرمة الفصحى ولا يستهين بها . . كما يلفت النظر رتابة الاخراج ومحدودية النظرة إلى الأمور العامة، وقصور التصور أحياناً . لكن الجانب الفكري ـ وأعني به المقالات والقصائد التي ينشرها أدباء تلك الفترة ـ كان أكثره جيداً . . لكنني ابتسمت أمام مقالة استغرقت حيزاً كبيراً ينتقد فيها كاتبها أديباً آخر لأنه استخدم كلمة (سمحاء) بدلاً من (سمحة) عندما قال (. . . وشريعتنا السمحاء) .

وكانت مطالبة القراء عادية، أو هي غاية مايطمحون إليه، فهذا قاريء يناشد البلدية ازالة النتوءات والأحجار والمخلفات التي تسد منفذ الشارع ويرجوها وضع حد لأصوات الكلاب المزعجة في الليل . . ويقول: إن الحناجر قد بُحت والأقلام قد جفت من كثرة المطالبات . وكاتب آخر يطالب بإيجاد (بازان) في طرف الحي الذي يقطنه ليستقي منه السكان .

ومن الأخبار نشر أسماء الناجحين من السنتين الأولى والثانية بإحدى المدارس الإبتدائية ـ وما أقلها! ـ وزيارة أحد الوجهاء للمدرسة الفلانية وتبرعه لها بعشرين دفتراً وعشرين قلما ومائة فرخ من الورق! وخبر عن أحد المواطنين أنه ينوي تكوين فريق رياضي وهو يدعو اخوانه لمساعدته أدبياً ومادياً . وخبر يقول: إنه بُدِيء بتعبيد طريق المدينة ـ جدة وأن الآلات قد شوهدت وهي تمسح الطريق وتسويه وتضغط عليه بأسطواناتها الثقيلة . وهناك قائمة بأسماء بعض المتبرعين لحرب فلسطين وكانت المبالغ متواضعة جدًّا في نظرنا اليوم إلا أنها تنم عن سخاء وغيرة يومذاك . . كما تلمح في جريدة أخرى خبراً عن انعقاد العزم لتأسيس شركة للكهرباء بالرياض .

على أن تلك الصحف كانت تنشر أخبار الحرب الكورية مثلا، واحتدام الخلاف

بين إيران وبـريطانيا بسبب تأميم الأولى للنفط وكـذلك حروب التحرير في المغرب وتونس والأزمات الوزارية في مصر.

وفي مجال الإعـلان، تجد اعـلاناً من البلدية بطلب عشرة أتاريك (فوانيس) لاضاءة البلدة، واعلانا من مديرية الزراعة بتوريد (مكينة) ماء من نوع (رستون) وثالثا من وزارة الصحة لجلب مضخة (دينمو) لأحد المستشفيات ورابعاً بالحاجة إلى عدد من المراوح اليدوية (المهاف).

وبعـد.. فلو توفـر كاتب اليوم لتصـوير الحياة في ذلـك الـوقت، من خلال الصحف لخرج بحصيلة ترشحه لا على الشهادات. ولسوف ينالها بجدارة.. قياسا على شهادات اليوم..!.

(*) الجزيرة، العدد ٤٩٥٨ ـ في ١٧/٨/١٤٠٦هـ.

لنبسط أسلوب هذه الدروس . .

يعـاني أبنـاؤنـا الصغار من مشكلة عويصة عندما يحاولون ـ وهم يستذكرون دروسهم ـ تفهم بعض العبارات الواردة في بعض كتب المقررات المدرسية . . ولا سيما الكتب المؤلفة في المواد الدينية . . كما يعانون من صعوبة في هضم الموضوع من خلال الطريقة التي يتم بها عرضه .

ويحس بعض أولياء أمـور هؤلاء الصغـار ـ وهم يتـابعون المذاكرة معهم ـ أن الأسلوب الـذي كُتبت به تلك المؤلفات لم يعد متمشيا ـ اطلاقا ـ مع مدارك أبنائنا الصغار في زمننا هذا، بل قد يكون هذا الأسلوب حاجزا دون اقتناع فلذات الاكباد بجدوى الاستفادة من الدرس الذي بين أيديهم، وهنا مكمن الخطر! .

إن الأسلوب ـ أي أسلوب ـ وسيلة وليس غاية . . وسيلة إلى تقـريب المعنى وفهمه واستيعابه، وبالتالي تطبيق المضمون وتحقيق الغرض قولا وفعلاً .

والغاية من تدريس هذه المواد هو تحصين ناشئتنا بالعقيدة، وتزويدهم بحصيلة مناسبة من الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات .

وأمام هذا الهدف النبيل يجب أن نبسط الأسلوب الموصل إليه، وأن نقدمه سهلاً ميسراً قريبا من أذهانهم، لنعطي بذلك دعما للسياسة التعليمية للبلاد .

وهنا . . أتمنى لو يعاد النظر في واقع بعض الكتب المدرسية، فيعهد إلى لجنة من ذوي الدراية بأمور العقيدة والشريعة وممن هم على حظ وافر من الأساليب التربوية الحديثة بإعادة صياغة تلك المقررات صياغة تحقق الهدف الذي من أجله جرى تدريس هذه المواد في مدارسنا وتتسم بروح التشويق إلى تلقي الدرس .

ونحسب أن هذا ليس بعسير على همة المسؤولين عن التعليم .

(*) الجزيرة، العدد ٤٩٧٢ ـ في ١٤٠٦/٩/٢هـ.

المواطَنــة

ليس الانتماء إلى الوطن كلاماً يلاك بالألسنة، ولا هو «بطاقة شخصية» أو «تصريح بمزاولة مهنة» تقبع في جيب صاحبها أو في درج سيارته أو مكتبه ولكنه تطبيق عملي محسوس تنم عنه طبيعة تصرفاته وتحكيه سجاياه السلوكية تجاه الناس والحياة.

نحن نقول دائما: «الأفضلية للسعوديين».. وهي قاعدة لا غبار عليها ويجب أن تنال حظها من التأييد والتنفيذ. ولكنها لا تعني أن نقبل من السعودي أداءه على علاته، فإذا أحللنا مواطنا سعودياً محل موظف غير سعودي في وظيفة عامة أو خاصة ـ مثلا ـ فإن واجب هذا السعودي. أمام هذا الحق الطبيعي، أن يكون عند حسن الظن به دائماً، وذلك بأن يهب روحه وجهده ووقته ـ أثناء ساعات الدوام ـ لعمله ليصبح مواطنا سعودياً فعلا.

وإذا قصرنا التجارة على السعوديين ـ وهذا من حقنا ـ فليس من الخلق استغلال هذه الميزة في الظاهر وترك الآخرين ينعمون بها وراء حجاب كثيف من التستر والمصلحة الهزيلة الوقتية العاجلة.

وإذا دعمنا المقاول السعودي ـ وهو واجب ـ من أجل بناء قطاع المقاولات المحلي وجعله في مستوى متطلباتنا التنموية الكبرى ـ فيجب أن يكون هذا المقاول خليقا بما هو مطلوب منه لا أن يصبح مقاولا بالاسم فقط.. لايكاد يُعهد اليه بمهمة ما حتى يدفع بها خلسة إلى المقاول الأجنبي الجاهز دائماً والمتربص خلف الأبواب، فتكون النتيجة في نهاية المطاف أن للمواطن الغُرم وللأجنبي الغُنم!!.

إن المواطَنة ـ بفتح الطاء ـ ليست واجهة بلهاء أو قناعاً يُرتدى عند الحاجة ولا هي «يافطة» من ورق أو خشب وإنما هي عمق في الوجدان وخلق يعيش في الضمير.

إنها في احترام الأنظمة وتمثل الغاية منها أبداً.. كما هي في اعطاء العمل حقه وفي عدم محاولة الافلات من تأدية ماهو مناط بك أو اختلاس جزء من وقت لا تملكه

على أية صورة، فظاهرة التسيب أو «اللامبالاة» قد تنحدر بصاحبها إلى درجة الخيانة في أحيان كثيرة.

ثم هي ـ أي المواطنة ـ في تقديم المصالح العامة على المصالح الذاتية.. كما هي في الحفاظ على سمعة الوطن وأبنائه في الداخل والخارج.

وهـذه الأمور وأمثالها هي جزء من «التربية الوطنية» التي أصبح من الضرورة تنشئة الفرد عليها منذ الصغر وغرسها في روحه غرساً علمياً. وهذا ما يجعلني أتمنى لو تصبح «الـتربية الوطنية» مادة أساسية في مناهجنا الدراسية لتسهم في تنمية الحس الوطني وفي تربية الشعور بالمسؤولية والولاء للواجب والنظام.

(*) الجزيرة، العدد ٤٩٧٩ ـ في ١٤٠٦/٩/٩هـ.

ما أحوجنا إلى النظر بواقعية . . !

يبلغ بنا العتب على الآخرين، والاسراف في نقدهم وتتبع معائبهم ـ أحيانًا ـ حداً قاسياً تضيع عنده كافة المقاييس العقلية والمنطقية.

وعلى العكس من هذا، تذهب بنا مقالة الرضا والاعجاب، واغفال أخطائهم ـ في أحيان أخرى ـ إلى ذلك الحد المفرط أيضاً.

وتكاد النظرة الواقعية، المملوءة بالتفاؤل والمعنية ببلوغ القصد النبيل، تكون مفقودة تماما من أذهان كثير من الناقدين وهم يصدرون الحكم جزافا على هذا أو ذاك.

وإمعان النظر في أمور الحياة وفي الأفراد، والجماعات على سبيل التقويم والمعالجة، يتطلب نفوسا صافية رفيعة كريمة، تطرح الأثرة والأنانية جانبا وتنسلخ من لباس الغيرة والحسد والمصالح الذاتية.

ومن هنا فالتجرد من الهوى أولى سمات الناقد. والحقيقة أنك، وأنت تفند الآخرين وتستعرض هفواتهم وعيوبهم، تلحظ أن تلك الهفوات والعيوب، إنما هي في أشخاص قد انقطع حبل الود بينك وبينهم، بمعنى أن تلك المثالب لا تكاد تبدو لك عند سواهم، مع أن العيب ذاته موجود في أقربائك وأصدقائك أو حتى في نفسك. . بيد أن عين الرضا كليلة عن كل خطأ وأن عين السخط حفية بالقدح المرير والنقد الجارح حتى لتكاد تضيع من أمامها كل صفات الحمد.

نحن في حاجة إلى «الوسطية» دائما. . في حاجة إلى بعث روح العمل في الشخص المقصر ليستأنف مسيرة الحياة. . وفي حاجة إلى نبذ المديح الذي يقتل في النفس أسباب الطموح.

وبعبارة أخرى، نحن في حاجة إلى نظرة نقدية صادقة. . نظرة تقوم على الموضوعية وعلى الحب والصفاء. فتلك أولى مراحل الكمال. . ويجب أن نتيح لها المجال فسيحا.

(*) الجزيرة، العدد ٤٩٩٣ ـ في ١٤٠٦/٩/٢٣هـ.

الذكـرى الغاليـة

تمر الأيام، وتتكرر السنون والأحقاب، وتظل ذكرى اليوم الوطني مصدر بهجة وفخر واعتزاز لنا جميعا . . ! .

ذلك أن ماضياً قائماً أليماً عاشه آباؤنا وأجدادنا، مرت به هذه الديار لا يمكن أن تُمحى صفحاته السود من ذاكرة التاريخ . . ! .

ماضٍ ملؤه الشتات والضياع، والفوضى والهلع، والبؤس والسغب، والجهل والظلام، والعداء المستحكم بين القبيلة والأخرى وبين القرية وجارتها . . أكل الأخضر واليابس، وأعمى الأبصار والبصائر، حتى بات الزمن يتطلع إلى معجزة ما . ! .

وبدأت بشائر المعجزة تلوح في أفق الصحراء منطلقة من الكويت، تقطع الوهاد وتـطوي القفـار، فيُلقي (الستون) فدائيًا ترحالهم في شتاء ليلة قارسة البرد من عام ١٣١٩هـ على مشارف الرياض ليصبحوا وقد بذروا (النواة) الأولى لهذا الكيان الشامخ اليوم .

وتتوالى البذور والغراس، وتستمر عجلة الطموح والكفاح؛ فما أن يمر أقل من نصف قرن حتى يتحقق الحلم، فيصبح نحو أربعة أخماس شبه الجزيرة العربية وقد انتـظمته وحدة عربية متكاملة الجوانب، وهي الفريدة من نوعها في التاريخ العربي الحديث . . وحدة وطيدة الأسس سامقة الذرى، تقف في ثقة واطمئنان أمام تحديات العابثين والحاسدين والحاقدين، وينعم بنوها بالألفة والتئام الشمل وبالازدهار في شتى صوره الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

لقد تفجرت الأرض عن خيراتها وكنوزها تباعا، في ظل الأمن والاستقرار، فأخذ الرخاء ينشر لواءه الوارف على ربوع الوطن، وبدأ منهاج حكيم من التطوير الحضاري يسلك سبيله في كافة حقول الحياة على نحو مذهل حقا .

رحم الله عبدالعزيز . . .

بدأ ملكه بستين، وانتهى إلى الملايين ! .

صنع هذا الكيان الفذ بالإيمان الصادق العميق بربه، وبالصبر الذي لا يعرف المستحيل، وبالعزيمة التي تفل الحديد..

كان موفقاً في خطاه، ملهما في تدبيره، محبوباً من أمته، عَمَرَ مابينه وبين الله وبين شعبه.

ولم يكن جهاده وقفا على هذا الكيان، فقد ناصر الحركات الاستقلالية في البلاد العربية والإسلامية، وشد من أزر نضالها، واحتضن العديد من زعمائها الذين ظلوا في رحابه يوجهون حركات النضال ويحظون من جانبه بالرعاية والدعم.

ومات عبدالعزيز قرين العين والبال، بعد أن اطمأن إلى أن ما صنعه قد بات راسخ الأسس، متين البناء، قوي العماد، وأنه سيظل ـ بعون الله ـ في أيدٍ أمينة، تحافظ عليه وتصونه.

ألا.. فلنقدر مانحن فيه اليوم من الرخاء والاستقرار حق قدره، وليعتبر كل منا نفسه عيناً يقظة تحرس هذا الكيان وتذود عنه.

(*) الجزيرة، في ١٤٠٨/١/٣٠هـ.

هواجس التاريخ بين شعبين

لا أكاد أفتح المذياع القابع بجوار مهجعي، صبيحة يوم من الأيام ـ وعلى مدار ثلث قرن من الزمان ـ حتى أسمع من بين الأخبار خبراً ما عن الأكراد، كشعب يقاتل من أجل الاستقلال، أو على الأصح من أجل الانفصال.

وثمة يسرح بي الذهن بعيداً في آفاق الماضي، إلى ذلك التاريخ الأغر الأفيح الذي جمع بين العرب والأكراد في أبهى صوره.

لكنّ ذهني سرعان ماينقلب حسيراً وحزيناً عندما يعود لواقع اليوم الكئيب!.

وكان مانشرته «الشرق الأوسط» مؤخراً من مقالات وتعقيبات لبعض الكُتاب، حول الأكراد، مناسبة مشجعة لي للإدلاء بدلوي مع الدلاء، وللبوح بما في النفس.. وذلك من منطلق العلاقة التاريخية الحميمة بين الشعبين العزيزين على بعضهما: العرب والأكراد.

والأكراد ـ كما نعرف ـ هم أحد الشعوب التي دخل الإسلام ديارهم في وقت مبكر جدًّا.. منذ عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه.. شأنهم في ذلك شأن الفرس والبربر، فهذه الشعوب (الثلاثة) عريقة الصلة بالعرب.. بامتزاجها الديني والثقافي والاجتماعي معهم.

وبتعاون هذه الشعوب (الأربعة) اكتسحت جحافل الفتح تخوم الصين شرقا وربوع الأندلس غربا.

ثم جاء الأتراك (العثمانيون) ليوطدوا الدعائم القائمة، وليعطوا للإسلام بعداً جغرافياً جديداً في الشمال، في آسيا الصغرى وشرق أوربا، الأمر الذي أوجس الخيفة في أوربا، بل الأمر الذي أيقظها من سبات عميق رنا عليها آلاف السنين، وجعلها تحسب للعمالقة القادمين ألف حساب وحساب.

ولا نريد أن يشتط بنا الحديث حول هذا الجانب، حيث لا نود أن نخرج عن موضوع هواجسنا التاريخية عن العرب والأكراد.. فلندع الحديث عن ذلك إلى مناسبته.

وبصرف النظر عما أشارت إليه بعض المراجع التاريخية بأنهم ـ أي الأكراد ـ من أصل عربي، وأنهم نزحوا ـ في أزمنة سالفة وسابقة للإسلام ـ من الجنوب أي من بلاد العرب إلى حيث ألقوا عصا التسيار في مواطنهم الحالية؛ فإنهم كانوا أصحاب مودةٍ للعرب غالباً ـ ولم يكونوا ذوي نزعة شعوبية.

وكان لهم دور مميز ومشرف في تاريخ العرب والمسلمين، وخاصة في زمن الدولة الأيوبية (الكردية) التي حكمت أجزاء هامة من عالمنا العربي، فكانت بحق دولة (عربية) إسلامية، ولم تُعِر أصلها العرقيّ أي شأن.

ويعني هذا أن الأكراد ـ حتى في أيام مجدهم وسلطانهم ـ كانوا مندمجين في مفهوم ما أسميه بـ «العروبة المسلمة».

ومن نفل القول أن نشير إلى ماقام به ذلك البطل العظيم صلاح الدين بن أيوب الذي قارع الصليبيين، وأنزل بهم الهزائم، وسحق جموعهم وبدّد فلولهم، وأنقذ الله به المسجد الأقصى من براثنهم، وحرر الديار العربية من سطوتهم.

وأسهم الأكراد في خدمة الثقافة العربية، بل إنها كانت هي ثقافتهم، ويكفي أن نشير ـ على سبيل المثال ـ إلى بعض أعلام هذا المجال، كالعلاّمة الموسوعي أحمد تيمور باشا وأمير الشعراء أحمد شوقي والشاعر جميل صدقي الزهاوي وعلاّمة الشام رئيس المجمع العلمي العربي بها (سابقا) محمد كرد علي.. الخ.

ولم ينقل التاريخ أي خلاف ـ ذي بال ـ قد نشب بين الشعبين.. بل كانا شقيقين في السراء والضراء.

وظـل تاريخ الاثنين يسير على وتيرة من الألفة والوئام أحقابا، إلى أن أخذت المفاهيم القومية (الآيديولوجية) الحديثة طريقها إلى بعض الشبان العرب في مستهل القرن الميلادي الحالي.

ولا نبريء بعض الأكراد من ذلك، فقد شغفهم ماشغف رُصَفَاءَهم حيث دبّ دبيب «القوميات» في بعض النفوس، فلعب ببعض المشاعر والعواطف.

وكان هذا الانحراف التاريخي يجري في ظل من السيطرة التركية التي بدأ الوازع القومي (الطوراني) ينخر في عظامها قبل ذلك بفترة على أيدي جماعة الاتحاد والترقي.

وكانت خطط الاستعمار الأوربي الحديث ـ الذي جعل من بلاد العرب إحدى أهدافه الأولى ـ تذكي روح القومية وتنمي الحماسة لها في النفوس، وذلك في منأى عن التراث الروحي للأمة. . تظاهراً بالتخلص من نير القومية التركية التي أصبحت تطفو على السطح من جهة، وتمهيداً لإخلاء الساحة من أي روح للمقاومة تجاه الاستعمار الوافد الجديد.

ولقد كان للأقليات الدينية في بعض الأقطار العربية دور فعال ونشط في تهيئة المناخ العام لتقبل تلك المفاهيم.

أقـول ظل تاريخ العـلاقة بين العرب والأكراد يعيش وفاقا تاماً، حتى هبت عواصف القومية وحتى باتت تسري في دماء الناس سريان النار في الهشيم.

وحـدثت انقـلابـات عربية في الحكم، كانت فلسفتهـا قائمة على التطلعات القومية، وتناست ـ ضمن ماتناست ـ تلك الروابط التاريخية بين العرب وشركائهم في التاريخ.

وعلى الجانب الآخر، وفي نفس الوقت ولنفس الظروف، نبتت حركات تكره العرب وتزدريهم، متناسية أنهم مادة الإسلام الأولى وربابنة الحضارة التي عاش الجميع تحت لوائها وأنهم أصحاب الفضل الأول.

ولم تسعف الذاكرة هؤلاء وأولئك بأن أساس الوئام والوحدة كان في صلبه دينياً.

وفي بلد يمثل الأكراد نحو خمس سكانه، كان للانقلابات الدور الأكبر تأثيراً في توسيع شقة الخلاف والجفوة بين عنصريه، وساهمت أصوات الانقلابات الصارخة المزمجرة، في عنف وصلف، ومن فوق أعلى المنابر وعبر موجات الأثير، ساهمت من حيث تدري أو لا تدري في خلق شعور من القلق والخوف من المصير لدى بعض الأكراد وهم يسمعون تلك الأصوات رافعة الشعار القومي العربي وحده، دون حساب أو اعتبار للآخرين من أبناء شعبهم، فكأنها بهذا قد ألغت وشائج التاريخ والوطنية والدين.

وجيلنا يتذكر جيداً كيف أصبح الجو العام في البلدان العربية قاطبة ولا سيما في الخمسينات والستينات، من هذا القرن، جواً قوميًّا عربيًّا صرفاً، ملتهباً بأتون الحماسة والاندفاع، لا يقيم للدنيا من حوله وزناً، فكان ماكان من عواقب وخيمة ومن نكسات موجعة، سنظل نعاني من آثارها طويلاً.

ولا شك أن الأكراد - وهم يعيشون في ظل ذلك الجو - قد شعروا بمرارة من الخيبة والاحباط في بلد ظل، على مدار السنين، يحتضن أهله جميعا، ويتعايشون فوق ثراه في ود واخاء. بل لقد أدركوا خذلانهم من كافة أشقائهم العرب.. شركائهم في الحضارة والتاريخ.

ولا نقول إنهم على صواب تام في هذا التصور، أو أنهم لم يسهموا أبداً في دفق الزيت على النار.

لكنه - وفي ظل ذلك الجو - نشأت روح من الاستياء ورغبة في الدفاع عن الذات والشخصية، فكان ذلك التمرد الذي انتهى إلى حمل السلاح والذي كان الكارهون له - فيما نحسب - هم العرب والأكراد على حد سواء.

وهو تمرد وجدت فيه بعض الرموز الكردية منفذاً لبسط زعامتها ونشر أفكارها، فحملت راية العصيان وتقدمت صفوف المطالبين بالانفصال.

وصادف هذا التمرد هوى دفينا لدى بعض الجيران، فساندوه ـ إنْ خفية وإنْ علناً ـ.

كما صادف هوى تاريخيًّا مشحوناً بالجشع والحقد من الأعداء البعيدين الذين تعهدوه بالمال والسلاح والدعاية.. منتهجين في ذلك أسلوباً يجعل الأطراف المتنازعة تشعر دائماً بحاجتها إليهم.

وهكذا تداخلت شتى الأسباب والأغراض في الأمر، فعاش الأكراد مايزيد عن ثلاثة عقود من الزمن في محن عاتية قاسية من الترويع والتشتيت وتحت سماء حرب شأماء ظلت تراوح مكانها.

وعلى مدى هذا العمر أيضاً، عاش ذلك البلد بأجمعه مسلسلاً رهيباً من الحركات الدموية، وقلقاً أمنياً مضنياً، واستنزافاً لموارده البشرية والمادية.

ولم ينل الطرفان أية غاية. وأدهى مافي الأمر وأشده مضاضة أن العلاقة الجديدة بين (الشقيقين) قد دخلت التاريخ من أوسع دروبه بل من أكثرها وحشة.

وهذه هي الحسرة.. بل النكبة بعينها.

وبعـــد..

فإن أي مخلص لا يملك ـ اليوم ـ إلا أن يسأل الله، أن يمنح عقلاء العرب وعقلاء الأكراد الشجاعة النفسية الصادقة، ليعيدوا لتاريخهم نصاعته ورونقه وصفاءه، فإن واقع الشعبين الأليم يناشدهما أن يكونا جبهة واحدة صامدة ازاء مايراد لهما من ضعف وضعة وفرقة، وليُسهما معاً ـ كما أسهما من قبل ـ في صنع ذلك التاريخ الأفيح من جديد.

ولرب قائل يقول: وأين هو «العقل» اليوم..؟!.

(*) الشرق الأوسط، في ١٠/١١/١٤١٢هـ.

حديث عابر عن الماء . .

رن جرس الهاتف، ذات صباح باكر، في المنزل، فجرى إليّ أحد الأبناء يُعلمني بأن فلانا ـ وأسماه ـ يريدني على الهاتف.

و (فلان) هذا صديق عمر، وقد عايشنا معاً تطور الرياض الحديثة. وبعد تبادل عبارات السلام والمجاملة المألوفة والسؤال عن الحال والأخبار بالأسلوب المعهود لدينا من التكرار والترداد، شكا إليّ الصديق توقف الماء عن دارته منذ مغرب أمس.

وصديقي يعرف بطبيعة الحال، أنني لم يعد لي علاقة مباشرة بالأمر، فكأنه بهذا يأمل مني في تلميح أن أهاتف أحد المسؤولين في الجهة المعنية للنظر في شأنه وعلاجه.

ذكرت له ـ بدايةً ـ أن توقف الماء عنه لم يكن ـ وحسب قوله ـ إلا لفترة وجيزة جدًّا. . ولربما كان لسبب طارىء يحدث في أي وقت. . بل ربما يكون هو نفسه سبب التوقف، فهناك حالات مشابهة كثيرة تقع يوميًّا. وأشرت إلى أن بالمنزل ـ كما أعلم ـ خزاناً للماء تحت الأرض وآخر فوق السطح وأنهما يحويان عشرات الأمتار المكعبة من الماء.

لكنه استدرك عليّ بأن بعض مرافق المنزل تتلقى حاجتها من الماء من أنابيب الشبكة العامة مباشرة، أي دون مرور بالخزانين، وضرب مثلا بالنافورة التي بمقدمة المنزل وبالمكيف الصحراوي في غرفة السائق.

وهنا حلا لي أن أداعبه قليلاً، وأن أذكره بما كانت عليه حالنا جميعا منذ حوالي خمسين عاما خلت، ذكرته بذلك فاستهواه الحديث من أول وهلة. . ذكّرته بتلك الأيام الخوالي. ذكرته «بابن عبيد» و «ابن صياح» وغيرهما من السقائين في مدينة الرياض. لقد كانوا «يزعبون» الماء ـ أي يمتحونه ـ من أعماق الآبار بواسطة الدلاء منذ ساعات السحر الأولى وحتى غروب الشمس، ويحملونه في القرب ـ جمع قربة ـ على ظهورهم إلى البيوت ـ وذكرته بحال بعض النسوة الباحثات عن الرزق الحلال كي يُقمن أود

صغارهن الأيتام، وهن يحملن (سحال) الماء فوق رؤوسهن ـ غاديات رائحات ـ إلى بعض البيوت أيضاً.

وذلك طبعاً لقاء أجرة قد لا تتجاوز ريالا فضيا واحداً يتقاضونه من رب المنزل في الشهر، وأحياناً لقاء كمية من التمر أو البر أو الذرة يحصلون عليها في موسمي صرام النخل وحصاد الحبوب عندما يكون أهل البيت من ذوي الحرث والغرس. وفي هذا معاش كريم لهؤلاء السقائين يمكنهم من خزن مؤونة العام.

وكان السقاؤون يفرغون قربهم في (سحال) من المعدن الصلب أو النحاس، موضوعة في دهليز (مُجَبَّب) الدار عادة. وتسمى الواحدة منها (مركاة) ولا يعدو محتواها من الماء ثلاثين لترا، وهي بمثابة خزان الماء المنزلي في مصطلح اليوم.

والمنزل الصغير يستهلك في المعدل قربة واحدة، أما المنزل المتوسط فيستهلك قربتين. وأما البيوت الكبيرة فقد تحتاج إلى أكثر من هذا القدر.

وهـذا الاستهلاك يشمل الشرب والغسل والطهي وسواها. وبعض الموسرين يستعـذبـون المـاء، فيجلبونه من الضواحي الملتفة حول الديرة مثل عليشة والجوفاء وصياح والباطن.

وكثيراً مايضم المسكن الواحد ـ على تواضعه ـ عدداً غير قليل من أفراد الأسرة: الجد والجدة والأبناء وزوجاتهم والأحفاد.

وعـلى بعضَ أفـراد الأسرة، ممن يريد الاستحمام، أن يذهب إلى أقرب بئر ـ وتسمى القليب أو الـركية ـ وسيجـد هناك من يبادله التعاون في متح الماء وصبه في (القرو) لينساب فوق الرأس والجسم.

وكان في الرياض عدد من القلبان من أشهرها قليب «دخنة» التي بإمكان مجموعة من السقائين متح الماء منها في آن واحد، فقد كان لها ـ على ما أتذكر ـ اثنا عشر فرعاً،

فهي قد تشبه «هداج تيماء» من بعض الوجوه.

وهناك من القلبان أو الركايا: رُكية «الهندي» و «حمدانه» و «فيصلة» و «شديّة» و «عيدة» وغيرها.. وهي منسوبة لأصحابها الذين أقاموها وأوقفوها لوجه الله، أو لمن أوكل إليهم أمر الاهتمام بها ورعايتها.

ومياه هذه الآبار ليست في حالة صالحة للشرب تماما. لكن الناس يشربون منها في رضا وحمد وشكر.

ولربما وقع بها صغار بعض الحيوانات الأليفة، فيتطوع أحد المحتسبين للنزول إلى قاع البئر ويستخرج مابها. ومن ثم يستأنف السقاؤون متح الماء منها وكأنّ شيئا لم يكن. ولعل الناس جميعا كانوا في حالة تحدٍ طبيعي مع أعتى الملوثات!.

وإذا هطلت الأمطار، فإن من المناظر المألوفة أن تجد بعض أصحاب الدور يضع آنيته تحت مساقط مياه المرازيم (الميازيب) لتلقي المياه واستخدامها لبعض الأغراض بعد أن يتركوها فترة من الوقت ليترسب مابها من عوالق طينية.

ليست هذه الصورة التي حكيتها ضرباً من الخيال الجانح، ولا هي هزلية (كاريكاتورية) ولكنها حقيقية. يعرفها جيلنا ـ أنا وصديقي ـ ومن سبقنا من أجيال.

وتفتحت أسارير صديقي القديم ـ من خلال نبرات صوته طبعا ـ لهذا الاسترسال عن حال الماء والناس في الماضي، وانقشعت عنه بقايا نعاس وتثاؤب، قائلاً: يازينها من أيام ـ أي ما أحلاها ـ وقد شاركني الرأي والعذر ـ والعذر عند كرام الناس مقبول ـ لكن صديقي تمنى لو يعود الماء المتوقف منذ مغرب أمس إلى مجاريه سريعاً، فأكدت له بأن المختصين بالأمر هم أشد حرصاً منه على ذلك وعلى اعادة الحياة إلى المكيف الصحراوي في غرفة السيد السائق.

وماكدت أضع سماعة الهاتف، حتى كانت بعض صحف ذلك اليوم تمثل

أمامي ، وإذا بي أقرأ في احداها تحذيراً لمنظمة الأغذية والزراعة الدولية من تفاقم مشكلة ندرة المياه في البلاد العربية ، وبعد فراغي من قراءة ذلك قلت في نفسي : إذا كانت هذه هي الحال في بعض البلاد العربية التي تشقها الأنهار طولاً وعرضا ويسمح مناخها بهطول قدر مناسب من الأمطار من وقت لآخر من كل عام ، فما بال حالنا نحن في صحراء الجزيرة العربية حيث لا أنهار جارية ولا أمطار كافية ولا مناخ معتدلا يخفف من عبء الاستهلاك المذهل للماء؟ وإنما نحن أمام ثروة ثمينة مخزونة في باطن الأرض منذ آلاف السنين أو ملايينها نستخرجها إلى ظاهر الأرض في شرهٍ وصلف كأنما نحن مُسلَّطون عليها ! .

وكما هو معلوم ، فإن أي مخزون ، محدود الكمية مهما كان مقداره ، وهو في سبيله إلى النفاد يوما إذا لم يسعفه مدد أو لم يجر تعويض المستنفد منه بجديد .

وثمة بدت لي الصورة كالحة ومعتمة وحزينة ! .

على أني لن أناقش الأمر هنا من جانب علمي جيولوجي ، فلست بصاحب اختصاص . . لكن الموضوع يشغل بال المخلصين دائما ويقلق هواجسهم ويمثل جانبا من همومهم وشجونهم تجاه الأجيال القادمة .

فياليتنا نسمع رأي المختصين والمسؤولين معا ، في ظل ندوة أو ندوات علمية مفتوحة ، لنخلص في النهاية إلى صورة واضحة وقاطعة بشأن مستقبل الماء في بلادنا على ضوء النزح الحالي للماء ، وخاصة في مجال الاستخدام الزراعي .

هذا جانب من الموضوع .

أما الجانب الآخر ، فإنني أتطلع هنا من زاوية حادة جدًّا وأنا أرى هذا الكم الهائل من الماء الذي يتم ضخه يوميًّا إلى مدينة الرياض ـ مثلا ـ أو إلى سواها من مدن المملكة الأخرى وقراها سواء من محطات إعذاب مياه البحر على الساحلين الغربي والشرقي أو من المصادر الجوفية في شتى أصقاع البلاد . ولو تم توزيع هذا الناتج حسابيا على السكان لوجدنا أن الفرد يستهلك في يومه الواحد أكثر من حاجته الفعلية

أضعافا. وهذه الزيادة في الاستهلاك هي ـ في الأغلب ـ نتيجة لفقدان وازع تربوي أو مايعبر عنه بالوعي الاستهلاكي.

إن الكثيرين من مستهلكي المياه، وعلى اختلاف فئاتهم، يمارسون حالة مؤسفة من «اللامبالاة» وقد تكون من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ومع هذا فهم يولولون ويصرخون عندما يرون (فاتورة) الماء عالية القيمة وينحون باللائمة والعتب على مصدر الفاتورة متناسين أنهم أنفسهم مصدر الفاتورة الحقيقي.

إن مستهلك الماء مطالب بالاستخدام الأمثل له.

(*) الجزيرة، العدد ٧١٨٥ ـ في ١٤١٢/١١/٢٩هـ.

أهي فلسفة في الصمت . . ؟

سألت صديقي يوما عن سر أمره، وهو يلوذ بالسكوت أحيانا، بل عن سر انقباض نفسه عندما يكون في بعض المجالس الخاصة أو العامة، حيث تختلط أطراف الحديث اختلاطا يوحي باضطراب الآراء، فيصبح النقاش خوضا في التفاهات، بل ضربا من الهرج والمرج، وحيث يصر كل واحد على أن تكون وجهة نظره هي المسموعة بل وأن تكون محل الرضا والقبول! .

وقلت له: إني أراك ـ في هذه الأثناء ـ شغوفاً بتفحص الوجوه المتحدثة، كَلِفاً بمراقبة حركات عضلاتها، حفيا برصد ما قد يبدو من غمز أو لمز. . ثم أراك ـ بعد هذا ـ وكأنك تعيش هاجسا متألما ساخراً في آن .

وقلت لصديقي: إن السكوت منافٍ لطبيعة النفس البشرية، وضربت له على هذا مثلا ببدء حياة المرء وخاتمتها، فهي تبدأ بصرخة الوليد ساعة خروجه من رحم أمه وتنطوي بسكتة أبدية هاجعة. وهو ـ أي الإنسان ـ يلمؤ الدنيا من حوله كلاما وضجيجا طيلة حياته، فيمتزج فيها الحسن والقبيح، والجد والهزل، والغناء والنواح، فلسانه رطب دائما لا يكاد يجف ولا يكاد يكلّ من تلاحق الحروف والكلمات والأصوات على مدى العمر، ولربما كان المرء في حقيقته يخشى (الصمت) أكثر مما يخشى (الصوت) . . وما الهمهمات التي تصدر منه في خلوته أحيانا، أي بينه وبين نفسه، إلا دفاعا لا شعوريا تجاه وحشة الصمت . . وهو في أحيان أخرى سرعان مايحس بالحرج والضيق والضآلة لو أن جليسه أمسك عن الحديث دقيقة واحدة .

ولاحظت على صديقي أيضا، وهو في مثل تلك المجالس، ولا سيما عندما يجد نفسه مضطرا للحديث، أنه ينحرف بحديثه، بطريقة أو بأخرى، إلى موضوعات جانبية كأن يفتعل موضوعا يلهي به اكثرية الحاضرين قليلا، فهو قد يشير مثلا إلى حالة الطقس المفاجئة ليلة البارحة في الرياض، أو إلى العواصف التي اجتاحت بعض بلدان أمريكا الجنوبية، أو إلى نبأ اطلاق سراح بعض الرهائن الغربيين لدى جماعات الارهاب، ولم ينس أن يذكر أن اليوم ـ وهو الحادي والعشرون من شهر حزيران ـ هو

أطـول نهار في السنـة في نصف الكـرة الأرضية الشمالي، وأن موعد جني الرطب في الاحساء سيكون بعد شهر من الآن. !

ولم يشـأ صديقي أن يجيب على استفسـاري منه من فوره، ولكنه آثر الجواب لحينه، فلعله كان يتحين فرصة ملائمة للإجابة. وقد سنحت له ذات ليلة في مناسبة جمعتني معه. وعندها هامسني الصديق ـ وقد كاد فمه يفترس أذني ـ قائلاً: تمعن فيمن حولنا.. إن منهم من يقهقه ضاحكا بدون مبرر موجب وإنما لأن (فلانا) قد تفضل فضحك قليلا.. وأن منهم من يهز رأسه ورقبته في كافة الاتجاهات حتى ليكاد (عقاله) يقع ازاء نعليه اعجابا بحديث (فلان) الذي لم يكن حديثه في الواقع ولا في مفاهيم البداهة ومقاييس الذوق يعجب عاقلا أو نصف عاقل بل ولا نصف مجنون.. وإن منهم من يحاول في تكلف واصطناع إعطاء الدليل والبرهان على أن رأي (أبي جهل) هو عين الصواب.. وهكذا يطفح الكيل ـ والكلام لصديقي ـ في سوق المجاملة، بل هكذا تسير الحياة في عالم يعاني من نفسه ومن نقصه قبل معاناته من أي شيء آخر.

لقد برم الصديق بمن حوله فلاذ بصمته الكريم!.

أجل.. إن الصمت حكمة.. وما أقل فاعليه!.

البطولـة والأبطـال

البطل ـ كما هو معروف أزلاً وأبداً ـ هو ذلك الشجاع الجريء الشهم، أو هو ذلك (الأنموذج) الأسطوري الذي يتفانى في سبيل مايؤمن به من فكر ومبدأ وعقيدة، فيأتي بما يشبه الخوارق والمعجزات وبما يبعث على شد الانتباه وعلى الاكبار والاعزاز، فهو يندفع إلى مضامير النزال اندفاعا تغاب معه كل اعتبارات الحياة، ويجود بنفسه في سخاء نادر ساعة يحمي وطيس الحرب.

ويصحب ذلـك الاقـدام عادةً سدادٌ في الـرأي وحنكـة في التدبير وبراعة في التصرف المناسب عند الحاجة.

فالبطل إذن رمز مهيأ لتغيير مجريات التاريخ البشري في مختلف أوجهه الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية.

ولقد حفل هذا التاريخ ـ على طول آماده ـ بصور خالدة مُثلى من البطولة وبرموز انسانية فذة من الأبطال الصناديد، فكان هؤلاء الرموز وكانت تلك الصور معالم بارزة على مشارف الدهور وفوق قمم الحضارات الإنسانية لا يمكن أن تُمحى من ذاكرة الأيام.

ويجدر أن يُذكر ـ في مجال تاريخنا العربي الإسلامي ـ بطل الأبطال والمثل الأعلى للبطولة ومُغيِّر وجه التاريخ في العالم قاطبة الرسول الكريم محمد بن عبدالله، ﷺ، وأن تُذكر صور الفداء المتناهي والاستبسال الأغر لمواكب المجاهدين الميامين في أيام بدر وأُحد واليرموك والقادسية ونهاوند وفتوحات السند والأندلس والقسطنطينية، وأن يُذكر ـ في اجلال ـ أولئك العظماء الخالدين الذين أعلوا بيارق الحق والهدى تخفق فوق هام الدنيا من أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد ابن أبي وقاص ومحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم ونصر بن سيار والمهلب بن أبي صفرة وموسى بن نصير وطارق بن زياد والملك العظيم عبدالعزيز آل سعود وعمر المختار.

كما يجدر أن يُذكر ـ في مجال التاريخ العالمي الحديث ـ بعض من انتشلوا شعوبهم من بؤر الضياع والهلاك مثل أبي الصين الكبير صن يان صن، وبعض من قادوا معارك العصر الكبرى في حروبه الشاملة أمثال مونتجمري ومارك آرثر وايزنهاور وروميل وديجول.

إن الأبطال ـ من هؤلاء ومن غيرهم المجهولين ـ نماذج شامخة للبطولة والشجاعة والتعلق المطلق بقضاياهم ـ أيًّا كان لونها ـ والتفاني في سبيل الدفاع عن حياضها.

لقد كان الفوز والظفر حظ هؤلاء الأبطال على الأغلب. وقد دخلوا التاريخ من أبوابه العريضة المجيدة.

كما كانت بطولاتهم ـ وستظل كذلك ـ أمثولة حية راقية للنفس البشرية الشجاعة في مجالات الواقع للحياة الجادة التي تبحث عن الأفضل.

ومن جانب آخر، كانت البطولة بحقٍ مصدر ايحاء والهام لكثير من فطاحلة الشعراء، رددوا صداها في صور بارعة من الفخر والحماسة والتغني بالفروسية، على نحو مانجده عند الفند الزماني وعمرو بن كلثوم وأبي فراس الحمداني وعلي بن مقرب العيوني وأحمد شوقي، وعلى نحو مانجده في بعض الملاحم الفارسية والاغريقية، والغربية بوجه عام، بل في بعض القصص العربية الاسطورية كسيرة عنتر بن شداد وأبي زيد الهلالي.

هكذا استقر مفهوم البطولة في الأذهان أحقابا وأحقابا.. وهكذا احتل البطل الموقع الأسمى في دنيا البشرية، أو على الأقل في دنيانا نحن العرب.

كان البطل تاجا فوق مفرق المجد وشارة عند مفترق الزمن.. يقوم له التاريخ ويقعد، وتُصنع الأحداث بعزيمة ساعديه، فتُطوى صفحات وتفتح صفحات.

* * *

لكن مفهوم كلمتي البطل والبطولة عندنا قد انحرف عن مساره اللغوي

والوجداني والعرفي انحرافا مهينا محزنا، فلم تعد الكلمتان تعبران عن النضال أو المعترك الجوهري في حياة الإنسان، بل إنهما أصبحتا تعبيراً عن هامش الحياة أكثر من متنها ولبها.

ولعل ماحدث ـ وهذا حسن ظن منا ـ إنما كان بتأثير الترجمة الحرفية لهاتين الكلمتين إلى لغتنا من بعض اللغات الأخرى، ولربما كان مفهومها لدى الأمم الأخرى يأخذ مفهوماً موسعا بخلاف ماهي عليه الحال في لغتنا العربية وفي مفهومنا العربي والتاريخي والتقليدي.

لقد شاع استعمال الكلمتين في ميادين الهزل والترفيه والتمثيل والرياضة، فصرنا منذ سنوات ليست بقليلة، نسمع ـ حتى كدنا نألف ذلك ـ ببطلٍ لكرة القدم، وبطل للدوري أو للكأس، وبطل للمسرحية أو الرواية والقصة، وبطل لمصارعة الثيران، وبطل في سباق الأرانب أو الكلاب، وبطل لفنون الصفاقة والتهريج!.

وتلك مصطلحات حديثة، مصطنعة وافدة، يأباها فكرنا، وليس لقواميسنا اللغوية ومعاجمنا الموسوعية عهد بها أبداً، ولم تكن مفاهيمنا الاجتماعية لتقبل بها أو لتستوعبها وتهضمها، بل إنها مرفوضة من الذوق العربي ذاته، وليس لها موقع في طبيعة العربي، ومن اليسير ـ بل من الأولى ـ أن نُصفي على أربابها صفات مناسبة ليست صفتا البطولة والبطل من بينها على أية حال. وإن في مصطلحات التعابير العربية ـ وهي كثيرة بحمد الله ـ ما يُسعفنا بالصفة الملائمة لهذا الغرض وأضرابه!.

الوساطـــة

أثـار انتباهي مقال لكاتب من كُتّابنا المرموقين، نشره بإحدى صحفنا، حول شيوع (الوساطة) في المجتمع. وكان مدار المقال أن الوساطة إذا لم تلحق ضرراً بفرد من أفراد المجتمع فقد تكون مقبولة وحسنة، ودون أن يُعطي الجوانب السلبية للوساطة - وهي جوانب كثيرة وخطيرة - أي لفتة أو اعتبار.

ومع أن الحديث عن الوساطة هو في عداد الأحاديث المعادة والمكرورة - وما أكثر المعاد في حياة الناس! - إلا أنه، على أية حال، حديث يستوجب النقاش والأخذ والرد على مدار الأيام وخاصة في بلدان لا ينقطع فيها شأن الوساطة - حديثاً وتأثيراً - كأنما الوساطة أصبحت لازمة تكتنف الحياة في شتى صورها ومناحيها.

وذلك أنه في مجتمعات كالمجتمعات العربية والشرقية المثقلة بمشكلاتها وهمومها وعقدها، تعاني الحياة من تجمد في سيرها الطبيعي، فتنشط حركة الوساطة من طرف آخر لمواجهة تلك الحال، ويصبح لها سوق رائجة في كل مجال، بل وتعصف بما قد يواجهها من ضوابط تنظيمية أو من أعراف أو شريعة، فتلقى بكل ذلك في قارعة النسيان أو العبث، فيزداد الواقع سوءًا!.

ولو كانت الوساطة من قبيل (الشفاعة) المشروعة لكانت محل نظر وتقدير، لأنها إنما جاءت لرفع ظُلامة مثلاً، فالظلامة تعني تحدي الأعراف والقوانين. وقد جاء في الأثر: اشفعوا تؤجروا.

لكن الشفاعة إذا أدت إلى الاستهتار بالواجبات وصفع القيم وانتهاك الشرائع والقوانين، فإن شأنها عندئذ شأن آخر. وأكثر ماتعاني منه الأمم المتخلفة حضاريًّا هو من هذا القبيل، وبهذا تهدم الوساطة المصالح العامة والمرسلة ليقوم على أنقاضها مصالح ذاتية محضة، فيعم البلاء والسخط.

إن الوساطة تسعد فردًا وتغضب الملايين.. تجبر خاطراً واحداً وتدع القلوب

الكبيرة العاقلة تعيش في هاجس من القلق والأسى والحسرة، وفي حالٍ من فقدان الثقة بمن حولها وبما يدور في دنياها.

إذن، فالـوسـاطة ـ في شتى صورها ـ يجب أن تكون موضع رفض واستنكار ومقت، وعلى كل كاتب غيور أن يجعل من قلمه سلاحاً يشهره في وجهها.

هذا من جانب. ومن الجـانب الآخر فإن الموضوع الأحرى بالنقاش وبعناية الكتاب والباحثين هو معالجة موجبات الحاجة للوساطة وللواسطة.. أي دراسة حالة المناخ الذي تنمو في ظله جرثومة الوساطة لتكبر مع الأيام فتصبح أخطبوطاً، أو بعبارة أخرى: مراكز قوى متناثرة على سطح الحياة العامة.

وهذا المناخ لا يعني في الحقيقة سوى فقدان الوعي أي انعدام الوازع الذاتي والوطني والروحي، مما يؤدي بصاحبه إلى أن يعيش واقعاً مستهيناً بكافة القيم ومستخفاً بما يعلمه ومالا يعلمه من شرع ونظام.

ولو انتظمت الأمور في مساراتها الطبيعية، وسادت روح الولاء للواجب، وأخذ النظام حقه من الاعتبار، لما احتاج أحد إلى من يتوسط له.

إن النفوس تفتقر إلى تربية في الصميم أولاً، وهذا ما يجب أن يسعى إلى علاجه الكُتّاب والخطباء وأصحاب الرأي بوسائلهم التي نعتقد أنها وسائل فعّالة عندما تصح النية لديهم.

الفهـــرس

صفحة

هذه الكلمات ٥
الإهـــداء ٧
مفهوم النقد ٨
كانت هذه الربوع ١٠
ماذا يثيره العيد؟ ١٤
فلنجابه الحياة بمرونة ١٦
نجاح أي مشروع يتوقف بكليته على جودة التخطيط له ٢٠
صـــورة ٢٣
التوقيت العربي الصحيح هو توقيت الزوال ٢٤
العاطفة تحكم علاقاتنا ببعض ٢٦
لمن يكتب الكاتب؟ ٢٧
نحن والمسؤولية ٢٩
طريق الغد ٣١
لنكن عند هذه الدعوة ٣٣
لماذا كل هذا الصمت . . ؟ ٣٥
تطوير السياحة في بلادنا ٣٦
لماذا نضيق بالنقد؟ ٣٨
مسؤولية القلم ٤٠
كيف السبيل لتطوير البادية ٤٢
هؤلاء . . ما مكانهم من المجتمع . . ؟ ٤٤
هل نجحت صحافة المؤسسات . . ؟ ٤٥
نقاش لا يحسن ٤٧
عرس الرياض ٤٨
عن الصحافة . . أيضا ٥٠
ديوان للتفتيش ٥٢
تقسيماتنا الإدارية ٥٣

صفحة

فكرة جميلة . . ولكن ٥٤
عود على بدء ٥٥
مهلاً يا هؤلاء . . ! ٥٦
معاضدة الفلاح ٥٨
السعـــادة ٦٠
مرارة الحقيقة ٦٢
بين الكاتب والقارىء ٦٤
الإسراف في المشاعر ٦٥
المادح والقادح ٦٦
حياة جامدة ٦٧
الإخـــلاص ٦٧
وأنا ويش دخلني . . ؟! ٧٠
اتقاء المذمة ٧٢
التجرد من الهوى ٧٤
بين التسرع والتردي ٧٥
رضا الناس ٧٦
لنضع حداً لهذا ٧٧
الناس للناس ٧٨
كلام لا طائل منه ٧٩
حماية الذوق ٨٠
التروي عند الحكم على الآخرين ٨١
الحنين إلى النفس ٨٢
تعليق على حكمة ٨٣
الشجرة الصريعة ٨٤
الريحاني . . الناقد الاجتماعي ٨٦
هذه اللهجات ٨٧
عن الزواج المبكر ٨٨

صفحة

لو عاشوا بسلام! ٨٩
الجهود الإعلامية العربية ٩١
أي عيد؟! ٩٢
ما أحوج العرب إلى إعلام يبرز معالم قضيتهم! ٩٦
التقاء الشرق والغرب ضدنا ٩٩
الصهيونية . . وهل من فرق بينها وبين اليهودية؟ ١٠١
العاطفة النشاز ١٠٤
هل هي شهوة كلام؟ ١٠٦
لكي لا يضيع جانب من تاريخنا ١٠٨
معسكرات عمل للشباب ١١٠
القلق وشباب العصر ١١٢
مشكلة تبحث عن حل ١١٤
بين الناقد والمنقود ١١٦
الأصوات النافرة ١١٨
إلى مذيعينا ١١٩
الهوى الضال ١٢١
المغرمون بالمظاهر والقشور ١٢٢
وقفة تاريخية ١٢٤
رأي . . للعرض ١٢٦
لكي يؤدي الإعلام دوره ١٢٨
طغيان الفكر المادي ١٣١
إعادة نظر في الأنظمة ١٣٢
عتاب القلم ١٣٤
تهيب ١٣٦
تقويم نظام الامتحانات ١٣٧
الانفعال السريع ١٣٨
مقاولات البناء الصغيرة ١٣٩

صفحة

منطق المصالح ١٤٠
إرضاء الآخرين ١٤١
في موسم الخير ١٤٢
مراجعة النفس ١٤٣
المـــاء ١٤٤
سلبية يجب أن تزول ١٤٧
نشر التراث ١٤٨
مسلك الكاتب ١٤٩
اقتراح عابر ١٥٠
عن السياسة الإسكانية ١٥١
عتاب خاص ١٥٢
لا ضرر. . ولا ضرار ١٥٣
حول الطرق ١٥٤
شباب جزوع ١٥٥
وجهة نظر عابرة ١٥٦
ليتنا نعي الحقيقة أيها العرب ١٦٣
تأملات في الواقع العربي ١٦٩
عن الحج والحجاج ١٧٤
ضوابط لا بد منها ١٧٦
الرياض الخضراء ١٧٨
مثالية السلوك ١٧٩
لكي لا نلقي القول على عواهنه ١٨٠
وماذ أقول. . ؟ ١٨٢
وماذا في الأخبار؟ ١٨٤
أما البيت فله رب يحميه ١٨٤
منهاج خاطىء ١٨٦
نريد قراء. . لا متحدثين ١٨٨

صفحة

حسن الظن مقدم على سوئه ١٨٩
الرتابة الإدارية بؤرة للفساد ١٩١
النفاق الاجتماعي ١٩٣
من مآسي الإعلام العربي ١٩٤
العزاء التجاري ١٩٥
لنخش عاقبة الترهل العلمي ١٩٦
ظاهرة تستوقف النظر ١٩٨
المال عندما يصبح نقمة ١٩٩
الأخطاء الطباعية وسواها ٢٠٠
إلامَ الخلف . . ؟ ٢٠٢
بنفسي هذه الأرض! ٢٠٤
رحلة ممتعة ٢٠٥
لنبسط أسلوب هذه الدروس! ٢٠٧
المواطَنــة ٢٠٨
ما أحوجنا إلى النظر بواقعية! ٢١٠
الذكى الغالية ٢١١
هواجس التاريخ بين شعبين ٢١٣
حديث عابر عن الماء ٢١٨
أهي فلسفة في الصمت؟ ٢٢٣
البطولة والأبطال ٢٢٥
الوساطــة ٢٢٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الرياض ١١٤٩٤ ـ ص. ب ١٧٦٨٨

الناشـــر:
دار الوطن للطباعة والنشر والاعلام
شارع التخصصي ـ هاتف: ٤٦٤٤٤٨٨

طبع بمطابع: دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة
ص ب ٢١٢٩١ الرياض ـ ١١٤٧٥ ـ تليفون + فاكس ٤٨٨٠٠٤٧